وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجزائر

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم التاريخ

الموضوع:

العلماء و السلطة العثمانية في الجزائر

فترة الدايات (1671-1830م)

مذكرة لنيل شهادة الماجستير

تخصص تاريخ حديث

من إعداد الطالبة:

رشيدة شدري معمر

تحت إشراف الدكتورة:

فلة موساوي القشاعي

السنة الجامعية: 2005-2006

المقدمة

دوافع اختيار الموضوع:

لم يكن اختياري لموضوع العلاقة بين العلماء و السلطة وليد الصدفة، و إنما مطالعتي كشفت لي مدى أهمية هذا الموضوع الذي لم يحظى بنفس القسط من التعمق و البحث التاريخي الذي حظيت به الأوضاع العسكرية، و السياسية وخلال الفترة العثمانية، اللهم إلا بعض الإشارات و التلميحات التي أفردها مؤرخو هذه الفترة في مؤلفاتهم حول موضوع "العلاقة بين العلماء و السلطة" و حتى هذه الإشارات لا تعطي لنا النظرة الشاملة و العامة حول جوهر هذه العلاقة، و دوافعها و أسبابها، و تغيراتها ونتائجها.

لهذا رأيت أن هذا الموضوع يستحق الدراسة باعتباره حلقة ضائعة لاستكمال النظرة الشاملة للفترة العثمانية بالجزائر.

وقد حاولت قدر المستطاع أن أجعل رسالتي عامة وشاملة تستوعب كل ما يجب أن تتضمنه مذكرة جامعية، إذا كان هدفي من وراء إنجاز هذا البحث، محاولة الإلمام بالموضوعية قدر المستطاع.

- و قد حصرت بحثي هذا في الفترة الممتدة ما بين سنة 1671 إلى غاية 1830م و هي فترة حكم الدايات، و هذا لإعتبارات عدة، أهمها ما يلي:

- أن هذه الفترة شهدت إنفصال الجزائر عن الدولة العثمانية

- كما أن هذه الفترة تميزت بإنتهاء التواجد الإسباني بالجزائر، و هذا باسترجاع مدينة وهران سنة 1792م، التي كانت تمثل معقلا أساسيا للجهاد و التحالف بين الطرفين،هذا الأمر جعل العلماء خاصة شيوخ الزوايا يعودون إلى قواعدهم، لتزداد صلتهم بالأهالي أكثر من صلتهم بالسلطة،لهذا فإن استرجاع مدينة وهران كان أحد الأسباب التي شجعت على انتشار الثورات الدينية، و حتى القبلية، ليكون الدور البارز في هذا المجال للطرق الصوفية التي فرضت نفسها على الساحة السياسية منذ القرن الثامن العاشر، فكانت المرآة التي تعكس لنا جوانب هامة من المجتمع الجزائري في تلك الفترة مستغلة في هذا الفراغ السياسي الذي كان موجودا بين الطبقة الحاكمة و المحكومة ، هذه الأخيرة التي لم تكن ترى الأمور إلا من زاوية معينة صنعتها الطرق الصوفية.

- كما أن إيالة الجزائر في هذه الفترة خاصة الأخيرة منها عرفت أزمة اقتصادية، نتيجة لضعف الأسطول البحري الذي كان يعد العمود الفقري للحياة الإقتصادية حيث كانت موارد

القرصنة من أتاوات و غنائم تدر أرباحا على الخزينة العامة، و هذا التحول الإقتصادي المفاجئ دفع بالدايات إلى البحث عن مصادر دخل جديدة لتغطية العجز المالي الذي أصبحت تتخبط فيه البلاد فلم يجدوا بديلا إلا مضاعفة الضرائب التي لاقت رفضا كبيرا من طرف الرعية، و على رأسها العلماء الذين قويت لديهم روح التمرد و الثورة ضد السلطة.

-هذا دون أن ننسى التطور الذي شهدته الزاوية نهاية القرن 18م حيث أنها أصبحت قوة مالية و عسكرية بإمكانها تهديد السلطة و زعزعة استقرارها.

<u>الإشكـ ـالية:</u>

بما أن علاقة العلماء بالسلطة عبر تاريخ المجتمعات الإسلامية تأرجحت بين الإقتراب والاستبعاد و التجاهل فالإشكالية المطروحة تتمحور حول التساؤلات الآتية:

- ما هي التحولات التي طرأت على تلك العلاقة في المجتمع الجزائري أثناء العهد العثماني؟

- هل خضع أفراد فئة العلماء لمعاملة مماثلة من طرف السلطة؟ أم أن بعضها كان يحظى بمعاملة و امتيازات خاصة فرضتها مكانتها و نفوذها في المجتمع ؟

- و كيف لنا أن نعتبر قضية حكم العثمانيين للجزائر لمدة أكثر من ثلاثة قرون، فهل كان العامل الديني و الخطر الخارجي عامل كاف لتقبل الجزائريين لهم؟ أو أن قضية علاقة العلماء بالحكام كانت ترتكز على مصالح متبادلة تفسر لنا هذه العلاقة بين الطرفين.

- و هل استمرت هذه العلاقة بينهما أم أنها كانت متغيرة حسب الظروف؟ و هذا يدفعنا إلى التساؤل حول إذا ما شكلت فئة رجال الدين أو العلماء قوة مضادة للحكم العثماني بالجزائر؟كيف ولماذا؟.

<u>الصعوبات التي اعترضت مراحل البحث:</u>

هذا و كما هو معهود بالنسبة لكل دراسة تاريخية أكاديمية واجهت مجموعة من العراقيل و الصعوبات كانت متصلة بالمادة الأولى الضرورية لإنجاز أي بحث علمي جامعي، ألا و هي الأرشيفات و المصادر و المراجع المتعلقة بموضوع هذه الدراسة، لعدم توفر وثائق رسمية تبرز هذه العلاقة، و حتى المصادر و المراجع حول هذه الفترة نجدها ركزت على مواضيع أخرى،و رغم هذا المشكل العويص الذي واجهني إلاّ أنني حاولت جمع و حصر أكبر قدر ممكن من معلومات حول هذه العلاقة من خلال المصادر التاريخية و المراجع التي

رجعت إليها قصد الوصول إلى نتائج إيجابية قد تساهم في توضيح الرؤية حول هذه العلاقة المركّبة.

التعامل مع المادة الأرشيفية و الوثائقية:

- "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" لأحمد بن سحنون هذا المؤلف يعد مصدرا أساسيا يبين العلاقة التي كانت سائدة بين العلماء و السلطة خاصة حول مسألة الجهاد ضد الإسبان الذي كان يعد عاملا أساسيا للتحالف بينهما، و إن كان ابن سحنون يعتمد السرد إلا أنه أظهر جانبا من العلاقة الحسنة أو الإيجابية بين العلماء و السلطة ممثلة في شخص الباي محمد الكبير خاصة.

- "رحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي" لأحمد بن هطال التلمساني الذي عمل مستشارا لدى الباي و مبعوثه الخاص في عدة مهام خارجية، فإبن هطال و رغم كونه مقربا من الباي إلا أنه يذكر لنا شواهد ضد الحكام بسبب تصرفات جنودهم من سلب و سرقة و فساد، خاصة أن هدف هذه الرحلة كان إخضاع القبائل الصحراوية البعيدة عن السلطة، و إرغامها على دفع الضرائب و قد تعكس الرحلة بعض الحقائق عن العلاقة بين الحكام و المحكومين.

- "دليل الحيران...." لمحمد بن يوسف الزياني الذي اعتمد في كتابه هذا على مصادر كثيرة "كدرء الشقاوة في فتنة درقاوة" لأبي راس الناصري، إضافة إلى الشعر الشعبي والروايات الشفهية ورغم أنه هو الآخر كان مقربا من الحكام إلا أنه كان يعطي رأيه حول الأتراك، و لهذا لم يكتفي بالسرد التاريخي فقط.

- "طلوع سعد السعود" لإسماعيل بن عودة المزاري الذي تناول في كتابه حوادث حقيقية عاشها بنفسه خاصة ثورة درقاوة و ما انتهجه الحكام ضد الثوار و المحرضين على الثورة، خاصة عهد الباي حسان الذي كان متعسفا في ردعه للثورة الدرقاوية.

- "أنيس الغريب و المسافر" لمسلم بن عبد القادر و هو الآخر بحكم قربه من السلطة ،هذا الأمر مكنه من أن يكون على علم بالأحداث التي كانت تجري في بايلك الغرب.

- "فريدة مؤنسة" للعنتري، يعد مصدرا هاما لبايلك الشرق عالج فيه المؤلف تاريخ مدينة قسنطينة بالتفصيل اعتمادا على الروايات و المشاهدات و الرجوع إلى وثائق العائلات العريقة بالمدينة.

- إضافة إلى كتابه "سنين القحط و المصبغة" الذي أبرز فيه الكوارث التي حلت بالمدينة وخاصة المجاعات وما خلفته على الجانب الاقتصادي و الاجتماعي من انعكاسات سلبية.

- "مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار" التي تعتبر سجل واقعي للأحداث التي عرفتها الجزائر منذ النصف الثاني من القرن 18م و حتى وقوعها تحت الإحتلال الفرنسي، فهو لا يتردد في إبداء رأيه ناقدا لتصرفات الحكام، و سلوكهم الجائر.

فمن خلال ما قيده من أحداث و ما أبداه من آراء و أحكام يعد من أهم مؤرخي الفترة العثمانية، لما تميز به من صدق الرواية و الإبتعاد عن محاباة الحكام، كما أنه و من خلال ذكره للدنوش التي كان يقدمها البايات للدايات يعطينا صورة واضحة لثقل الضرائب على الأهالي،خاصة إذا علمنا أن الجزائر عانت أواخر العهد العثماني من أزمة إقتصادية بعد نقص موارد القرصنة و توجه الحكام بأنظارهم نحو الداخل لهذا فما كتبه الزهار يعد مرآة صادقة و صورة حقيقية لأوضاع الجزائر قبل الإحتلال الفرنسي.

- "تاريخ قسنطينة" للعطار تعرض فيه باختصار للأحداث التي عرفتها مدينة قسنطينة في العهد العثماني كأعمال صالح باي العمرانية و ظروف مقتله و التمردات التي حدثت بالمدينة من طرف الأعراب، و باي تونس حمودة باشا، و الثائر ابن الأحرش، كما يقدم هنا هذا المصدر معلومات حول بايات بايلك الشرق معتمدا في هذا على ما سجله من المعاصرين للأحداث رغم إهماله للأحداث الثقافية و تركيزه على الاضطرابات و المظالم التي أزعجت السكان.

هذا بالإضافة إلى بعض المراجع مثل: كتاب "صفحات في تاريخ مدينة الجزائر" لنور الدين عبد القادر و هو كتاب صدر في سلسلة نشريات كلية الآداب الجزائرية سنة 1965، أغلب معلوماته أخذت حرفيا من مخطوط "تقاييد ابن المفتي" التي تبرز لنا جانب من علاقة العلماء بالحكام.

- كتاب سعد الله أبو القاسم "تاريخ الجزائر الثقافي 1500- 1830م، و هو كتاب صدر عن دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998، ج1-2 هذا الكتاب يعطينا صورة واضحة عن الحياة الثقافية في الجزائر.

و بالإضافة إلى هذه المصادر اعتمدت في هذه الدراسة على مصادر و مراجع باللغة الأجنبية و رغم أنها تحيطنا علما ببعض المعلومات عن الحياة الثقافية عامة و على علاقة

"العلماء بالسلطة" إلا أننا نأخذها بحذر و خاصة المعاصرة للتواجد العثماني لما كان هناك من تأثيرات و نزاعات و من بينها.

- RINN (L.), Marabouts et khouans, étude sur l'islam en Algérie, A.Jourdan, Alger, 1884.
- DEPONT,(O.)- COPPOLANI(X.), Les confréries religieuses musulmanes, A.Jourdan, Alger, 1897.
- BROSSELARD (CH.), Les khouans, la constitution des ordres religieux musulmans en Algérie, H.Bourget, Alger, 1859.

فهذه المصادر تقدم لنا وصفا دقيقا لوضعية الطرق الصوفية و دورها في المجتمع وحتى صلتها بالسلطة إضافة إلى ما أورده "فيرو" حول بايلك الشرق من خلال مقالاته في المجلة الإفريقية أو من خلال ما كتبه عن مدينة بجاية و جيجل.

- FERAUD (CH.), Histoire des villes de la province de Constantine, Bougie, L.Arnault, 1869.
- FERAUD, Histoire des villes de la province de Constantine, Gigilli, L.Arnault, 1870.

فهي تعطينا وصفا دقيقا لأحداث الثورة الدرقاوية بالشرق الجزائري كما أنها تشير إلى مجموعة من المراسيم التي كان يحررها الحكام من دايات أو بايات من خلالها يضمنون حرمة مرابط أو عالم أو يقرون و يؤكدون فيها استمرار أحقيتهم في إمتياز ما كالإعفاء من الضرائب أو غيرها.

أما أهم دراسة اعتمدتها كمنهج لدراستي فهو مقال "بويي"

BOYER (P.), "Contribution à l'étude politique religieuse des Turcs dans la régence d'Alger 16éme-19éme siècle" in **R.O.M.M**, N°01, 1966.

الذي يعطينا تفصيلا دقيقا لبداية و تطور العلاقة بين العلماء و السلطة بمراحلها الأساسية منذ بداية أول إتصال بينهما إلى مرحلة التحالف ثم مرحلة التوتر وصولا إلى فترة القطيعة و قيام الثورات مع بداية القرن 19م.

هذا بالإضافة إلى مصادر و مراجع أخرى باللغة العربية أو الفرنسية أما للخطة التي ارتكز عليها بحثي فهي مهيكلة على النحو التالي:

المدخـل: تناولت فيه ظروف ظهور العثمانيين بالجزائر و بداية اتصالهم بالعلماء.

القسـم الأول: الذي يتعرض للتنظيمات السياسية و الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني و تضمن الفصول الآتية:

- **الفصل الأول:** التنظيم السياسي.
- **الفصل الثاني:** التنظيم الثقافي.
- **الفصل الثالث :**وظائف و أجور العلماء بالمدينة و الريف.

فالفصل الأول، تناولت فيه الجانب السياسي بدءا بتعريف نظام هؤلاء الحكام و أهم الساطات و الدعائم التي اعتمد عليها لحكم البلاد من قبائل المخزن و الحاميات و الأبراج إلى الساطة الروحية المتمثلة في العلماء خاصة المرابطين ،أما الفصل الثاني فقد تطرقت فيه للجانب الثقافي من خلال إلقاء نظرة شاملة على الحياة الثقافية في الجزائر مع التركيز على التصرف الذي طغى على الحياة الثقافية هذا إضافة إلى تحليل خصائص و وظائف فئة العلماء كفئة إجتماعية في المجتمع الجزائري الحضري أو الريفي مع التركيز على مستوى مقام "العالم" في المجتمع و محاولة التعرف على مصطلح "العالم" في تلك الفترة وما هي مميزاته و صلاحياته في الجزائر العثمانية، إضافة إلى التعريف بالمؤسسات التعليمية و التكوينية لفئة "العلماء"، و أهم ممول للحياة الثقافية بالجزائر ألا و هي مؤسسة الحبس.

أما الفصل الثالث و الذي يدور مضمونه حول تحديد وظائف العلماء سواء بالنسبة للمناصب الدينية أو القضائية الرسمية أو الغير رسمية.

أما **القسـم الثاني:** و الذي تعرضت فيه إلى التقارب بين العلماء و السلطة من خلال الفصول التالية:

- **الفصل الرابع** :أسباب التقارب.
- **الفصل الخامس:** مظاهر التحالف و وسائل و طرق السلطة لاستمالة العلماء.
- **الفصل السادس :**الحكام و مساهمتهم في الحياة الثقافية.
- **الفصل السابع:** نتائج التقارب بين السلطة و العلماء.

فبالنسبة لأسباب التقارب و التي انحصرت في الجهاد المشترك ضد العدو و في المعتقدات الدينية لدى العثمانيين و التي كانت سببا في التحالف بين الطرفين.

و قد انتهجت السلطة عدة طرق و وسائل لاستمالة العلماء و التي اختلفت بين امتيازات معنوية و مادية من احترام و تقدير إلى منح الإقطاعات و الإعفاء من الضرائب و القيام بدور الوسيط بين السلطة و الأهالي، إضافة إلى ما قام به الحكام خدمة للثقافة سواء بدافع الواجب الديني و التقوى أو بدافع مصلحة أي جلب طاعة الرعية و على رأسها العلماء.

أما **القسـم الثالث:** و الذي تعكس فصوله مرحلة جديدة من العلاقة بين العلماء والسلطة ألا و هي مرحلة التنافر و العداوة و التي طبعت الفترة الأخيرة من التواجد العثماني، و قد جاء هذا القسم تحت عنوان: التوتر و القطيعة بين العلماء و السلطة، و قد تم التعرض له من خلال الفصول التالية:

- **الفصل الثامن:**أسباب القطيعة و مظاهرها.
- **الفصل التاسع:** مظاهر التوتر و القطيعة بين العلماء و السلطة.
- **الفصل العاشر:** نتائج و انعكاسات القطيعة على السلطة.

فأسباب القطيعة أو التحول في العلاقة بينهما كانت نتيجة للسياسة الضريبة المجحفة التي انتهجها الحكام ضد السكان بسبب نقص موارد الخزينة، و هو ما انعكس سلبا على علاقة الحكام بالرعية، إضافة إلى التطور الذي شهدته الزوايا أواخر العهد العثماني حيث أصبحت تشكل قوة مضادة للسلطة، وصولا إلى زوال آخر حلقة من التحالف بينهما و هي إسترجاع مدينة وهران من الإسبان و التي كانت تمثل معقلا أساسيا للتقارب بين الطرفين.

و نتيجة لهذه الأسباب شهدت هذه الفترة عدة إجراءات إتخذتها السلطة ضد العلماء من قتل و سجن و نفي، و مصادرة أملاكهم و حتى نزع الإمتيازات التي كانوا يحظون بها.

و قد نتج عن هذه الأسباب و المظاهر نتائج و انعكاسات سلبية على كلا الطرفين،تجلت في الثورات التي شهدتها إيالة الجزائر أواخر العهد العثماني.

و قد انهيت بحثي هذا بخاتمة لما توصلت إليه من خلال إستنتاجات من هذه الدراسة و التي ألخصها في المقاربة الآتية:

- أن العثمانيين لم يهتموا بالأمور الثقافية في الجزائر كما و أنهم لم يكونوا عائقا في وجهها، لذا تركت الأمور الثقافية للمبادرات الفردية سواء من الحكام أو الأهالي الذين كانوا

يخضعون لتوجيهات السلطة الروحية المتمثلة في العلماء خاصة المرابطين منهم، لذا تقربوا منهم و منحوهم إمتيازات و صلاحيات عديدة لتكون في بداية تواجدهم قوة مساندة وعامل تهدئة و استقرار للأوضاع الداخلية لكن هذه العلاقة الودية لم تستمر إلى نهاية العهد العثماني بالجزائر بل تغيرت من التحالف إلى القطيعة و التمرد ضد السلطة، ليشكل بهذا العلماء قوة مضادة للسلطة، ساهمت ثوراتها التي قامت بداية القرن 19م في انهيار التواجد العثماني في الجزائر.

- كما لا يسعني في ختام هذه المقدمة أن أشكر كل الذين ساعدوني على إنجاز هذه المذكرة المتواضعة،مع العلم أن هذه الدراسة تتخللها نقائص متعددة، فما توصلت إله من إستنتاجات ليست أحكاما نهائية لأن دراسة مثل هذا الجانب المهم من علاقة الحكام بالمحكومين، ستعرف لا محالة تطور بفضل ظهور وثائق جديدة، و هذا ما يجعلني أؤكد بأن مساهمتي هذه رغم ما بذل فيها من جهود و بحث لا يمكن أن تغلق الباب في هذا المجال فهي جهد علمي أتمنى أن يكون منطلقا لدراسات أخرى معمقة، و قد حاولت عبر مراحلها الشاقة أن ألتزم بقواعد الأمانة العلمية و المنهجية التاريخية الأكاديمية.

المختصرات:

ج: الجزء

د.م.ج: ديوان المطبوعات الجامعية

س.ب: سجلات البايلك

ش.و.ن.ت: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع

ط: الطبعة

م.ش: المحاكم الشرعية

م.و.ك: المؤسسة الوطنية للكتاب

Abréviations :

Ann.Afr.N: Annuaire d'Afrique du Nord

B.S.G.A.O : Bulletin de la société de géographie et d'archéologie d'Oran

Ed: Edition

J.A : journal Asiatique

Imp: Imprimerie

o.p.u: Office des publications universitaires

Pub : Publication/publié

R.A : Revue Africaine

R.H : Revue historique

R.H.M : Revue d'historie Maghrébine

R.N. M.S.A.C : Recueil des notices de la société archéologique de Constantine

R.O.M : Revue de l'occident musulman et de la méditerranée

R.T.A.S.M.P : Revue des travaux de l'académie des sciences morale et politique

S.D : Sans date

S.M.E : Sans maison d'Edition

S.N.E.D: Société nationale d'édition et de distribution

T : Tome

Trad: Traduit/Traduction

المـدخــــل

1 - الأوضاع السائدة في الجزائر وظروف ظهور العثمانيين.

2- إتصال العثمانيين بالعلماء.

1- الأوضاع السائدة في الجزائر وظروف ظهور العثمانيين:

مع مطلع القرن 16م تأزمت أوضاع المغرب الكبير، ويرجع هذا إلى القرن 13م عند سقوط الموحدين، و إنقسامه إلى ثلاثة دول هي الحفصية و الزيانية و المرينية ، هذه الدول إنقسمت بدورها على نفسها نهاية القرن 15م و مطلع القرن 16م ، فالحفصيون الذين إنقسموا إلى دولتين واحدة بتونس و الأخرى ببجاية، أما سواحل المغرب الأوسط فاستقل كل ميناء بحكومته، حتى شبهت هذه الموانئ بجمهوريات إيطاليا البحرية[1] ،أما المغرب الأقصى فقامت فيه ثلاث حكومات ، في فاس ومراكش و سجلماسة[2]، وقد عجزت كل هذه الكيانات السياسية الوقوف في وجه الغزو المسيحي على شواطئها.

و ما يهمنا في هذا الإطار الجيو-سياسي هو المغرب الأوسط أو الجزائر، الذي كثرت فيه الفتن بسبب التنازع على الحكم ،وقد وصل هذا التأزم في الأوضاع في المنتصف الثاني من القرن 15م إلى درجة لم يعد في وسع الزيانيين بتلمسان حماية المناطق الموالية لهم من الهجمات الإسبانية من جهة و هجمات الوطاسيين من جهة أخرى[3]، وقد إغتنمت القبائل البربرية هذه الأوضاع لإسترجاع إستغلالها، كما كانت تؤيد وتعارض الأمراء المطالبين بالحكم[4].

و بالتالي ساعد هذا التفسخ و الضعف على التحرش الإيبيري الذي ظهر كرد فعل على حركة التضامن التي أبداها المغاربة مع الأندلسيين الذين أصبحوا بدورهم جنودا على طول السواحل[5].

لهذا شنت إسبانيا حملات على السواحل الشمالية الإفريقية ،وإستولت على أهم الموانئ كوهران ،وهو ما نشر الخوف في قلوب الحكام المتناحرين الذين لم يفكروا في الوحدة بل تسابقوا للتحالف مع الإسبان ودفع الضريبة لهم خوفا من تكرار ما حصل بوهران[6].

ونتيجة لتفكك المغرب الأوسط وإنحلال السلطة السياسية ، وإفتقاره إلى سلطة قوية تفرض نفوذها و هيبتها، بعدما أضحى مسرحا للفوضى و التطاحن بين مختلف القبائل[7]،

([1])- COUR(A.) ,L'Etablissement des dynasties des Cherifs du Maroc et leur rivalité avec les Turcs de la régence d'Alger, Leroux ,Paris ,1904,p6.
([2])-BOYER (P.), "contribution à l'étude politique religieuse des turcs dans la règence d'Alger "in **R.O.M,M**.,N°1 ,1966, p12
([3])-Ibid ,pp12,13.
(4)-العيد مسعود ،"حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني" **سرتا** ،عدد3، 1980،ص60.
(5)- BEN MENSOUR (A.H) ,Alger XVI,XVII[eme] siècle , Bastide ,Paris 1998, p24.
(6)- PRIMAUDIE (E.DE LA), "Document inédits sur l'histoire de l'occupation Espagnole en Afrique", in **R.A** N°20 ,1876,73.
(7) -خير محمد فارس ،تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني،الإحتلال الفرنسي ط2 مكتبة الشرق،بيروت ،1979 ،ص16.

هذا الأمر شجع على ظهور الخطر المسيحي الذي فشل الحكم المحلي على طرده من السواحل[1]، وكان لابد للأهالي من إيجاد سلطة مستقرة وقوية للدفاع عنه[2] ،فبرز المرابطون الذين أخذوا على عاتقهم مهمة رد الخطر المسيحي[3]، فالتف حولهم الناس بعدما حملوا على عاتقهم الدفاع عن ديار الإسلام، و جعلوا من زواياهم ملجأ لمجاهدي البحر والبحارة العثمانيين[4]، مثلما فعل محمد الهواري بوهران (843هـ/1439م)، ومحمد التواتي ببجاية (ت 901هـ/1475م) الذي إستجاربه بيري رايس ،فإن المدينتين لم يدخلهما الإسبان إلا بعد موت الشيخين[5].

فهؤلاء المرابطين و العلماء الذين كان لهم تأثير على العامة بدورهم بحثوا عن قوى إسلامية جديدة للتحالف معها لرد الخطر المسيحي[6]، تمثلت في العثمانيين الذين كانوا على صلة بأهالي المدن الساحلية خاصة المرابطين منذ سنة 1492م.

وقد تركت انتصارات العثمانيين انطباعا حسنا لدى الأهالي الذين يجمع المؤرخون أنهم أهم من استنجد بهم، وما مجيء العثمانيين إلى الجزائر واستقرارهم بها إلا استجابة لطلب سكان مدينة الجزائر، وحسب رواية عبد الرحمان التلمساني فإن السكان هم من راسل الإخوة بربروس بجيجل برسالة جاء فيها :" أخذتم بجاية وجيجل من أيدي النصارى، ونصرتم الدين فهنيئا لكم أيها المجاهدون ولا بد أن تقدموا إلينا لتخلصونا من أيدي هؤلاء الملاعين الكفرة لأننا في محنة عظيمة وذل شديد..."[7]، وحسب التميمي فإن هذا العمل ترك انطباعا حسنا لدى خير الدين[8].

وقد تكرر التعاون بين العثمانيين وسكان البلاد في كل من جيجل وبجاية ووهران وعنابة ودلس و الجزائر[9]، حيث قام عروج بالهجوم على بجاية ما بين سنتي(1512-1514م) من تونس بعدما سمح السلطان الحفصي بإيواء السفن العثمانية لكنه فشل في فتح المدينة[10]، وأصيب في ذراعه الذي بتر حفاظا على حياته[11].

---

(1)-DEPONT (O.)/COPPOLANI (X.), Les confréries religieuses musulmanes, A.Jourdan, Alger, 1897, p231.
- BEL (A), La religion musulmane en Barbarie de XII au XX^eme^ siècle, Librairie orientale, Paris, 1938, pp378,379.
(2)-GAFFAREL (P), L'Algérie ,Histoire , conquête et colonisation , Imp.de l'institut ,Paris,1883,p11.
(3)- COUR (A), L'Etablissement…., p94.
(4) -صادوق محمد الحاج، مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف، د.م.ج، الجزائر، 1964،ص101.
(5)-سعد الله (أ.قا)، تاريخ الجزائر الثقافي ،(1830،1500) ،ط2 ،دار الغرب الإسلامي،بيروت ،ج 1989، 1 ،ص461.
(6)- نفسه، ص460.
(7)- التلمساني محمد بن عبد الرحمان،"الزهري النيرة ،لما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جند الكفرة" **مجلة التاريخ وحضارة المغرب** ،العدد3 جويلية 1967 م،ص 32.
(8)- التميمي عبد الجليل ،" من أجل كتابة تاريخ الجامع الأعظم بمدينة الجزائر" ، **المجلة التاريخية المغربية** ،عدد 19-20 ، 1980 ،ص 157.
(9)--سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ج1، ص140.
(10)-بل ألفرد ،الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ،ترجمة عبد الرحمان بدوي ،ط3، ،دار الغرب الإسلامي بيروت، 1987،ص140.
(11)-مجهول، الغزوات ، مخطوط رقم 1622 ،ص7
ESTERHAZY(W.), La domination turque dans la régance d'Alger , Gosselin, Paris ,1840,p121

ليتوجه بعدها نحو شرشال التي فتحها سنة 1516 م بمساعدة زعمائها المحليين[1]، ثم فتح جزائر بني مزغنة بطلب من أهلها[2]، كما تمت الإشارة إليه آنفا، وفي سنة 1517 م دخل تلمسان بعد أن إستنجد به أحد المطالبين بالعرش الزياني، الذي كان تحت هيمنة الإسبان الذين إستردوا المدينة سنة 1518م[3]، و بعد موت عروج واصل خير الدين فتوحات أخيه بمساعدة حكام القسطنطينية، لتسقط في يده تلمسان عام 1555م ،ثم تونس عام 1574م[4].

ولما أدرك الإخوة بربروس أن المرابطين هم القادرين على التأثير على العامة[5] وأن مفتاح الجزائر بيدهم ، لما تميزوابه عن العامة بثقافتهم ن وتقواهم وبركتهم أو بنسلهم الشريف[6]، إستغلوا هذا الأمر لصالحهم فبدأوا يتقربون منهم و يعتمدون عليهم في مد سيطرتهم و كسر شوكة كل من يقف في وجههم ،خاصة بعدما أعطوا لسياتهم بالجزائر صبغة دينية لم تتجاهل دور هذه القوى المحلية[7].

لهذا يقول "قفاريل" (GaffareL):" أن الإخوة بربروس كانوا حكماء و سياسيين على غرار كونهم رجال الحرب فقد أدركوا أنه لابد لهم من قوة أو سند يضمن لهم ولاء السكان[8].

ومن هذا المنطلق عمل عروج على كسب مساعدة معنوية من السلطة الدينية[9]، رغم أنه قتل الشيخ سالم التومي عندما أراد إسترجاع نفوذه على مدينة الجزائر، و المرجح انه تصالح مع عائلة التومي بتدخل من الولي سيدي عبد الرحمان خليفة الثعالبي[10].

أما خير الدين فقد عرف كيف يقوم بالدعاية لصالحه منذ أن كان بتونس سنة 1515م حيث كان يقوم بزيارة المرابطين والأتقياء العاكفين بالزوايا،خاصة الزوايا البحرية للقبائل الصغرى ، وكان يقضي فصل الربيع للجهاد البحري [11]، وعمل مع عروج على الرفع من مكانه وشأن المرابطين باحترامهم وإستشارتهم والأخذ برايهم و كمثال على ذلك، سماحه

---

(1)- بل،المرجع السابق ،ص429.
(2)-مجهول، الغزوات ،ص11.
(3) ESTERHAZY, op.cit,p122.
(4)- بل ،المرجع السابق،ص 429.
(5)- COUR ,Op.cit ,p53.
(6)- BEN MENSOUR,Op.cit,p26
(7)- TRUMELET (E.) ,Les Saints De L'islam , Lègendes Et Croyances Algeriennes ,Les Saints Du Tell ,Didier 1881,P236.
(8)- GAFFAREL, Op. cit, p13
(9)-سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1،ص211.
(10)-شوفاليه كورين ، الثلاثون سنة الأولى لقيام مدينة الجزائر (1510-1541) ،ترجمة جمال حمادنة ،د.م..ج، الجزائر،1991،ص 32.
(11)- FILALI (K) ,Saintètè Maraboutique Et Mysticisme ,Contribution A L'etude du mouvement Maraboutique en Algèrie sous La Domination Turque ,in **Insanyyat,** N°3,1997 ,P121.

بهروب حاكم تنس بعد تدخل العلماء، كما أنه رفض سنة 1519 م الفدية التي قدمها" ديبقودي فيرا" و"هوقو دي منكادا" بعد أسرها وذلك إحتراما لرأي علماء الجزائر[1].

وبما أن الحقد ضد المسيحيين أصبح نقطة تفاهم وتلاق بين العلماء والعثمانيين[2] فالملياني الذي يعد أول من إتصل به الإخوة بربروس وكغيره من رجال التصوف كان مستعدا للترحاب بهم على أساس أنهم منقذون للبلاد من الأسبان[3].

2- إتصال العثمانيين بالعلماء :

إن التطاحن على السلطة و الصراع على الحكم عجل بنهاية الأسرة الزيانية بتلمسان وبظهور العثمانيين على مسرح الأحداث، فإنقسم مرابطوها وعلمائها بين معارض ومؤيد للعثمانيين نقمة على الوضع الذي وصلت إليه المدينة كأحمد بن يوسف الملياني وإبن أفغول، ومحمد بن شعاعة،[4] وكان احمد بن يوسف الملياني نموذجا للتحالف العثماني، المرابطين في المنطقة.

فالملياني وهو شاذلي الطريقة[5]، من قلعة بني راشد قرب تلمسان[6] كان يتمتع بنفوذ وسطوة كبير بين الأهالي ،إلى أن وصل إعتقادهم فيه حسب قول الصباغ أن الله ينزل غضبه على من أغضب وليه وما سقوط وهران والمرسى الكبير إلا بعد دعوته على الزيانيين على حد قول الصباغ[7]، توفي الملياني 991هـ ودفن بها.

و لما توسعت طريقته أثار هذا الدولة الزيانية خاصة بعدما التف حوله الناس أثناء التجمعات التي كان يعقدها برأس الماء وتلمسان و وهران...وهي مناطق ذات استعداد للاضطراب لضعف قبضة السلطة بها وقد أثار أتباعه حتى استقرار السعديين، لهذا حاربه عبد الله محمد السعدي(965/981 هـ)،متهما أتباعه بالانحراف عن الدين، وربما هذا لتحالفهم مع العثمانيين[8]، كما اتهمه خصومه هو الآخر بالإلحاد[9]، وبعد تدخله في شؤون العامة أثار ضده سلطان فاس وبني زيان[10]، الذين طاردوه بسبب نقل أحدهم للسلطان

---

(1)- BOYER ,Contribution ,P17.

(2)- COUR ,Op.Cit ,p94 -DE GRAMMONT (H.D) , Histoire D'Alger sous La Domination Turque (1515-1530), Leroux Paris ,1887,P412.

(3) صادوق ،المرجع السابق،ص104.

(4) إبن مريم، البستاني في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ،مراجعة محمد بن أبي شنب ، الطبعة الثعالبية ،الجزائر 1908،ص266.

–سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص496.

(5) -المزاري بن عودة ، طلوع سعد السعود في أخبارمدينة وهران والجزائر وإسبانيا وفرنساناوأخر القرن 19م، تحقيق يحي بوعزيز ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت،ج2 ،1990 ،ص74.

(6) سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي ج1،ص496.

(7)- الصباغ محمد بن علي القلعي،بستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار ومعدن الأنوار سيدي احمد بن يوسف الراشدي النسب والدار ،مخطوط لرقم 1707،ص11.

(8)- المزاري،المصدر السابق،ص74.

(9)-سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ص 496،497

(10)- صادوق، المرجع السابق،ص101.

الزياني مادار من حديث بين الشيخ وأتباعه بوصف السلطة الزيانية أنها: "سلطنة أسوأ من سلطنة اليهود"[1]، لهذا سجنه وأمر بحرقه ،وتذكر المصادر أنه نجا من هذا بكرامة[2].

إن هذا الخلاف الذي كان موجودا بين الشيخ و الزيانيين حمله على وضع يده في يد العثمانيين[3]، وهو الأمر الذي أغاظ السلطان المغربي عبد الله الغالب ،فكتب له الشيخ رسالة جاء فيها :" المولى جل جلاله أمدني بعد له ووصفني بأوصافه حتى صرت أنا هو، وهو أنا، ياأمير المؤمنين لاتقهر الفقراء أو يعمل لك العلماء برنسا من الثلج و يلبسونه لك في سمائهم ،ومن الماء عمامة يشدونها شدا مائلا ومن الريح قنديلا يعملون منه فتائل[4]، وهو لعزلم يستطيع حتى علماء المغرب فكه.

ويرجع أول اتصال تم بين العثمانيين والعلماء، إلى اتصال عروج بأحمد بن يوسف الملياني سنة 1517م على شاطئ البحر غرب مدينة وهران عندما قصده الإخوة بربروس مع أسير مغربي كدليل لهم ،وهو من نصحهم بالإتصال برجل من ذوي النفوذ الروحي، وقد قال له عروج أنه سيصدق ولاية وكرامة الشيخ إذا إستطاع أن يطلعه عن مقاصده ،وإن وفق سيقبل رجليه ويطلب منه الدعاء الصالح ،ولما وصل إلى الشيخ قال له هذا الأخير: "عزمت إذن وأصحابك على الهجوم على العدو" فجثى عروج عند قدميه[5].

ومن هنا بدأ أول تحالف عثماني مرابطي بالجزائر، وهذا لإدراك العثمانيين بأن رجال التصوف هم خير حليف لهم في صراعهم مع الإسبان[6]، خاصة بعد حصار القلعة الذي ضربه إسحاق والقبطان إسكندر ضد أبي حمو وخلفائه في نهاية عام 1517م،و منتصف سنة 1518م ، وقد نجح في حصاره بعد دعوة الشيخ السكان لتأييد العثمانيين،[7] الذين عاثوا في فساد بعد فتحها.[8]

هذا، وعند إستقرار الإخوة بربروس بالجزائر، وبعد وفاة عروج عام 1518م أرسل خير الدين إلى الشيخ الملياني هدايا ثمينة كاعتراف بجميله ومبلغ مالي قدره 4000دينار.[9]

بعدما ساعده ضد الزيانيين[10]، كما خصص له جزءا من الجزية المفروضة على اليهود و المقدرة بثمانية صيعان، عند ذهاب الحجاج إلى الحرمين[11].

---

(1)-صادوق، نفسه ،ص 114.
(2)-الصباغ، المصدر السابق، ص17. –إبن مريم ،المصدر السابق ،ص467.
- سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ص496.
(3)- صادوق، المرجع السابق،ص101 .
DERMENGHEM (E.), Le culte des Saints Dans L'Islam Maghrebin , Gallimard Paris,1951,P225.,
(4)- الورثلاني الحسن، نزهته الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار تتحقيق محمد بن شنب،فونتانا ،الجزائر، 1907،ص109،108.
(5)- الصباغ ، المصدر السابق،ص11.
(6)- صادوق ، المرجع السابق ، ص 104.
(7)- BODIN (M.), " Notes et questions sur sidi Ahmed Ben Youcef" ,in **R.A** N° 66, 1925 ,p185.
(8)- Ibid, p185 - DERMENGHEM, Le Culte …, p225.
(9) - إبن مريم ، المصدر السابق ،ص214.
(10)- BODIN, P186.
(11) -صادوق ،المرجع السابق ،ص 104،105.

و لكن على الرغم من هذه النعم إلا أن الملياني كان متحفظا من العثمانيين و حكمهم بعد فعلتهم بتلمسان ، و يلمس ذلك من خلال الرسالة التي بعثها الشيخ إلى خير الدين والتي جاء فيها "إن حكمك لا يجري علينا و لا على نسلنا و لا على من تعلق بنا و لا على نسلهم فإن رهبتم أحسنتم وإن خالفتم عوقبتم"[(1)].

وقد حافظ العثمانيون على شرط الملياني إلى غاية عام 1830م، حيث إستقبل خير الدين محمد بن مرزوقة بكر الملياني بحفاوة وأكرمه، وقدم له المال و نصبه خليفة لأبيه ، وأمير ركب الحجاج لحمل الصرة إلى الحرمين التي ظلت في ذريته الذين إستوطنوا وادي الحامول بنواحي المدية فيما بعد.[(2)]

كما ظل أتباعه مؤيدين للسلطة متبعين لنهجه في علاقته مع العثمانيين و ندرج في هذا السياق علاقة أحد أتباعه ببايات وهران وهو "إبن شعاعة " الذي كان في خدمة العثمانيين مقابل بعض الإمتيازات كإعفاءه من الضرائب ،ومنحه أرض كوقف له[(3)]، كما أن الحكام حافظوا على وعدهم للملياني طيلة تواجدهم بالجزائر حتى أن الداي حسين باشا وصل إلى حد مصاهرة هذه العائلة ،حيث يذكر "بودان" (Bodin) أنه "تزوج من إحدى حفيدات الملياني"[(4)].

ومن المرابطين الذين إتصل بهم خير الدين المرابط سيدي أحمد الكبير الأندلسي المتوفي عام 1540م، حيث زاره سنة 1535م، و بني له مسجدا وفرن و حماما كانت النواة االاولى لمدينة البليدة التي أسسها هذا الولي الذي قام بحماية ومساعدة الأندلسيين[(5)].

أما بمنطقة القبائل التي عرفت مصادمات عنيفة مع العثمانيين على عهد خير الدين وحسن بن خير الدين ،إنتهت بالتسليم بشرعية الحكم العثماني بعد ما تم القضاء على نفوذ إمارتي كوكو و بني عباس[(6)]، التي طبق عليها العثمانيين سياسة فرق تسد بإذكاء المنازعات بينهما ، مما أدى إلى ضعفها[(7)]، ولكسب أمير كوكو ضد بني عباس صاهر حسن باشا إبن القاضي مانحا إياه سلطات محلية[(8)].

---

(1) - نفسه ، ص 105.

(2)- BODIN, Op.cit ,p188 -BERQUE, L'intérieur du Maghreb du 16ème Siècle, Gallimard, Paris, 1978 P.107 Op.cit ,p107 – BOYER, Contribution …...,p19.

صادوق،نفسه ،ص 105.

(3)- BODIN (M .)", Notes sur Sidi M'HAMED BEN CHAA" . **B.S.G.A.Q**, 1930, p77.

(4)- BODIN , Notes et question…,p186.

(5)- DERMENGHEM, Le culte …, p39, - Trumelet, Les saints…, pp239, 240.

صادوق، المرجع السابق، ص 158.

(6)- سعيدوني ناصر الدين،"مؤسسة الزوايا في الجزائر العثمانية (نموذج بلاد القبائل)،عمل نشر في:

"International congression learning education in **the ottomane world,** Istamboul, Avril, 1999, p23.

(7) - BOYER , contribution P22

(8)– سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، ص 211.

و مما سبق يتضح لنا أن خير الدين حاز على ثقة الناس بمعاملته لهم بالدين ،وإحترام مشايخهم، الذين أحاط نفسه بأكثرهم شهرة ونفوذ[1]، وهو ما سمح له ولخلفه بتوطيد سلطتهم بالجزائر، ولكن الإشكال المطروح هو:"هل استمر هذا التوافق إلى غاية نهاية تواجدهم بالجزائر؟".

(1) -ROBIN (N.J) " Note sur l'organisation militaire et administrative dans la grande kabylie"in **RA** N°17,1973, P359.

القســم الأول

حكــم الدايــات :تنظيماتــه السياسيـــــة و الثقافيــة

الفصل الأول : سياسيا

الفصل الثاني: ثقافيا

الفصل الثالث: وظائف و أجور العلماء

الفصل الأول : سياسيا

1-نظـام الدايـات:

تميزت الأوضاع السياسية بالجزائر منذ القرن 16 بعدم الإستقرار حيث توالت عدة أنظمة على الحكم من بايلربايات ،باشوات، أغوات ،دايات ،وهذا راجع إلى طبيعة التواجد التركي في الجزائر ،الذي تميز بحكم عسكري ،سطحي ،وإلى الصراع الدائم بين الإنكشارية و الطائفة التي كثر التطاحن الدموي بينهما وإنتشرت الفوضى السياسية طيلة ثلاث قرون ،ولهذا شهدت الجزائر أربعة أنماط من الحكم ،لكل مواصفاته و مميزاته الخاصة .

وما يهمنا في دراستنا هو نظام الدايات الذي ظهر في القرن 17م، ليكون أحد ملامح التطورات السياسية التي شهدتها الجزائر خلال العهد العثماني، و سنتطرق لهذا النظام وإلى تركيبته وأهم مميزاته وأهم الوسائل و السلطات التي إعتمدها الدايات لبسط نفوذهم.

بعد إستفحال تدخل الإنكشارية في الشؤون الداخلية و الخارجية للإيالة قررت طائفة رياس البحرالتخلص من نظام الآغوات لإحساسها بالخطر الذي يهددها فعوضت هذا الأخير بنظام الدايات الذي دام من 1671م إلى غاية 1830م، لكن حكمهم لم يدم طويلا حتى أصبح الداي يختار من الإنكشارية، وهذا إبتداء من سنة 1695م، بعدما تولى من رجال الطائفة كل من الداي محمد باشا(1671-1682م) الداي حسن(1682-1683م) الداي حسين ميزمورطو (1683-1688م) الداي شعبان (1688-1695م)[1].

كانت السلطة المطلقة في يد الداي أما الباشا المرسل من إسطانبول كان حكمه شكلي[2]، واستمر هذا الوضع إلى غاية سنة1711م حيث رفض الداي علي باشا، الباشا المبعوث من طرف السلطان العثماني[3]، وهو الباشا إبراهيم شركان ،حيث رأى أنه لا أهمية لوجوده و يمكن أن يصبح وسيلة لإثارة المشاكل ،لهذا رفضه وهدده بالموت إن أصر على النزول بالجزائر، بعدها بعث برسالة إلى السلطان شرح له فيها مخاطرالسلطة المزدوجة[4]، و حتى تستقر له الأوضاع إنتهج سياسة التقتيل خاصة ضد الإنكشارية[5].

كان يتم إختيار الداي عن طريق الإنتخابات إذا ما توفي على سريره أما إذا قتل فإن المنافسة هي التي تفرض المترشح الجديد الذي يغير غالبا كل الموظفين[6].

---

(1)- KADDACHE(M.) ,L'Algérie durant la période Ottomane, O.P.U ,Alger, 1991, p94.
(2)- BOUABBA (y.), Les Turcs au Maghreb Central du 16ème au 19ème Siècle , S.N.E.D, Alger, 1972 ,p39.
(3)- CHALEM (M.), "Histoire de l'Algérie des origines à 1830" in **Algeri**e, Casbah, 2000, p25.
(4)- DE GRAMMONT, Op.cit, pp276, 277 - GARROT (H.), Histoire Gènèrale De L'Algèrie, Imp. P.Crescenzo, 1910, pp562, 563.
(5)- KADDACHE, Op.cit, p154.
(6)- KADDACHE, Ibid, p91.

فالداي كان هو المسؤول العسكري و السياسي للبلاد، و القاضي الأعلى في أمور الحرب و السلم و المسؤول على الضرائب وعلى التوظيف، أي له صلاحيات غير محدودة و قد كان القتل هو الوسيلة للحد من صلاحياته[1]، فنظريا هو مطلق الصلاحيات في تعيين البايات والموظفين[2]، لكنه يخضع لقواعد صارمة حيث يعزل عن عائلته التي لا يراها إلا مرة في الأسبوع لأنه في نظرهم "أب للجميع"، و رغم الصلاحيات المخولة له إلا أنه كان يتصرف وفق رغبة ضباط الإنكشارية[3]، أي الديوان المتكون من ثلاثين من كبار الجند و الرؤساء الدينيون الثلاثة، المفتي والقاضي وكبير المرابطين[4].

فالداي كان ذو نفوذ محدد صوريا من قبل الديوان ،وإذا أغتيل تعاد ثروته إلى الخزينة[5]، فهو كما وصفه الكاتب الإسباني "جواب كانوا" (Jouab Canau) أنه "رجل غني و لكنه ليس سيد ثروته وأب بدون أطفال ،زوج بدون زوجة،طاغية بدون حرية، ملك لعبيد عبد لأتباعه[6].

أما إيمريت(Emerit) يقول عنه:" أنه مستبد و ليس له حرية ،أرستقراطي لكنه محروم من أرباح القرصنة"[7].

لهذا وبالرغم من إمتيازاته فإن نهايته غالبا ما تكون مأساوية إذا ما تعرض لغضب الجند حيث تصادر أمواله ، و تتعرض عائلته وأقاربه للإنتقام[8].

فبعد التغيرات التي طرأت على الإمبراطورية العثمانية عامة وعلى الجزائر خاصة، ظهرت النزعة التمردية لدى الإنكشارية، والتي إشتدت بعد إستسلام بعض الحكام لمطالبهم الغير محدودة ،فكان كل من يتأخر في دفع مستحقاتهم مصيره الموت أو الخنق أو النفي، وهو ما حدث للداي مصطفى عام 1705م من طرف الحامية التركية بمدينةالقل، عندما كان في طريق عودته من حملته على تونس[9]، و قد تم حجز كل أمواله وأملاكه[10]، وحدث للداي محمد بكداش عام 1710م نفس الشيئ، حيث قتل لأنه لم يدفع أجورالجند بعدما فر باي

([1]) - BOUABBA, Op.cit, p43.
([2])- KADDACHE ,Op.cit ,p92.
([3])- الغالي الغربي ، الثورات الشعبية أثناء العهد التركي ،رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة دمشق، 1985 ،ص41.
([4])- LE PENE , Apercu historique ,statistique et Topographique sur l'état d'Alger, 2ème ed, CH.Picquet, Paris, 1830,p41.
([5])- جوليان شارل أندري، تاريخ إفريقياالشمالية،تعريب مزالي محمد بن سلامة، الدار التونسية للنشر،تونس،1978 ،ص375.
([6]) - خيرمحمد فارس، المرجع السابق، 1979،ص 73.
([7]) - EMERIT (M.)," Le voyage de la condamine à Alger en 1731" in **R.A**, N°_98 ,1954,p292.
([8]) - VENTURE (DE .P), Alger au 18eme siècle, Fagnan, Alger, 1898,p48.
([9]) - MERCIER (E.), Histoire de Constantine, S.N.E.D, Alger,1903,p243.
([10])- إبن ميمون، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائرالمحمية تحقيق و تقديم د.محمد عبد الكريم ، ش.و.ن.ت، الجزائر، ص25.

قسنطينة بالأموال التي كان من المفروض تقديمها للجند(1)، وعوضه قاتله إبراهيم باشا الذي قتل بعد خمسة أشهر فقط من الحكم(2)، وبهذا كانت الصعوبات المالية هي دوافع الثورات التي كان يقوم بها الجند ضد الحكام.

فأدت هذه الأخيرة إلى الفوضى خاصة أواخر القرن 18م، أثناء الفترة التي تلت محمد عثمان باشا (1766م-1791م) ،حيث تولىالحكم تسع دايات قتل جلهم ،منهم مصطفى باشا الذي اغتيل عام 1805م ،وعلي باشا بورسالي الذي شنق عام 1809م ،ومحمد باشا الذي قتل سنة 1814 م، وعمر آغا قتل هو الآخر سنة 1817م، كما اغتيل صالح باي عام 1792م و قتل جل البايات التسع عشرة الذين خلفوه(3).

و بما أن معظم الحكام إستولوا على السلطة بالجور و القوة و جمع المال والتظاهر بالدين، فقد أسقطوا بنفس الطريقة(4)، ليصبح الإغتيال الوسيلة الوحيدة لتصفية الحسابات(5) والوصول إلى الحكم ،فسلسلة الإغتيالات للحكام ،والوزراء، و الموظفين إنهكت النظام القائم و قضت على ثقة الرعية به(6).

و بما أن العثمانيين لم تكن تربطهم أي رابطة بالبلاد غير رابطة الدين،فكان هدفهم هو الإستبداد بالسلطة وجمع المال فبعضهم كان غير أهل للحكم فمثلا "مرسي" (Mercier) يقول عن الداي الحاج علي" "الرجل الأبله، العنيف و المدمن على تعاطي الأفيون"(7)

هذا وقد كان أغلبهم بعيدا كل البعد عن العلم، و الثقافة وتسلموا مقاليد الحكم بعدما كانوا يمارسون وظائف حقيرة، كإسكافي، حمال، حارس...(8)، فمثلا الداي أحمد باشا(1695-1698م) كان إنسانا مسنا ومريضا ،كان يرقع الأحذية لذا فمهمته كانت تقتصر على الإمضاء فقط ،أما الحكم فكان بيد الإنكشارية(9)، و الشيئ نفسه يقال عن الداي علي باشا الغسال (1808-1809م) الذي كان هو الآخر طاعنا في السن و عمله هو تغسيل الموتى، لذا لقب بالغسال(10).

---

(1) - DELPHIN (G.)," Histoire des pachas d'Alger de 1515-1749" in **J.A,** Avril , Juin 1922 , p207.

(2) - KADDACHE, Op.cit ,p95.

(3)- سعيدوني ناصر الدين ،ورقات جزائرية ،دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني،دار الغرب الإسلامي بيروت، 1999 ،هامش، ص215.

(4) - سعد الله أبو القاسم،" من أخبار الداي شعبان" **التاريخ** ،عدد 8 ،1980 ،ص117.

(5) - الغالي ،الثورات الشعبية، ص96.

(6) - بلحميسي مولاي،" الثورة على الأتراك"، **الثقافة** ،عدد 48، 1978 ، ص38.

(7) - MERCIER (E.) , L'Afrique septentrionale ,T3, Leroux,paris , 1891,p477.

(8) - شعيب محمد المهدي ،أم الحواضر في الماضي و الحاضر ،مطبعة البعث،قسنطينة، 1980،ص .392.

(9)- إبن ميمون ، المصدر السابق ،ص25.

(10) - MERCIER,Histoire de Contantine ,p336

و يضاف إلى خصائص هؤلاء الحكام ظاهرة الفساد و الرشوة، و التبذير لأموال الخزينة ومن أمثلة ذلك الداي علي باشا، فحسب"فونتيردوبرادي" (Venture de Paradis) أنه أنفق كل أموال الخزينة على رفاهية أولاده وزوجته[1].

كما تميز بعض البايات بالبطش و الإستبداد وأضروا بالرعية،خاصة سكان الريف، مثال ذلك مصطفى الوزناجي (1795-1798م) الذي تعامل مع المحتكرين اليهود على حساب السكان وأحمد شاوش القبائلي (1808-1811م) الذي أضر هو الآخر بالرعية وأفلس الخزينة، وإنتهج سياسة مالية سيئة وإرتكابه لعدة جرائم، حتى لقب ب"باي رأسه، باي ذراعه،وباي روحه..."[2]، أما في بايلك الغرب فقد أساء الباي المقلش و الباي حسن للسكان، وخاصة للعلماء*.

وما يدل على سوء المعاملة التي تميز بها بعض الحكام هو قول أحدهم مخاطبا ديبلوماسي فرنسي "أنا رئيس عصابة من السراق ومهنتي هي أن آخذ و ليس أن أعطي"[3].

والجدير بالذكر هو أن إختيار الموظفين كان يتم عن طريق الرشوة، فأصبحت المناصب تباع و تشترى علنا و تسلم لمن يدفع أكثر ،لتصبح الوظائف المتعلقة بالرسوم وجباية الضرائب مؤجرة لأشخاص بأسعار محددة و يكون الدفع دفعة أو بالتقسيط[4]. فشيخ البلد لم يكن يوظف إلا بعد دفعه نصيبا من المال تراوح مابين1000 إلى 1500 صائمة للخزينة و2200 صائمة للديوان و 630 صائمة للجيش، أما الموظفين بعنابة فكانوا يدفعون سنويا للخزينة 200ريال[5]، كما أنهم كانوا يستعملون الأعلاج في كل المهن، حتى في المناصب العليا بينما يرفضون إستخدام العرب و الكراغلة، ولهذا فإن أغلبية الدايات تجاهلوا حقيقة السلطة وأهدافها بخدمة المصلحة العامة[6]، فاهتموا بالتنظيمات الإدارية والعسكرية و المالية التي تضمن لهم مداخيل مالية ،مهملين بذلك الجانب الثقافي والحضاري ،فإنعكست هذه الظاهرة سلبا على مستوى التعليم مقارنة بدول المشرق، و قد أثر ذلك حتى على علاقتهم بالرعية .

---

(1) - VENTURE (DE,P.) ,Op.cit ,p101.

(2) - VAYSSETTE ,"Histoire des derniers beys de contantine depuis 1793 jusqu'à la chute d'Ahmed Bey" In **R. A** N°4, 1860, p200.

*أنظر الفصل الثالث

(3) – DE GRAMMONT,Op.cit ,p307.

(4) - EMERIT (M.),"L'Algerie Turque" in **Initiation à l'Algérie** ,1957, p59.

(5)- TACHRIFFAT, Recueil de notice historique sur l'administration de l'ancienne règence d'Alger, pub. par DEVOULX, Imp du gouvernement,Alger , 1852,p45.

(6) – DE GRAMMONT, Op.cit,p305

وبإستثناء نظام البايليربايات شاع أثناء عهد الدايات الفساد ،إلا أن هذه الظاهرة كانت خاصة ببعض الدايات فقط، لأنه لا يمكن أن نعمم هذا على كل الحكام بل هناك من كانت تهمه مصلحة البلاد والدليل على ذلك قول أحد قادة الحاميات للجنود :"إننا لم نخضع هذا الشعب بحد السيف ولم نمسك البلاد بالقوة وإنما أصبحنا سادة العدل و الإحسان،وفي بلادنا لم نكن قادة، وإنما حصلنا على مناصب في هذا القطر ولذا فهو وطننا وواجبنا أن نجتهد للمساهمة في إسعاد السكان، كما لو كنا نعمل من اجل أنفسنا"[1]، هذا بالإضافة إلى أن بعضهم يرفض الزواج حتى تبقى ممتلكاته لبيت المال[(2)].

لكن التناقضات السلبية في الحكم و الفوضى التي تميز بها هذا النظام، بالإضافة إلى الصراع بين الإنكشارية و الرياس من أجل السلطة، كان له الأثر السلبي على علاقة الدايات بالرعية، وهذه السلبية ظهرت على كل الميادين، الإقتصادية والإجتماعية والثقافية.

وقد بدأت ملامح هذا الصراع منذ عهد البايلربايات حيث كان كل منهما يكن حقدا للآخر حتى وصل بالطائفة إلى إطلاق إسم "ثيران الأناضول" على الإنكشارية التي تبادلهم نفس الحقد بسبب ثراءهم[(3)].

فإن هذا الشعور المتبادل كان سببا في الإضطرابات الدموية التي إجتاحت إيالة الجزائر منذ عهد الباشوات، و إستفحل أمرها عهد الأغوات و الدايات حيث قتل 14 داي من بين 26 داي تولوا الحكم ما بين (1671-1830م)[(4)].

لكن الملاحظ هوأن كلا منهما لا يمكنه الإستغناء عن الآخر، فمهما كانت ثروة الطائفة، فمن غير الممكن إستغنائها عن خدمات الإنكشارية التي تضمن الحراسة و الدفاع عن البلاد أثناء الجهاد البحري،كما أنه ورغم قوة الإنكشارية و كثرة عددهم لا يمكنهم فرض إرادتهم على الرياس، لأنه بفضل الغنائم كانت تدفع لهم رواتبهم[(5)] التي غالبا ما كانت سببا في ثورتهم ضد الدايات، خاصة منذ سنة1750م حيث بدأت خزينة الجزائر تعرف أزمة مالية دامت إلى بداية القرن 19م[(6)].

([1])- حمدان خوجة، المرآة لمحة تاريخية و إحصائية للإيالة الجزائر، تحقيق و تعريب محمد العربي الزبيري ش.و.ن.ت، الجزائر، 1975، ص102.

([2])- نفسه،ص135.

([3])- جوليان، المرجع السابق ،ص335.

([4])- الغالي ،الثورات الشعبية، ص99.

([5]) - EMERIT, l'Algérie Turque, pp109, 110.

([6]) - BOYER (P.)," Introduction à une histoire de la régence d'Alger", in **R.H** ,avril, Juin,1966,p309.

وفي هذا السياق يذكر"حمدان خوجة"أن إختيار أفراد الإنكشارية لم يعتمدعلى مقاييس ثابتة حيث يقول: "حتى المجرمون و المحكوم عليهم بأحكام العقاب قيدوهم أيضا"[1]، أما" شالر" فيقول أن :"معظم الذين يقبلون الإنخراط في الإنكشارية هم من الأشرار، خريجي السجون و المنتمون إلى أحط الطبقات الإجتماعية"[2]، وحسب "عبد الرحمان الجيلالي"، فإن الهدف من هذه التركيبة العسكرية ليس الحفاظ على نظام البلاد وإنما التشوق إلى سدة الحكم و الترقي في المناصب، وإشباع للذات"[3].

ونتيجة لثوراتهم المتعددة ضد الدايات بسبب الأجور،فإن الداي علي خوجة سنة 1817م أراد التخلص منهم ،فنقل الخزينة إلى القصبة بمساعدة القبائل و الكراغلة بعدما قام بقتل الإنكشارية المتمردين[4].

لكن ورغم السلبيات التي أثرت علىإستقرارالنظام الذي إنعكس بالطبع سلباعلى التطورالإقتصادي والإجتماعي، وخاصة الثقافي، فالإنكشارية كان لها دور هام في الدفاع عن البلاد وحماية حدودها، كما كانت الطائفة تنشط في البحر وتدافع عن المجال البحري للجزائر، حيث كانت ممول رئيسي وعامل هام في إثراء الخزينة .

كان مقر الداي بدار السلطان ،أما باقي الإيالة فقد خضعت إلىتقسيم إداري يتمثل في: بايلك الغرب و كانت عاصمته مازونة ثم معسكرعام 1710م ثم وهران عام 1792م، وبايلك التيطري وعاصمته المدية وبايلك الشرق و عاصمته قسنطينة[5]، وكان يشرف على هذه البايلكات البايات المعينون من طرف الداي،و يعملون على تدعيم الخزينة من خلال جباية الضرائب[6]، حيث يقدمون كل ثلاث سنوات للخزينة الدنوش[7]، كما كان لكل باي خليفة وأعوان وأغوات كآغا العرب وأغا الصباحية،وهم من الأتراك[8].

وكان البايلك مقسم إلى أوطان يديرها قياد ترك، و عرب[9]، حيث يساعد كل قائد بعض الجنود، خاصة في عملية جباية الضرائب[10]، وكان للقياد السلطة المدنية والعسكرية

---

(1)- حمدان خوجة ،المصدر السابق ،ص139.

(2)- شالروليام، مذكرات قنصل أمريكا (1816-1824) ترجمة وتعليق العربي إسماعيل،ش.و.ن.ت، الجزائر ،1982 ،ص52.

(3)- الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ط6، دار الثقافة، بيروت، ص453، ج3، 1983، ص 453.

(4) - GHALEM,Op.cit ,p29.

(5)- جوليان ،المرجع السابق ،ص376.

(6) - LE PENE , Op.cit ,p153.

(7)- جوليان، المرجع السابق ،ص 376.

(8)- الزهار الحاج أحمد الشريف ،مذكرات ،تحقيق أحمد توفيق المدني ، ش.و.ن.ت ،الجزائر، 1972 م ،ص35.

(9) - KEHL (C .) , Oran et l'Oranie avant l'occupation Française , L. Fouque, Oran ,1942,p32

(10) -MERAD BOUDIA(AB.H), La formation sociale Algérienne précoloniale, essai d'analyse théorique, Alger, O.P.U, 1980, p324.

والقضائية، وهذا بمساعدة رؤساء القبائل و المشايخ ،ويتمثل دور القياد في السهر على توزيع الأراضي، وجمع محاصيلها[1].

أما "الوطن" فيضم قبائل و كل قبيلة يشرف عليها الشيخ[2]، وكان الباي هو من يعين القياد بإقتراح من الآغا أو كبار الموظفين[3]، وكذلك يعين رؤساء وشيوخ القبائل أو المدينة، وعن طريقهم يمارس سلطته، فببايلك الشرق نجد 24 قائد و11 شيخا، أمابايلك الغرب فقد قسمت إداريا بين الباي و الأشراف و القياد[4]، وهذا بالمناطق القريبة من مراكز السلطة، أما بالريف فلم يهتم العثمانيون بمد نفوذهم على أوسع نطاق لأنه تصعب السيطرة عليه ،ولهذا السبب لم تكن حاضرة بصورة مباشرة بل إعتمدو في فرض هيمنتهم عليه على وسطاء[5] فإبتكروا وسائل جديدة عسكرية و روحية تساعدهم على التحكم في زمام الأمور.

2-دعـــائـــم السلطـــــة:

أ-قبائل المخزن:

بالإضافة إلى مؤسسة المحلة التي تعتبر أداة من أدوات السلطة التي إتخذت شكل السلطة المتنقلة في بحثها المتواصل عن الشرعية في محيط إجتماعي سمته الأساسية العصبية القبلية فهذه المحلة كانت أكثر من كونها مجرد حملات ردعية تأديبية ،أو مجرد جولات جبائية بل كانت تعتبر تجسيد للإدارة المركزية[6].

و لتعزيز الجيش ،لجأت السلطة إلى قبائل المخزن التي كانت بمثابة قوة عسكرية أوكلت لها مراقبة المناطق الغير خاضعة[7]، خاصة وأن الجيش التركي في هذه الفترة، كان قليل العدد، ففي سنة 1769م لم يتعدى عدد أفراده الخمسة آلاف جندي ،أما عام 1817م ،لم يتجاوز ثلاثة ألاف ومائتي جندي، ولهذا السبب لجأ الأتراك إلى هذا التنظيم لتدعيم قوتهم العسكرية[8]، لأنهم كانوا عاجزين عن تجنيد أكثر من إثنى عشرة ألف تركي وكرغلي أثناء الحروب، خاصة بعدما توقفوا عن جلب الجنود المرتزقة من الأناضول، كما كان الأمر في السابق لأنهم كانوا مضطرين إلى دفع أجورهم، وهو أمركان يضر بإمتيازاتهم و مصالحهم

([1]) جوليان، المرجع السابق ،ص 378.

([2]) - KEHL, Op.cit ,p32

([3])- جوليان ،المرجع السابق،ص 378.

([4])- سعيدوني /البوعبدلي ،الجزائر في التاريخ العهد العثماني ،م.و.ك،الجزائر ، 1985 ،ص108.

([5])- خنوف علي ،السلطة في الأرياف الشمالية لبايلك الشرق الجزائري نهاية العهد العثماني و بداية العهد الفرنسي، مطبعة العناصر،الجزائر، 1999،ص 107

([6]) - قشي فاطمة الزهراء ، قسنطينة المدينة و المجتمع ،دكتورة دولة،(غيرمنشورة)،جامعة تونس ،1998،ص77، 78.

([7]) - ROBIN (N.J.) ,La grande Kabylie sous le régime turc,Ed , Bouchene, Alger,1998 ,p13

([8]) – DE GRAMMONT,Op.cit ,p240

الخاصة، لأن جلبهم كان يتطلب مصاريف إضافية،تقاص من ثروتهم[1]، خاصة بعدما شحت الموارد البحرية.

وبالتالي إعتمد العثمانيون على نظام قبائل المخزن لتسهيل عملية تحصيل الضرائب التي كانت تلقى رفضا كبيرا من طرف السكان ،فإعتمادهم على قبائل المخزن لكونها عنصر محلي بالدرجة الأولى، و حتى تتفادى الوقوع في صدمات مباشرة مع الأهالي،كما كان هذا بمثابة إستراتيجية لإخضاع المحكومين.

وقدعرفها الأستاذ "سعيدوني" بقوله : "هي عبارة عن تجمعات تعميرية إصطناعية... مختلفة في أعراقها فمنها من أقره الأتراك بالأراضي التي وجدت عليها لتكون سند لهم، ومنها من أعطيت لها أراضي تستقر عليها، ومنها من إستخدم كأفراد ومغامرين و متطوعين من جهات مختلفة ليؤلفوا جماعة عسكرية ترتبط مصالحها بخدمة الحكومة التركية ..."[2]

هذا وقد لعبت قبائل المخزن دورا فعالا في إدارة الإيالة حتى غدت من أهم الوسائل التي تعتمد عليها السلطة فحضور رجال المخزن ضروري عند عملية جباية الضرائب[3]، لأنهم أصبحوا يشكلون جزءا هاما في المحلة[4]، التي كانت توجه سنويا لجباية الضرائب نحو الشرق والغرب و التيطري[5].

هذا الأمر جعل منها الساعد الأيمن للسلطة في تطبيق الإجراءات الحربية والإدارية[6]، إذ كانت قبائل المخزن بمثابة شرطة محلية ضد الحركات المعادية، تعمل على تطبيق أوامر البايلك، وحماية مصالحه وفرض إحترام الرعية له، وتراقب الأماكن الإستراتيجية و تدعم الحاميات العسكرية بالجنود[7]، خاصة ببايلك الغرب حيث كانت القاعدة العسكرية قوية لمواجهة الأسبان[8]، ومع مرور الوقت تنامت قوتها، خاصة مع نهاية العهد العثماني، الأمر الذي إظطر الدايات إلى إحترامها[9]، ومنحها إمتيازات مقابل ولائها للحك[1]،

---

(1)- سعيدوني ،ورقات جزائرية ...ص262،261

(2) - سعيدوني ،"وضعية القبائل المخزنية والآثارالمترتبة عليها "، **المجلة التاريخية المغربية**، عدد 7،8 ، 1977، ص75.

(3) - FERDMAN (H.), AUCAPITAINE(H.)," Notice sur L'Histoire Et L'administration Du Titteri" in **R.A,** N° 10, 1867, P359.

(4) - SAIDOUNI (N.D.), l'Algérois rural à la fin de l'époque Ottomane, (1791-1830), Der –El Gherb El Islami, Beyrout, 2001, p347.

(5) - TACHRIFFAT, pp31, 32.

(6)- سعيدوني، ورقات جزائرية ...،ص262.

(7) - SAIDOUNI, Op.cit, pp346, 347

(8) – KEHL, Op.cit, p33.

(9) - SAIDDOUNI,Op.cit ,p347

للحك[1]، فتمتعت بإستقلال إداري عن آغا العرب[2]، وأعفيت من الضرائب وأعمال السخرة وكانت لا تدفع إلا العشور و الزكاة على أراضيها الخاصة[3].

لكن هذا التنظيم الذي أدخله العثمانيون كانت له أثار سلبية من خلال الأعمال الوحشية و التعسفية التي إرتكبتها ضد الرعية، وتغاضى عنها الحكام ،من نهب و سرقة ومصادرة الأملاك ،لتصبح بهذا قوة حربية عازلة، لا طبقة إجتماعية رابطة وعامل تفريق للأهالي بالريف لا وسيلة تأليف بين الأفراد[4].

ونظرا للدور الذي لعبته هذه القبائل أصبح العثمانيون ينظرون للأهالي ليس كونهم رعاياهم بل مجموعات بشرية متفاوتة من حيث الحقوق و الواجبات ،كما وأن إمتداد السلطة داخل البلاد يقاس بمدى نشاط هذه القبائل[5].

ب- **الحاميات و الأبراج:**

إعتمد العثمايون على الحاميات و الأبراج عند فرض الأمن و جباية الضرائب خاصة بمنطقة القبائل[6]، التي إمتنعت عن الدفع لذا نصبوا قبائل المخزن و الحاميات لمراقبتها و التحكم فيها[7]، ولهذا الغرض وضعوا بها قاعدتين[8] برج سيباو و برج بوغني[9] الذي يعد أحد الدعائم الأساسية للسلطة المركزية بمنطقة القبائل وقد قسم إلى مشيخات حيث يقوم المسؤول بجمع الضرائب، أما برج سيبا و الذي توجد فيه قبائل عمراوة التي تشرف على جباية الضرائب فكان مقسما إلى تسع مشيخات[10]، ويديره كذلك عدة موظفين كقائد الشؤون القضائية و شاوش وخوجابين، أما قائده فقد منح سلطات واسعة كحق الموت و الحياة على

([1])- إبن ميمون، المصدر السابق ،ص 39 .- الزبيري، المرجع السابق ،ص21

([2]) - SAIDOUNI ,Op.cit ,p345.

([3]) – FEDERMAN /AUCAPITAINE, Op.cit ,p359 - SAIDDOUNI,Op.cit ,p347.

([4])- سعيدوني، وضعية قبائل المخزن...،ص79

([5])- سعيدوني، ورقات جزائرية ، ص261.

([6]) - ROBIN, La grande Kabylie ….,p11, 12

([7])- سعيدوني /البوعبدلي، المرجع السابق، ص109.

([8]) - BOULIFA (S.A.), Le Djurdjura à travers l’histoire, depuis l’Antiquité, jusqu’à 1830, S.Bringou Alger, 1923, p137.

([9]) - ROBIN, La grande Kabylie …, p14

([10]) - Ibid , pp16،17.

الناس[1]، فهذه الحاميات كانت تخرج كلما شعرت بتحركات مشبوهة من طرف الأهالي لتعاقبهم بمجرد الشك[2].

جـ - السلطة الروحية:

عرفها الدكتور خالد زيادة بأنها :"تلك الهيئات أو التنظيمات التي تربط بين الحاكم الشرعي بالحكام و تقود الأهالي في ذات الوقت سواءًا كانت رؤساء دينيون ومشايخ حرف ومشايخ حارات..."[3]، ومن هذا المنطلق أوجد العثمانيون طريقة إدارية محكمة تمثلت في حكم الجزائريين بالجزائريين[4]، خاصة بالريف ليكون إشرافهم غير مباشر وهذا بإعطاء صلاحيات محدودة للمتعاملين مع الأهالي تخضع لتوجيهات الموظفين الأتراك[5]، في حين كان تدخلهم المباشر عند الضرورة القصوى فقط، كنشوب الثورات، فيخرجون لقمعها بأنفسهم أوعند إمتناع الأهالي عن دفع الضرائب،فتوجه نحوهم الحملات العسكرية[6] مثلما فعل صالح باي نحو جنوب بايلك قسنطينة.*

وكذلك الباي محمد الكبير وبهذا عملوا بمبدا ثنائية السلطة الإدارية من خلال تدعيمهم للمرابطين و الطرق الصوفية و شيوخ الزوايا[7]، لأن أهم السلطات التي كانت تخضع لها الجزائر في اواخر العهد العثماني بالريف هي سلطة المرابط، القائد أو الشيخ[8]، ليكون حكمهم للبلاد غير مباشر بل بواسطة أهلها أنفسهم ،خاصة في المناطق الغير الخاضعة و البعيدة[9]، وهذا يعني أن العثمانيون حاولوا خلق إطار لتواصل مع الأهالي عن طريق زعماء القبائل والسلطة الروحية[10].

([1])- فرج محمد الصغير، تاريخ تيزي وزو منذ نشأتها حتى 1954، ترجمة موسى زممولي ،،تالة للنشر،الجزائر 2002، ص52.

([2]) - وشن مزيان ، مجانة عاصمة إمارة المقرانيين ثلاثة قرون من النضال السياسي و الجهاد العسكري القرن 16-19 م ،دار الكتاب العربي، الجزائر، 2005، ص90.

([3])- خالد زيادة، "السلطة المدنية من خلال وثائق المحاكم الشرعية "، **المجلة التارخية المغربية** ،عدد39 -40 ، 1985، ص513

([4])- هلال عمار، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1862) ،د.م.ج ،الجزائر ،1995،ص16.

([5])- سعيدوني، ورقات جزائرية، ص255.

([6])- هلال ، المرجع السابق ،ص17.

* لمزيد من الإيضاح حول السياسة الجبائية أثناء التواجد العثماني بالجزائر أنظر - موساوي القشاعي فلة ،النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني (1771-1837م)،أطروحة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر ،جامعة الجزائر،1989.

([7])- سعيدوني،ورقات جزائرية ،ص254.

([8])- خنوف ، المرجع السابق ،ص52.

([9])- سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1 ،ص210.

([10])- قداش محفوظ ،"الجزائر في العهد التركي"، **الأصالة** ،عدد52 ،1977،ص10 ،11

و في هذا الإطار كل المؤرخون يجمعون أن سلطتهم لم تتجاوز سدس البلاد ،لأن هناك قبائل بقيت مستقلة عنها إستقلالا تاما، وأخرى تربطها بها روابط واهية[1].

فطيلة ثلاث قرون إستعصت على الجيوش العثمانية بعض المناطق التي تقطنها قبائل شديدة المراس، والتي حافظت على إستقلالها بعد فشل العثمانيين في إخضاعها وإستطاعت أن تشكل قوة مضادة مستقلة ،لها حكامها و أنظمتها السياسية و الإجتماعية والإقتصادية، و قد ساعد على هذا الوضع الخطر الإسباني الذي دفع بالعثمانيين إلى عقد الصلح مع هذه القبائل ضمن لها نفوذها وإستقلالها[2]، خاصة بمنطقة القبائل التي لم تكن خاضعة فيما بين القرنين 16 و17 م، بل كانت عبارة عن إمارات مستقلة كإمارتي كوكو وبني عباس لكن مع نهاية القرن 17م عوضت بتحالفات قبلية ذات النفوذ المرابطي[3].

ونتيجة لظهور هذه السلطة الروحية وجدت القبائل ضالتها فيها لإستتباب الأمن[4]، فحمدان خوجة يقول أن:"هذه القبائل وضعت ثقتها التامة بالمرابطين..."[5]، أما الزهار فيذكر "أن سكان تلك الجبال كلهم عصاة لا يتصرف فيهم الآغا أو الباي .بل يتصرف فيهم المرابط "[6]، لأن المرابط وحتى شيخ الجماعة ترتكز سلطته على الإحترام و الوقار والوازع الديني و الأخلاقي ،عكس سلطة القياد التي تعتمد على القوة مثلها مثل السلطة المركزية بالمدينة[7].

لهذا وجدت بعض المناطق الخاضعة للمرابطين كأولاد سيدي الشيخ[8]، التي كان نفوذها بالجنوب الوهراني، تافيلالت، قورارة وحتى الجنوب المغربي[9]، وهي لم تمنح الوجود الفعلي للعثمانيين على أراضيها فلم تكن تدفع للبايلك إلا ستة فرنكات على كل حمولة جمل[10].

لتكون بهذا سلطة المرابطين أهم السلطات التي إعتمد عليها الدايات لبسط نفوذهم وللتفاوض ومحاولة إخضاع القبائل الغير خاضعة[11].

([1]) - جوليان ، المرجع السابق ،ص378.

([2]) - DE GRAMMONT,Op.cit ,pp90,91
([3]) - BOYER ,Introduction …,p312
([4]) - BOULIFA,Op.cit ,pp193,194

([5])- حمدان خوجة، المصدر السابق ،ص88

([6])- الزهار، المصدر السابق ،ص48.

([7])- خنوف،المرجع السابق ،ص42.

([8])- GSELL (S), Histoire d'AlgérieBoivin, Paris, 1927, p 174.
([9]) - G.ANDRE (P.J) , Contribution à l'étude des Confreries religieuses musulmanes,maison de livres ,Alger, 1956,p238.
([10]) - MERAD BOUDIA, Op.cit, p365
([11]) - ROBIN, La Grande Kabylie, p19.

لذا في بعض المناطق ،الداي هو من كان يعين المرابط الذي يحكم مثال ذلك مدينة جيجل التي كان المرابط بها يعين من طرف الداي عن طريق مراسيم كمرسوم عام 1682م ومرسوم عام 1755م* ،وحتى الحامية التركية لم تكن تتنقل عن طريق البر إلا إذا كانت برفقة مرابط ويشيرحمدان خوجة إلى هذا بقوله"كانت الحامية التركية التي تتجه كل سنة إلى حصن بجاية مجبرةعلى أن تكون مرفوقة برجل من المرابطين،إذا لم يكن سفرهاعن طريق البحر"[1].

إضافة إلى سلطة المرابط التي إعتمد عليها الأتراك مقابل إمتيازات تمنح للمرابطين، كان الريف الجزائري خاصة خلال هذه الفترة يخضع لإدارة الشيخ والجماعة، فبعض القبائل كان يتزعمها الشيوخ و الزعماء المحليون الذين توارثوا حكمها إعتمادا على نفوذهم الديني وكفاءتهم الحربية أو أصالة نسبهم[2]، حيث كان الأهالي يخضعون لإدارة وطاعة الشيخ[3]، الذي ينتمي إلى أسرة ثرية ذات إعتبارومكانة إجتماعية، فإن كان شابا يلازمه أحد أقربائه الكبار وتكون له السلطة المطلقة[4].

أما بعض القبائل فكانت تخضع لسلطة الجماعة ،هي نظام متجذر بالجزائر خاصة بالريف، فكانت تعمل على حماية السكان بالريف من السلطة الحاكمة بالمدينة أو ممن يمثلها بالريف[5]، حيث كانوا يحتكمون لرأي أفرادها[6]، و تتكون من رجال القبيلة[7] كبار السن و تعمل على تنفيذ الأحكام وحل الخصومات بين أفراد القبيلة، أما إذا كان الخلاف بين القبائل فتتكون الجماعة من كبار شيوخ هذه القبائل[8].

و بما أن نفوذ هذه التجمعات القبلية الكبرى كان واسعا فبالشرق إمتد على ثلث البايلك مما إظطر البايات إلى الإعتراف بزعامة شيوخها كمشيخات، النمامشة، الحنانشة، الحراكة، أولاد بوعزيز و أولاد عبد النور و أولاد بوضياف بالأوراس بني جلاب وأولاد بن قانة بالزيبان...[9]، وفي نفس السياق كانت منطقة القبائل خاصة هي الجهة التي سادت فيها

---

* - FERAUD, Histoire des villes de la province de constantine.
FERAUD, « L’exploitation des forets », in **R.A**, N°12, 1868, p387

(1)- حمدان خوجة، المصدر السابق، ص89
(2)- سعيدوني /البوعبدلي، المرجع السابق ،ص108
(3) - KEHL, Op.cit ,p33.
(4)- LE PENE, Op.cit, p152.
(5)- خنوف، المرجع السابق ،ص13.
(6)- G.ANDRE, Op.cit, p344.
(7)- حمدان خوجة، المصدر السابق ،ص56.
(8)- خنوف، المرجع السابق ،ص11.
(9)- سعيدوني /البوعبدلي ،المرجع السابق ،ص 108.

تجمعات قبلية كبرى مرابطية، أو غير مرابطية، وقد حاول البايلك كسبها بعدة طرق، كالتقرب من شيوخها ومرابطيها، وإسقاط المطالب المخزنية عنهم، و تقديم الهدايا ومنح فرمانات التولية مقابل تأمين الطرق وجمع الضرائب من المناطق الخاضعة لها، وحتى بخلق التنافس و التناحر بين هذه القبائل،و الهدف من وراء ذلك إفشالها والتحكم فيها.

وبالتالي نستنتج أن الحكم العثماني كان في بعض المناطق بطريقة مباشرة، أما المناطق النائية والمناطق الغير خاضعة كلية، إستعملت لكسب ولائها عدة وسائل سواء كانت عسكرية أو روحية كما سبقت الإشارةإلى ذلك آنفا.

إلا أن ما يهمنا من بين هذه السلطات هي سلطة المرابطين وشيوخ الزوايا، و كيف سعت السلطة المركزية إلى كسب هذه الأطراف ،وهو ما سنراه في الفصل الثاني الذي نحاول فيه إظهار أسباب التقارب بين الطرفين ووسائل و مظاهر هذا التقارب ما نتج عنه وهل إستمر هذا التقارب إلى نهاية العهد العثماني أم لا؟.

الفصل الثاني: ثـ ـقـافـيـا

1- لمحة عن الحياة الثقافية في الجزائر:

لقد كانت الثقافة المغاربية محصورة على الشريعة[1]، لأن الإهتمام كان متعلقا بأمور الدين لكونها قاعدة التكوين في مختلف المؤسسات التعليمية[2]، و لكون التوجيه التعليمي للزوايا خاصة كان ديني أكثر منه أدبي[3].

فانصب إهتمام العلماء على الفقه و التفسير و الحديث[4]، لهذا كانت الثقافة دينية أكثر منهاأدبية[5]، وهي الميزة التي صبغت الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني الذي تميز كذلك بتقلص الحياة العلمية وعدم الإهتمام بالعلماء، الأمر الذي أدى إلى هجرة الراغبين في العلم إلى المشرق، منهم من عاد ومنهم من لم يعد كما إنتشرت البدع وحلقات الذكر و الأوراد وتعددت الطرق الصوفية[6].

لقد سيطر على الحياة الثقافية، التصوف و الدروشة والشروح على أعمال المتقدمين فإبتعد بذلك التصوف عن مفهومه الذي يعني الصلاح، والتقشف الى الدروشة، وقد شاع حتى بين الفقهاء و الولاة أنفسهم فتحولت الزوايا من مركزها الثقافي إلى الخرافة والإنزواء[7]، حتى كادت الحياة الثقافية تخلو من الإبداع و الأصالة و سارت في مجاري التقليد و الإتباع، حيث لم يكن يعني العلم عندهم إكتساب معارف جديدة، بقدر ما كان يعني التمكن إلى أقصى حد من إكتساب ما خلفه السلف[8]، فإعتمدوا التقليد و الحفظ وعدم تحكيم العقل و سعوا إلى تقليد من سبقهم و قد لخص عبد القادر الراشدي* هذا بقوله :

خبرا عني المريد بأني كافر بالذي قضته العقول
ما قضته العقول ليس من الدين بل الدين ما حوته النقول[9]

([1]) - BERQUE, Op.cit,p26

([2])- فركوس صالح، " الباي محمد الكبير ودورفي بعث الحركة الثقافية ببايلك الغرب" **الثقافة**، عدد، 71 1982 ،ص18

([3])- إبن ميمون، المصدر السابق، ص56.

([4])- فركوس، الباي محمد الكبير، ص18.

([5])- إبن ميمون ، المصدر السابق ص56 ،57.

([6])- سعد الله - أبحاث واراء في تاريخ الجزائر ط3 ،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990 ،ج1 ،ص178

([7])- نفسه، ج3، ص 186.

([8])- بروكلمان كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية ترجمة نبيلةأمين فارس ،منيرالبعلبكي،ط1،دارالملايين،بيروت،1948، ص491.

* فقيه مالكي ،أصله من الرواشد (بفرجيوة) تولى القضاء و الفتوى بقسنطينة له كتاب في عائلات قسنطينة و قبائلها و عربها و بربرها، توفي حوالي عام 1112 هـ/1700م

-المراكشي، الأعلام بمن حل بمراكش من الأعلام، الرباط 1983، ج6، ص 164.

- الحفناوي أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، ط2، مؤسسة الرسالة، تونس، ج2، 1982، ص 221.

([9])- إبن ميمون ، المصدر السابق، ص84 – المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، م.و.ك، الجزائر، 1984، ص90.

وهذا دليل على الجمود والخمول و الإعتماد على النقل و التقليد الذي كاد أن يكون أعمى[1]، وقد نتج عن هذا ضعف التعليم بكامل الجزائر وإنتشار التصوف[2]، حيث كان من أبرز تصورات المتصوفة "التوكل على الله" الذي أدى إلى الخمول و الركون الى القدرية هذا أدى حتما إلى إنحطاط العلوم ،فاقتصر العلماء على شرح الحواشي و وضع التقارير على المتون التعليمية ،أما العلوم المساعدة كالنحو و اللغة لا يتعلم منها إلا القدر الضروري لفهم القرآن، والعروض من أجل المنظومات الشعرية و الصوفية، و البلاغة والمنطق للخطب و المواعظ والحساب لقسمة المواريث ؟ و تحديد أوقات الصلاة[3].

لذا نجد بعض الباحثين خاصة الأوربيين منهم يتعرضون الى النواحي الضعيفة كالعلوم الطبية و الرياضيات و العلوم العقلية[4] و في هذا الصدد يقول "د.شو "(Dr.Shaw): " أن الحياة الفكرية مازالت كما كانت منذ وقت طويل في حالة متدهورة، فالفلسفة و الرياضيات والطبيعيات و العلوم الطبية التي إشتهر بها العرب قديما أصبحت الآن من العلوم التي لا يعرف عنها أي شيء"[5]، أما" شالر"فيقول:" أن العلوم غير موجودة و إن وجدت فهي ضئيلة فعلم الطب لا يوجد من يمارسه بإستثناء المشعوذين وكتاب الحروز"[6]، لكن هذا لا ينفي وجود محاولة البعض تكوين فكرة عن العناصر الكيمياوية لصنع البارود ،وكيفية تأثيرها[7]، إضافة إلى تفسير الحوادث الطبيعية تفسيرا علميا ،لكن دون إبعادها عن الخرافات[8]، فعبد الرزاق بن حمادوش كان يحاول التجريب ،حتى قال في رحلته أنه صار عشابا و صيدليا و طبيبا في بعض الأمراض[9].

وقد تجلى هذا الركود الثقافي في قول أبو راس الناصري :" إذ في زمن عطلت فيه مشاهير العلم و معاهده و سدت مصادره وموارده وخلت دياره، ومواسمه وعفت أطلاله ومعالمه، لا سيما فن التاريخ و الأدب، وأخبار الأوائل و النسب قد طرحت في زوايا الهجران ونسجت عليها عناكب النسيان و استوطن فحولها زوايا الخمول... يتأسفون من

---

(1)- سعد الله ،أبحاث وأراء...، ج3، ص187.

(2)- التميمي عبد الجليل، "من أجل كتابة تاريخ الجامع الأعظم"، ص160.

(3)- بل ألفرد، المرجع السابق، ص 408 وما بعدها.

(4) - مزيان عبد الحميد،"المؤسسات الثقافية في الجزائر قبل الإستعمار"، **الثقافة**، عدد22، 1986، ص16.

(5)- Dr. SHAW, Voyage dans la régence d'Alger, trad de l'Anglais par J.Mac.Carthy 2ème ed. Bouslama, Tunis 1980, pp84, 85.

(6)- شالر،المصدر السابق،ص81.

(7)- إبن سحنون،الثغرالجماني في إبتسام الثغرالوهراني،تحقيق وتقديم البوعبدلي مطبعة البعث،قسنطينة،1973 ،ص105،104

(8)- نفسه ،ص204

(9)- سعد الله ،" عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري و رحلته لسان المقال" **الأصالة** ،عدد 38 ،1976،ص،7.

إنعكاس أحوال الأذكياء و الأفاضل..."[1]، كما جاء في بعض القصائد الشعرية نقدا لاذعا للإنحطاط الثقافي والفكري لدى العلماء ونذكرما أورده" الورثيلاني" في رحلته :

واود لوكانت مجالس بينهم بضحين في سبيل الهداية معلما
وشحا الحشا إن لم أجد من عالم يهدي الورى بها و متعلمـ ـا[2]

و يرجع "شو"(Shaw) هذا الجمود الفكري الى النظام الإستبدادي و الفوضى السياسية من إنقلابات و ثورات و هذا حسب رأيه مناف لإنتشار العلوم و الثقافة التي ،تتطلب الإستقرار السياسي[3].

إضافة إلى أن العثمانيون كان إنشغالهم منصبا على التجارة وجمع المال وليس على العلوم[4]، فبعد استقرارهم بالبلاد عملوا على تعزيز الجيش لصد العدو و الإعتراف بسلطتهم من خلال خطب الجمعة التي كانت تقرا بإسم السلطان العثماني و دفع الضرائب للسلطة المركزية[5]. لذا ركزوا إهتمامهم على القرصنة و الأتاوات و الإحتكارات التي أخذت الجانب الأوفر من العناية لما تدره عليهم من فوائد مادية[6]، فحال هذا دون إعطاء الجانب الحضاري الأولوية مقارنة بالجانب العسكري، إضافة إلى أن إسلام الأتراك كان هشا فلم يعطوا أهمية للعقيدة والثقافة إلا إذا كانت لها عواقب على سلطتهم[7]، كما أن عدم فهمهم اللغة العربية حال دون إهتمامهم بالأدباء كإهتمامهم برجال الحرب[8].

كما أن بعضهم كان يتعدى على الأوقاف المخصصة للتعليم حيث يقول "الورتلاني" في هذا الصدد :"فأصبحوا يأكلون منها و ينتفعون بها كالأملاك الحقيقية و هي ليست لهم ...ولكنهم تمردوا و طغوا وجعلوا جميع الخطط الشرعية لهم ظلما وهذا بسبب إندراس العلم و أهله..."[9]، كن هذا لا ينطبق على كل الحكام ،حيث تميز بعضهم بسياسة محكمة وعادلة وإحترام الثقافة.

إلاأن نوعية الحكم المتوجهة أساسا إلى الجهاد البحري تركت الأمورالثقافية لمبادرات الفردية، لشيءالذي ساعد على إنتشارالجهل والخرافة التي أشاعها المرابطون بين الناس،

([1])- الناصري أبوراس، عجائب السفار ولطائف الأخبار ،مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم1632،ص2، 3

([2])- الورتلاني، المصدر السابق، ص 92.

([3]) - Dr. SHAW, Op. cit, p86.

([4]) - Ibid, p71

([5])- قداش ،المرجع السابق، ص 10.

([6])- خيرمحمد فارس، المرجع السابق، ص96.

([7])- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص188.

([8])- إبن ميمون ، المصدر السابق ، ص56، 57.

([9])- الورثلاني ،المصدر السابق ،ص 92.

خاصة في أوساط البدوالذين أقبلواعلى تصديق ماجاؤوا به، فأدى هذا إلى الإنحطاط الفكري[1]، الذي شهدته الجزائر طيلة العهد العثماني.

من جهة أخرى يجب أن نتساءل إذا ما كانت أوضاع الدولة العثمانية في عقر دارها أحسن؟ وهل مارست سياسة ثقافية تعليمية بالمغرب غير التي كانت بإسطنبول فالجواب على هذا الإشكال يكون" بلا"[2]، لأنها حتى في عقر دارها لم تكن لها سياسة تعليمية واضحة وبهذا "ففاقد الشيئ لا يعطيه " و الناس على دين ملوكهم ".

لهذا لا يجب تحميل العثمانيون مسؤولية ظهور التصوف و لا تدهور الثقافة بالجزائر لكن سياستهم أعانت على الإنحطاط[3]، فهم لم يكونوا حاملي مشروع ثقافي، ولم يشكلوا في نفس الوقت عائقا في وجه إستمرار الحياة الثقافية، بل كان بعض الحكام يحترمون العلماء و يوقفون الأوقاف لصالح العلم و مؤسساته فالعلوم الإبتدائية من حفظ القرآن و الكتابة و مبادئ الحساب كانت تدرس في نحو ثلاثة ألاف كتاب[4]، لهذا قال بعض الفرنسيين" بأن الأمية تكاد تكون منعدمة في الجزائر فكل الناس تقريبا يعرفون القراءة رغم عدم عناية العثمانيين بالثقافة كعنايتهم بالحرب"[5].

فبالرغم من فترة الإنحطاط التي شهدتها الجزائر،فلم تمنع بعض علماء الجزائر من البروز في علوم عصرهم، وإن كان عددهم يعد على أصابع اليد[6]، فقد برز علماء أجلاء في الدين إستطاعوا بعصاميتهم و إنقطاعهم للعلم أن يحتلوا مكانة مرموقة بين مشاهير الإسلام وحققوا بنشاطهم الفكري و العلمي ما يظل عبر التاريخ آية بينية على عملهم الدائب، منهم أبوراس الناصري الذي ناظرعلماء المشرق و المغرب، الذين إعترفوا له ببراعته وأجازوه و لقبوه" بشيخ الإسلام"[7]، كما وأنه تناظرمع علماء الوهابية وإنتقدهم[8]، حيث قال:" لقيت علماء الوهابية ثم تناظرنا... فعلمت أنهم خارجون عن المذاهب الأربعة في

([1])- الفيلالي محمد الطاهر، نشأة المرابطين والطرق الصوفية و أثرها في الجزائر خلال العهد العثماني، ط1، دار الفن القرافيكي، الجزائر، 1976، ص29

([2])- هلال، المرجع السابق، 393.

([3])- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص185.

([4])- المدني أحمد توفيق، محمد بن عثمان باشا داي الجزائر(1766-1791)، م.و.ك، الجزائر، 1986، ص62.

([5])- الميلي محمد المبارك، تاريخ الجزائر القديم و الحديث، مكتبة النهضة، الجزائر، 1964، ج3، ص318.

([6])- هلال ، المرجع السابق ،ص393.

([7])- الصديق محمد الصالح، أعلام من المغرب العربي، مؤسسةموفم للنشر و التوزيع،الجزائر،ج1 ،2000،ص13،14

([8])- سعد الله ،أبحاث وأراء ...ج1 ،ص91 . –بوعمران الشيخ ،"الشيخ أبوراس الناصري ورحلته الثقافية" محاضرات الموسم الثقافي ، منشورات المجلس الإسلامي ،الجزائر، 1999-2000 ،ص38.

الفروع"[1]، و لسعة حفظه لقبه شيخ الأزهر عبد الله الشرقاوي "بالحافظ"[2]، و لما حلّ بالمغرب طلب منه السلطان مولاي إسماعيل البقاء لكنه إعتذر[3]، وكان يجتمع عندة أحيانا سبعمائة و ثمانون طالبا الأمر الذي جعل بايات وهران يضعون له كرسيا ليستعين به على الدرس[4]، أما يحي الشاوي* هو الآخر ذاع صيته في إسطانبول لمشاركته في المناظرات و الدروس[5] لذا كرمه السلطان العثماني، كما وأنه حظي بمكانة معتبرة في مصر بعد ما تصدر للإقراء بالأزهر و التدريس بعدة مدارس كالأشرفية و السليمانية والصرغتمشية**، حتى سمي "أمير ركب حج المغاربة ."[6]

و نجد من علماء الجزائر من أجاز حتى الحكام كعيسى الثعالبي***، الذي أجاز السلطان العثماني أحمد باشا نعمان[7]، وهناك من علماء الجزائر من تطلع لدراسة أمور خارج إقليمه كإبن سحنون الذي إهتم بأحداث عصره، وسجل في كتابه "الثغر الجماني " أخبار الثورة الفرنسية[8]، إضافة إلى أن بعض العلماء ممن هاجر إلى الأقطار أخرى وحظي بمكانة مرموقة مثل العالم" عبد القادر بن محمد الراشدي" الذي تولى قضاء مراكش[9]، وحتى رواق المغاربة بالأزهر، شهد عشرات الطلبة الجزائريين الذين نالوا شهرة علمية بعد تخرجهم مثل "أبو العباس المغربي" (ت 1787م) الذي أذن له شيخه "الصعيدي" بتدريس المغاربة في رواقهم، وقد أسندت له المشيخة بعد موت شيخه لكن هناك من تعصب ضده فتنازل له السيد"عمر افندي الأسيوطي" عن إدارة أوقاف مدرسة الجوهرية فقطع معاليم المستحقين[10].

([1])- الناصري، المصدر السابق، ص26

([2])- الناصري أبوراس، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته تحقيق محمد بن عبد الكريم، م.و.ك، الجزائر 1996، ص114.

([3])- نفسه ،ص 86.

([4])- نفسه،ص 22.

*هو فقيه مالكي عمل مقرئ بجامع الأزهر.

([5])- الحفناوي، المرجع السابق. ج2، ص191.

** الصرغتمشية أسسها يوسف صرغتمش الناصري (757هـ/1356م)وتعرف بجامع صرغتمش

([6])- الحفناوي ج2، ص192.- بوعمران الشيخ و آخرون، معجم مشاهير المغاربة، منشورات دحلب، الجزائر،ص301 وما بعدها

*** هو عيسى بن محمد من نسل عبد الرحمان الثعالبي من كبار فقهاء المالكية توفي سنة1611م أنظر-معجم مشاهيرالمغاربة، ص128، 129. الحفناوي، المرجع السابق، ج1، ص77.

([7])- سعد الله ، ابحاث و أراء ج1، ص194، 201.

([8])- أنظر كتابه- الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني

([9]) - حركات إبراهيم ، التيارات السياسية و الفكرية بالمغرب خلال قرنين و نصف قبل الحماية ط1،مكتبة الدار البضاء، المغرب، 1985، ص23.

– أنظر المراكشي عباس بن إبراهيم ، الأعلام بمن حل بمراكش من الأعلام،الرباط 1983، ج6.

([10])- الجبرتي عبدالرحمن،عجائب الآثار في التراجم و الأخبار،ضبطه وصححه إبراهيم شمس الدين، دارالكتب العلمية، بيروت،1997،ج2 ، ص.44.

- عزباوي عبد الله ،"الروابط الثقافية بيم مصر وبلاد المغرب خلال القرن 18م"، **المجلة التاريخية المغربية**،عدد، 19،20، 1980 ،ص248.

كما تولى كذلك العديد منهم أعلى المناصب بالأزهر و القاهرة، كالتدريس و حتى الإفتاء، فمثلا الشيخ محمد بن حسين الجزائري (ت 1187هـ/1773م) منح نيابة التدريس من طرف شيخه بمدرسة الصرغتمشية ،فكان يدرس فيها صحيح البخاري كل جمعة، ومنهم من تولى كذلك القضاء و الإشراف على مكتبات القاهرة وبرعوا في العلوم المنقولة و المعقولة(1)، وكانت المناقشات العلمية في رواقهم على أشدها(2)، حتى أن بعض من الحجاج الجزائريين من يجتهد بحثا عن المخطوطات النادرة ليعود بها إلى بلادهم(3)، وحسب الجبرتي فإن أحد الحجاج حاول إغوائه لشراء نسخة من كتاب في الفلك و رثه عن أبيه، لكنه رفض عرضه، وقد ذكر أن هذا الحاج عاد إلى الجزائر ومعه عدّة كتب ونسخة من هذا الكتاب لإبراهيم الزمردي ،إشتراها بعشرين ريال(4).

و الملاحظ أن بعض العلماء تطلعوا إلى الأفضل من خلال اللقاءات و المناقشات التي يجرونها مع علماء مختلف البلدان العربية(5)، و منهم من تناول قضايا عصره كإبن سحنون الذي تكلم عن الثورة الفرنسية.

وتجدر الإشارة أن إيالة الجزائر إشتهرت بها عدّة حواضر ثقافية كانت مركز إشعاع ديني وثقافي، كمدينة قسنطينة التي يقول عنها "قفارل" (Gaffarel) :" إن قسنطينة كانت على عهد الأتراك عاصمة دينية ،وكان العلماء بها يتمتعون بالسيادة المطلقة، والنفوذ التام، كماكانت غاصة بعدد كبير من الطلبة ينهلون العلم من خمسة عشر مدرسة للعلوم الدنيوية والآخروية ... إن قسنطينة كانت مبعث نور الجزائر ،كما كانت تشرف العلماء و تقدرهم حق قدرهم "(6).

أما مدينة مستغانم فقد عرفت إشعاعا ثقافيا خاصة عندما أصبحت مقرا للبايلك في عهد الباي بوشلاغم بعد سقوط وهران عام 1732م، وبرز فيها عدد هام من رجال القضاء و الفقهاء(7) كمحمد بن حواء الأديب والناظم من مؤلفاته كتاب في"الحكمة" و"الغوثية

---

(1)- عبد الرحيم عبدالرحمن، " دورالمغاربةفي تاريخ مصرفي العصرالحديث"، **المجلة التاريخية المغربية**، عدد، 11،10، 1978، ص64، 65.

(2)- الورثيلاني، المصدر السابق، ص70.

(3)- فالونسي لوست، المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر،ترجمة إلياس مرقص،ط1،دار الحقيقة بيروت،1980، ص104.

(4)- الجبرتي، المصدر السابق ،ص 74. - عزباوي عبد الله ، المرجع السابق ، ص246.

(5)- إبن سحنون ، المصدر السابق ،ص228.

(6)- GAFFAREL, Op.cit, p123.

(7)- BODIN (M.), " Traditions indigénes sur Mostaganem et Tadjedit " in **B.S.G.A.O**,1925 ,p3.

الكبرى"[1]، وكما أن عدد المترددين على طاب العلم بمدن تلمسان و معسكر ومازونة كان هاما جدا مما جعلها تشكل مراكز علمية و ثقافية كبرى[2].

في حين أن مدينة الجزائر كانت مقصدا للطلبة سواءَ من داخل أو خارج الجزائر فحسب الدكتور سعد الله، "فإن دروسها كانت تفوق أحيانا مساجد المشرق"[3]، رغم أنها تفتقر إلى معهد رئيسي يضاهي القرويين و الأزهر و الزيتونة[4]، التي كان تأثيرها واضحا على حواضر الجزائر، و مثقفيها سواءعن طريق الإحتكاك بخريجي هذه المعاهد خلال رحلات الحج أو عن طريق البعثات العلمية، خاصة تلك التي كان يرسلها الباي محمد الكبير تشجيعا منه للحركة العلمية، كما إستفادت الجزائر ،خاصة منطقة الغرب من تراث و ثقافة المهاجرين الأندلسيين[5].

ورغم ما قيل عن العهد العثماني في المجال الثقافي، إلا أن حركة التأليف كانت نشيطة، بحيث لا نكاد نجد عالما إلا وله تآليف كثيرة و في شتى العلوم، ومن أشهرهم في هذه الفترة، أبوراس الناصري وأحمد البوني وإبن العنابي صاحب كتاب "السعي المحمود" وإبن حمادوش[6]، الذي تعد رحلته "لسان المقال " من أهم المخطوطات لأحوال القرن 18م بالجزائر، حيث إعتمد في مصادره على التجرية الشخصية و النقل من الوثائق أو المشافهة[7]، وميزتها كونها مغربية بحتة وخالية من الصبغة الأدبية التي طغت على رحلة إبن عمار "نحلة اللبيب .." وخالية من الخرافة و الكرامات التي جاءت في رحلة الورثلاني[8].

كما أن إهتمام العلماء بالتاريخ كان لأستخلاص العبر و الدروس مما سبق فنجد منهم من أِرّخ للجزائر و غيرها من الدول الأخرى كالفاطمية، و المغرب الأقصى، ومنهم من إهتم بنسب القبائل و التأريخ لها[9]، و التعريف بحكامها و ملوكها و دورهم التاريخي[10]، لهذا

([1]) - نويهض عادل ،معجم أعلام الجزائر، بيروت منشورات المكتب التجاري بيروت، 1971،ص177.

([2]) - FEURE BIGUET (G.), " Notice sur le cheik –Abou –RAS-EN –NASIRI" in **J.A**, 9ème série, 1899, p92.

([3])- سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1،ص273

([4])- إبن سحنون، المصدر السابق، ص69.

([5])- نفسه، ص 58

([6])- سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ص294.

([7])- سعد الله ، عبد الرزاق بن حما دوش ص11.

([8])- نفسه ص22

([9])- الناصري، عجائب الأسفار. ص14 وما بعدها.

([10])- إبن سحنون ، المصدرالسابق،ص،436،437.

إنبثق نوعان من الكتب "التراجم" التي تعني بسير الأولياء و الصوفية والعلماء و"الأنساب" التي تندرج ضمن التراجم لكنها تعني بالعائلات و الأشخاص ذوي النسب الشريف(1).

و يعتبر فتح وهران الثاني* حدثا هاما نوه به الكثيرون و مجدوا صانعه الباي محمد الكبير، الذي كلف كاتبه الخاص المصطفى بن عبد الله المعروف بابن زرفة بتسجيل حوادث الفتح ،ليسجل هذا الأخير "الرحلة القمرية في السيرة المحمدية" و نجد كاتبه الثاني إبن سحنون الذي يعد أبرز من خلد هذا الفتح ومناقب الباي محمد الكبير فسمى مؤلفه" الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني"، و الشيئ نفسه يقال عن أبي راس الناصري الذي خلد الفتح شعرا بوضعه قصيدة " نفيسة الجماني في الثغر الوهراني"(2)، هذا إضافة إلى مؤلفات أخرى جعلت من أعمال الباي موضوعا لها، كمؤلف "رحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي للكاتب إبن هطال الذي رافقه في رحلته لإخضاع القبائل المتمردة بالأغواط و عين ماضي(3).

و الملاحظ أيضا أن حواضر الجزائر لم تعرف إزدهار علوم الدين و اللغة فقط، بل هناك مواد أخرى كانت تدرس كالشعر الفصيح و كذلك الملحون الذي برز من خلال حلقات المداحين التي إنتشرت كظاهرة ثقافية و يكفي أن نذكر أن طريق قدوسي المداح الموجود بمستغانم " ترجع تسميته إلى تجمع المداحين حول مياه الواد لإسماع الناس الشعر(4).

وكما شاعت حركة التأليف شاعت أيضا حركة النسخ كوسيلة لإنتشار الكتب وأحيانا كانت بتشجيع من الحكام كالباي محمد الكبير الذي شجع الطلبة و كتابه على نسخ الكتب وإختصار ما طال منها ،وكان يكافئهم بسخاء(5).

إن الإهتمام بالتعليم لم يقتصر على الحواضر الكبرى فقط ،بل حتى سكان الأرياف إهتموا بالتعليم خاصة بعد هجرة بعض العلماء إلى داخل البلاد و تأسيسهم للزوايا(6)، حتى أصبحت هذه الزوايا خاصة بالصحراء عبارة عن مدن كعين ماضي و تماسين وطولقة(7).

---

(1)- بل ،المرجع السابق ،ص 416،415.

*كان الفتح الثاني لوهران 1792م على يد الباي محمد الكبير.

(2)- سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ج2 ،ص284.

(3)- سعيدوني ، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر ،الفترة الحديثة و المعاصرة ،م.و.ك،الجزائر،1988،ص 250.

(4) -BODIN,Traditions indigenes… ,P 65.

(5)- إبن سحنون ،المصدر السابق ،نص146.

(6)- العيد مسعود،" المرجع السابق ،ص305.

(7)-بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1979، ص 305.

إذا فالتعليم كان منتشرا تقريبا في كامل أنحاء البلاد لكنه بقي تقليديا[1]، و غاب عليه التصوف الذي راج في هذا العهد، وكان على نوعين تصوف راق يبحث في الروح والعقل وأمورالعبادة وتصوف منحط أو شعبي ،هذا الأخير يهتم بالكرامات و عبادة المشايخ وهو أقرب إلى الخرافة منه إلى العقل، و الملاحظ هوأن هذا النوع الأخيرهوالذي غاب على الحياة الثقافية* في هذه الفترة.

2- **التـصــــوف:**

التصوف قديم في الإسلام، ظهر أول الأمر ببغداد[2]. حيث كان المتصوفة الأوائل زهادا منقطعين للعبادة و الإنعزال لكن لما إعتنق الدراويش الأفكار الصوفية التي إنتشرت على نطاق شعبي واسع، أصبحت الطرق الصوفية مؤسسات إجتماعية و مراكز ثقافية وحركات سياسية يحسب لها حسابها[3].

فأصبح الصوفي ولي أو صالح يستقبل البركة التي تنتقل عن طريق الوراثة[4]، حتى أصبحت الطرقية ظاهرة إجتماعية بارزة في المجتمع الإسلامي عامة وهذا منذ القرن 9هـ/15م خاصة -بعد بروز القادرية- و المجتمع الجزائري خاصة بفضل مدرسة عبد الرحمان الثعالبي وأحمد بن يوسف الملياني وأحمد الزروق و هذا يبين لنا أن التصوف قد سبق التواجد العثماني في الجزائر[5].

فمنذ القرن 15م، وبعد تأزم الأوضاع السياسية وضعف الإدارة المركزية وكثرة المظالم و الفساد عرفت الحركة الصوفية تطورا مفاجئا ، فأسس أتباع المرابطين زوايا بالأرياف سهلت من إنتشار الطرق[6]، ليبرز التصوف بذلك بداية القرن 16م بشكل واضح[7]، و يأخذ شكل تثقيفي وروحي و تربوي و سياسي و جهادي[8] كما أصبحت الطرق أشبه بحركات معادية للسلطة خلال هذه الفترة حيث أشاعت الخرافات و البدع

---

(1) -الزبيري العربي،التجارةالخارجية للشرق الجزائري قبل الإحتلال1972-1830 م،ط2،م.و.ك،الجزائر، 1984م،ص 28.

* أنظر حول الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، سعد الله أبا القاسم :كتاب تاريخ الجزائر الثقافي " ج1-ج2،.

(2)- LAYER (E.), Confreries religieuses musulmanes et marabouts : leur etat et leur influence en Algerie, Imp . Gagniard, Lyon, 1916, p10.

(3) - المحافظة علي، الإتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (1798-1954)، الإتجاهات الدينية و السياسية و الإجتماعية و العلمية، الأهلية للنشر و التوزيع،بيروت ،1978،ص17.

(4) - LAYER , Op.cit ,p10.11.

(5)- سعد الله، الجزائر الثقافي ،ص187.

(6)-نفسه ،ص107.

(7)- الفيلالي ، المرجع السابق، ص34

(8) - مزيان ،المرجع السابق ،ص8.

كوسيلة لجاب السكان حولها، كرفضهم الإجتهاد و التفكير و التعليل حتى يصبح المريدين أداة طيّعة فاتخذوا شعار "إعتقد و لا تنتقد" ومن لا شيخ له فالشيطان شيخه"[1]، كما نجد كل طريقةعملت على جلب أتباع لها فالتيجانية مثلا تمنع مريدهامن الإنتقال إلى طريقة أخرى و تعتبر كل من يخرج عنها مرتد عن الإسلام، رغم أنهم يجتمعون في طريق واحد وهو التصوف و هو ما يفسر قول أحدهم:

إتباع أمره   القيـام بحقـ ـه

وحفظ حرمته   ميتا كان أوحيا[2]

وهذا يعني أن المريد يتبع تعاليم شيخه حيا أو ميتا حيث يصبح عبدا له.

ومن هنا إنفصل التصوف عن علوم الدين و تميز بالأذكار و الأوراد و الإعتقاد في المرابط وبات تقديس الأولياء حد العبادة[3]، رغم أن مؤسسوا الطرق يعلنون إتباعهم لكتاب الله، إلا أنهم لا يتورعون عن نشر تعاليم خاصة بهم كثيرا ما إنحرفت عن الدين[4]، حتى وصل عند البعض وسيلة للرشوة و الفساد، وإستغلال العامة [5]، لذا نجد"درمنقهام"(Dermenghem) يقسم المتصوفة إلى صنفين: متصوفة شعبيون إهتموا بالكرامات و المعجزات و الخوارق و متصوفة منضبطون عمليون[6] كان هدفهم فعل الخير و خدمة الناس منهم من تفرغ للعبادة و لم يتخذ لنفسه زاوية ولا قبة بل أتباعه من قام بهذا بعد مماته[7]، و الملاحظ أيضا أن الحركة الصوفية بالجزائر مورست بطريقتين :إما فردية من طرف المرابطين أومن طرف رؤساء الطرق[8]، التي كان يميزها الذكر[9] *

([1]) - الفيلالي ، المرجع السابق،ص35.

([2]) - نفسه،ص61.

([3]) -هويدي يحي،تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية –الشمال الإفريقي–مكتبة النهضة،القاهرة1965، ج1، ص366، 367.

([4]) - الغنيمي عبد الفتاح محمد، موسوعة تاريخ المغرب، دراسة في التاريخ الإسلامي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ج6 ،ص93.

([5]) - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص478.

([6]) -DERMENGHEM, Le culte des saints… p 27.

([7]) - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص490.

([8]) – SIMIAN (M.), Les confréries Islamiques en Algerie (Rahmanya -Tidjanya), A.Jourdan , Alger, 1910, p5.

([9]) - CHARLES (R.), Etude sur l'Insurection du Dahra (1815-1864), Alger, 1846, p35.

*الذكر كهو كلام يقال عند الضريح وعند الصلوات و هو سر بين اعضاء الطريقة.

لقد إختلاط التصوف بالبدعة و الشعوذة و الخرافة[1]، وخرج بذلك عن المألوف من زهد وعبادة و الإنقطاع لله ليتحول إلى دروشة و دجل[2] و التوسل بالأضرحة و القبور والركون إلى الخرافات[3]، خاصة بعدما بجل الحكام أهل التصوف الحقيقي، و الكاذب منهم[4]، حتى وصل الحد "ببوايي"(Boyer) أن قال: " أن المرابطين كانت ديانتهم أقرب إلى الوثنية و اغلبهم مصابون بالصرع و تقريبا هم جهال"[5]، فإنقاد الكثير من السكان خاصة في الفترة الأخيرة من التواجد العثماني للشعوذة و الإيمان بالخرافات التي نشرها رجال الطرق الصوفية بإسم الدين و بتواطئ مع السلطة فاستفحل أمرها و صارت مبعثا للفوضى في البلاد[6]، فتحول الكثيرون من العلم إلى الخرافة و من الولاية إلى الشعوذة وحل السحر محل العلم .

فإذا كان علماء الجزائركإبن الفكون وإبن العناني يرون في هذا زندقة ودجل، فالأروبيون يرون في هذه الخرافات تخلف عقلي و إجتماعي[7]، لهذا لا يدهشنا قول "شو"(Shaw) حين قال:"أن علوم أهل الجزائر لا تتعدى السحر وأن علماؤها المرابطون و الدراويش سحرة[8]، لأنه في المقابل حين كان علماء أوربا ينادون بالحرية العقلية و يبدعون في العلوم و الفنون لفائدة الإنسانية، كان مرابطو الجزائر ينشرون البدع، و الخرافات[9].

لقد استأثرالمتصوفة بإهتمام الناس لسذاجتهم التي أدت حتى إلى دخول النساء[10]، فكان الناس قبل ذهابهم إلى الحج يطوفون على كل مرابطي المنطقة ويقومون بالوعدة[11]، كما يزورون زوايا المرابطين و الطرق للتبرك[12]، إلى درجة وصل بهم الإعتقاد إلى أن ماء الزاوية يبرئ من العقم و يحفظ الأولاد من الحمى[13]،

([1])-سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1،ص490.

([2])-الجيلالي ،المرجع السابق، ص513.

([3])- إبن ميمون، المصدر السابق ص48 .

([4])- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1،ص467.

([5]) -BOYER(P.) La vie quotidienne à Alger a la veille de l’Intervention française, Imp.nationale monaco, 1964, p80.

([6])- الزبيري ، التجارة الخارجية ...،ص27.

([7])- سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص482.

([8])- Dr SHAW,Op.cit ,p101

([9])- سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1،ص482.

([10])- LAYER, Op.cit, pp19.20

([11]) - FERAUD (C.H), Histoire des villes de la province de Constantine, Bougie, Arnault, Paris, 1869, p16.

([12]) - LAYER, Op.cit ,p23.

([13])- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 ،ص270.

إضافة إلىالإعتقاد في بركة لعاب الصوفي للذي لا يعيش له أولاد[1]، كما نجد من النساء من يقدمن القرابين و يوقدن المصابيح و يضعن الزهور عند الأضرحة بنية إبعاد المصائب[2]، حتى وصل الحد أن سئل أحدهم عمن هو أعظم الله أم المرابط سيدي محمد أمقران ؟ فأجاب بدون تردد بأنهما الإثنان عظيمان ،لكن سيدي أمقران نجد عنده الخبز والمأوى" ففي الواقع العامة كانت تخاف الولي أكثر مما تحبه أو بالأحرى تحبه وهي خائفة منه[3]، هذا بالإضافة إلى أن الإعتقاد بحماية المرابط و المتصوفة كانت مدركة لدى الجميع، حكاما و أهالي حيث كان لكل مدينة مرابط يحميها كان حياأوميتا[4].

ومن هنا تبرز لنا الأبعاد اللامتناهية لتكريم أضرحة المرابطين المتصوفة في الأوساط الإجتماعية[5]، حيث انتشر التصوف في الجزائر شرقا وغربا، وكان جل المنخرطين فيه من حفظة القرآن ذوي مبادئ فقهية و عقائدية ،وكان الفقهاء في طليعة المثقفين يتمتعون بالقيادة الروحية في المجتمع رفقة شيوخ الطرق مقدومها"[6].

و بهذا إعتبر التصوف جزءا من ممارسة العلم ،لذا كان علماء الجزائر يأخذون العهد عن شيوخ الطرق عندما يقصدون المغرب أو المشرق لطلب العلم ،كما كانت زيارة ضريح سيدي عبد القادر الجيلاني ،وتقديم الهدايا الثمينة لحراسه تعد جزءا مكملا لحجهم و رحلاتهم[7]، كانوا يتباهون بأخذ الطرق و الأذكار[8]، إلى درجة لم يكن هناك فاصل بين الفقية و الصوفي حيث تقمص الفقهاء شخصية الصلحاء وانتظموا في الطرق الصوفية، كما أن الصوفي درس الفقه و الفقيه درس التصوف[9]، وهي ظاهرة العصرآنذاك.

لذا إعتني كثيرا بدراسة التصوف من مناقب وأذكار و علوم أهل الباطن ،فنجد الكثير من المدرسين يدرسون التصوف في مجالسهم العلمية، فمثلا الورثيلاني كان يجتهد في دراسة التصوف إستناد لقول الإمام مالك: " من أن الصوفي الذي لا يتعلم الفقه يعتبر زنديقا وأن عالم أصول الدين الذي لا يدرس التصوف يعد فاسقا"[10]، لذا نجده في رحلته

([1])- الصباغ، المصدر السابق ،ص3.

([2])- سبنسر وليام، الجزائر عهد رياس البحر تعريب و تعليق عبد القادر زبادية ،ش.و.ن.ت، الجزائر، 1980 ، ص 105.

([3])- سعيدوني ، مؤسسة الزوايا في الجزائر العثمانية،ص12.

([4]) - FILALI, Op.cit, p130.

([5])- حركات إبراهيم، المغرب عبدر التاريخ، ط1،دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1985ج3، ص545.

([6])- سعيدوني /البوعبدلي، المرجع السابق، ص137.

([7])- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص513.

([8])- نفسه، ص467.

([9])- حركات، التيارات السياسية ..،ص56

([10])- سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، ص472.

يفتخر أنه زار عدة أولياء، وخص جزءا من رحلته لذكر الأولياء الذين زارهم في المغرب أو المشرق، وقد نعتهم بالعلم و المعرفة مصدقا و مسلما بكرامتهم مثل غيره من العلماء ممن كان يؤمن ببركة الأولياء الصالحين في رد الهجمات الخارجية أمثال الولي دادة وسيدي عبد الرحمان الثعالبي(1).

ومن هذا المنطلق نجد تآليف عدة خلال العهد العثماني لمؤلفين كإبن الفكون والورثلاني وقد سبقهما الصباغ وإبن مريم وغيرهما من الذين أرّخوا للمرابطين والأولياء الصالحين، و تناولوهم بالدرس و التعريف لتراجم الأولياء خاصة الذين عاصروهم(2).

من هنا نستنتج أن التصوف شمل كل الفئات الإجتماعية طيلة العهد العثماني لأنه شاع بين الفقهاء و العامة و حتى الحكام ،فالدارس للحالة الإجتماعية لهذه الفترة يدرك مدى تعمق و تجذر هذه الظاهرة في المجتمع ،حتى أننا نجد من المؤلفين من كانت البدع و الجهل و ركود العلم و الخرافة و التصوف سببا لتأليف مؤلفات مثلما كان الحاللحال لدى الفكون الذي ألف" منشور الهداية" في القرن 17م منتقدا فيه إنحراف المتصوفة عن التصوف الحقيقي وتحالفهم مع الولاة الفاسدين فإعتبرهم "حزب الشيطان "رغم كونه متصوفا*.

و يرجع إنتشار التصوف خلال العهد العثماني إلى بساطة الناس و تصديقهم لخرافة المرابطين، لهذا كثر المرابطين و الزوايا خاصة بعد إختيار الريف كمركز للنشاط وهذا لبساطة عقلية السكان، إضافة إلى تسابق القبائل على إتخاذ مرابط لتدعيم مركزها ،وجلب المنفعة لهاببركته التي جعلت وراثية في العائلة المرابطية، فأدى هذا إلى كثرة المرابطين(3)، الذين يعتبرون من الأشراف أو إدعو الشرف، وهو ما جعل الناس يتسابقون للإنتماء إليهم، خاصة بعد إضطهاد العثمانيين لهم وإرهاقهم بالضرائب، فوجدوا في الطرق الصوفية البديل(4)، نتيجة للفراغ السياسي وقلة الأمن(5)، كما أن تبجيل الحكام للمتصوفة الحقيقي منهم و الكاذب وعدم إهتمامهم بالتعليم سمح بإنتشار التصوف والخرافات، التي أدت إلى إنحدار المجتمع في هوة الشعوذة(6).

---

(1)- نفسه، ص205.

(2)- نفسه ،ص472.

*أنظر حول هذا "ابن الفكون عبد الكريم : منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم و الولاية، تقديم و تحقيق و تعليق د.سعد الله ، ط1، دار الغرب الإسلامي،بيروت، 1987

(3)-الفيلالي ، المرجع السابق ،ص25،24.

(4)- نفسه ،ص59

(5)- سعد الله ، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون ،داعية السلفية،دار الغرب الإسلامي ،بيروت،1986، ص37.

(6)- حليمي عبد القادر، مدينة الجزائر نشأتها و تطورها قبل 1830، المطبعة العربية، الجزائر، 1972، ص271.

و بالتالي ونتيجة للأسباب السابقة إنتشرت الطرق الصوفية في الجزائر شرقا وغربا و التي كان منشأها المغرب الأقصى، ما عدا القادرية التي جاءت من المشرق[1] والتيجانية ومهدها عين ماضي[2]، حيث وجدت بالجزائر ما لا يقل عن 23 طريقة لها 349 زاوية ينطوي تحتها 189. 295 مريد[3]، ويديرها 57 شيخا و ستة الاف مقدم[4]، أي أن ربع السكان منطوي تحت لواء الطرق[5].

وكان أكثرها إنتشارا الرحمانية التي تضم 156000 فرد منهم13 ألف إمرأة[6]، لكن "أندري" (G.André) قدرهم ب236000 فرد، والقادرية كان لها 87000 تابع، أما التيجانية فلها 60000 تابع[7]، هذا بالإضافة إلى الدرقاوية، الشاذلية، الطيبة، الحنصالية و الشابية ... و أغلبها ظهر خلال فترة الدايات.

3- **العلماء و مكانتهم الإجتماعية**

لم تكن فئة العلماء ظاهرة و ليدة العهد العثماني، و لا هي ميزة خاصة بالجزائر دون بقية العالم الإسلامي[8]، رغم أنها شكلت بالجزائرطبقة مميزة، محترمة، موفورة الكرامة، لهذا تقرب منهم رجال السلطة و خشوا بأسهم لقوة تأثيرهم على الأهالي[9].

و بما أن الطابع الغالب في ذلك العصر هو الطابع الديني العلمي، فلم يفصل بين العلم و الدين لأن كلاهما يكمل الآخر، فحسب معيار العصر فالعالم الحق كان عليه أن يكون عالما وفقيها في دينه قبل دراستة أمور دنياه[10]، لذا فكلمة علماء تعني رجال الدين بالمعنى الأدق[11]، لأن الحياة الفكرية كانت دينية صوفية في آن واحد[12]، لهذا فكلمة العلماء تعني رجال الدين أو رجال الشريعة لأنها فئة تمثل أعضاء مجالس القضاء والمراكز الدينية و التعليمية و رؤساء الطرق الصوفية و نقابة الأشراف[13]، فكان رجال الدين هم العلماء بحق،

---

(1)- سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، ،ص467.

(2) - DE NEVEU, Les khouans, ordre religieux chez les musulmans de l'Algerie, 2eme ed , Imp . A.Guiyot, Paris, 1846, p129.

(3) - SIMIAN (M) :Op.cit ,p15.

(4) - DEPPONT /COPOLANI,Opcit, p210.

(5) - Ibid, p212.

(6)- الغالي، الثورات الشعبية في الجزائر، ص151.

(7) - G.ANDRE, Op.cit, p210

(8)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص388.

(9)- المدني، كتاب الجزائر، ص37.

(10)- هلال، المرجع السابق، ص381.

(11) - SHUVAL (T.) ,La ville d'Alger vers la fin du 18eme siècle ,C.N.R .S , Paris, 1988, p120.

(12)- إبن ميمون ، المصدر السابق ،ص48.

(13) - RAYMOND (A.), Grandes villes arabes à l'èpoque Ottomane, Sindbad, Paris 1985, p78

فكل محدث أو فقيه او مفسر يعد في نظر الناس "عالما" و يلقب "بسيدي فلان" وإن جمع بين عدة علوم فهو عالم نحرير وبحر غزير[1].

وقد قسم الدكتورسعد الله العلماء خلال العهد العثماني الى ثلاثة أصناف :

العلماء الموظفون والفقهاء المستقلين لاصلة لهم بالتصوف، ثم العلماء المتصوفة ثم المتصوفة دعاة العلم، والولاية (المرابطين)[2]، هذا من الناحية العلمية أما من الناحية الوظيفية فهم طبقتين : الطبقة الرسمية التي تشمل القضاة و المفاتي و المدرسين ثم الطبقة الملحقة بها من رجال الزوايا و المتصوفة و سلالة الأشراف[3]، المنحدرة من سلالة الرسول "ص" وهم على شكل مجموعات في كل الأحياء تحت رئاسة "نقيب الأشراف" وغالبا ما يكون تابعا لنقيب إسطنبول وقد تولت هذه الأخيرة وظائف دينية[4].

وحسب حمدان خوجة فقد وجد في كل مدينة نقيب للأشراف بمثابة الحاكم الثاني للمدينة، ويختار من الأسر الشريفة، و واجبه كلما حدث أمر هام أن يجمتع في بيته مع شيخ البلد و سائر الأمناء التابعين له من أجل إتخاذ التدابير اللازمة[5]، و قد إشتهرت هذه الفئة بالورع و التقوى وهذا الأمر أكسبهم إحترام وتقدير الحكام الذين سعوا إلى التقرب منهم، ومن هؤلاء الداي بكداش الذي سعى إلى كسبهم، فبنى لهم زاوية خاصة بهم عام 1709م، كما أوقف لها أوقافا[6].

يندرج ضمن فئة العلماء. كما أشرناإليه سابقا المفاتي و الأئمة و الخطباء و الوعاظ و المؤدبون و القائمون بشؤون المساجد[7]، و خدام الأضرحة[8]، إضافة إلى الخوجات والمثقفون الأحرار و المرابطون[9]، الذين سيكون لهم دور بارز في ربط السكان بالسلطة العثمانية.

بما أن أفراد هذه الفئة هم العارفون بالدين فقد تشكل منهم "المجلس العلمي"[10] الذي يعد بمثابة "ديوان المظالم"[1] أو مجلس إستئناف شرعي يحضره الباشا بنفسه[2]، يهتم بالنظر

([1])- سعد الله ، المرجع السابق،ص481.

([2])- إبن ميمون ، المصدر السابق ،ص48.

([3])- البوعبدلي المهدي،" عبد الكريم بن الفكون القسنطيني (988-1073) والتعريف بكتابه منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم و الولاية" **الأصالة**،عدد، 13،1973،ص18.

([4]) - RAYMOND, Op.cit ,p85.

([5])- حمدان خوجة ، المصدر السابق ص125.

([6])- سعيدوني دراسات في الملكية، ص209.

([7])- جيب وباون، المجتمع الإسلامي و الغرب ،ترجمة أحمد عبد الكريم مصطفى، دار المعارف، القاهرة، 1971 ج1، ص48.

([8])- كوثراني وجيه، السلطة والمجتمع و العمل السياسي في تاريخ الولايات العثمانية ط1 ،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت ،1988، ص44.

([9])- سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي،ج1،ص398.

([10]) - VAYSSETTE, Histoire des derniers…, p115.

بالنظر في الخصومات التي ترفع إليه من المحكمة و يتكون من المفتيين و القاضيين من كلا المذهبين إضافة إلى موظفين آخرين[3] كان يعقد كل خمس بمدينة الجزائر[4]، و مقره الجامع الكبير[5]، أما بقسنطينة فيعقد كل جمعة و بحضور الباي[6].

هذا و تنتمي فئة العلماء بالمدن إلى طبقة الحضر التي تأتي في المرتبة الثالثة في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني[7] وهي لم تطمح إلى مناصب سياسية، بل إكتفت بالمناصب الدينية و العلمية[8]، "إذ وجد بمدينة الجزائر وحدها سنة 1830م ثلاثمائة وسبعون موظف أي نسبة 6% من السكان المقدرين ب30000 نسمة[9]، وغالبا ما يزكى أفرادها من طرف الأهالي، لتولي هذه المناصب التي دفعت بالسلطة إلى جعلهم في موقف الوسطية بينها وبين الأهالي، هذا الدور كان يخضع للظروف الإجتماعية و الإقتصادية في المجتمع التي وضعت العلماء في مستويات مختلفة حسب دورهم في الوساط [10]، فعلماء المدن ومرابطيهاكانت لهم وضعية مريحة مقابل حيادهم عن السياسة و إرضاء للسلطة[11]، وهم يترفعون عن علماء الريف و يعارضون توليهم الوظائف، وظهر هذا جليا في قسنطينة وتلمسان، في حين مدينة الجزائر كانت مفتوحة للكل وحتى الأجانب[12].

أما بالريف فكان المرابط ينتمي الى عائلة دينية[13]، و يكون في دائرة ضيقة عن عالم الريف[14]، يعمل على رعاية التعليم و القيام بدور المؤذن و الإمام[15]، إضافة إلى الفصل في الخصومات و الإصلاح بين القبائل[16].

كانت فئة العلماء في الجزائر عربية بإستثناء القضاة و المفاتي الأحناف و يعرفها "أندري ريمون"(Andre Raymond) على أنها "تجمع بشري واسع وغامض و غير متحد

([1]) - غطاس عائشة، "القضاة الأحناف بمدينة الجزائر" **المجلة العربية للدراسات العثمانية،** عدد17-18، 1998، ص 372.

([2])- المدني، كتاب الجزائر، ص37.

([3]) -VENTURE (De .P.), Op.cit, p157 نفسه، ص37 .-

([4])- سعيدوني، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر – العهد العثماني ، ص 155.

([5]) - VENTURE (DE .P.), Op.cit, p157.

([6])- شعيب، المرجع السابق، ص215.

([7])- سليماني أحمد، تاريخ مدينة الجزائر، ا ،مطبعة دحاب، لجزائر، 1993 ص33.

([8])- سعيدوني، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800-1830)، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1979، ص45.

([9]) – RAYMOND, Op.cit ,p80.

([10]) - Ibid, 78.

([11]) - BOYER, Contribution…, pp27, 29.

([12])- سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1،ص398.

([13]) - TRUMELET, Les saints de l’islam …, p49.

(2)-CHAILLON LUCIEN ,L’Algerie en 1781 mémoire de consul .C.Ph VALLIERE.Imp nouvelle, TOULON, …1974, p58

([15]) - LIOREL (J.), Kabylie du Jurjura, Leroux , Paris, 1892, p451

([16]) – TRUMELET, Les saints de l’islam, p49

في نشاطاته"[1]، فهي لم تشكل تلاحم إجتماعي ،بل تنظيم تمثل في مختلف المؤسسات الإجتماعية والإقتصادية لتكون أقل إنفتاحا على المجتمع رغم النزعة الإحتكارية الواضحة لبعض العائلات للوظائف من أجل الإرتقاء في السلم الإجتماعي فكانوا مجرد وسطاء بين الحكام و الرعية[2].

إكتسبت فئة العلماء إمتيازات، بفضل توليها للتدريس و المهام القانونية و الشرعية لكنها أساءت لنفسها ببحثها عن الغنى و المتعة[3]، كما أنها تميزت بسمة بارزة[4]، وهي توريث الوظائف حيث إحتكرت عائلات وظيفة ما لسنوات عدة إعتمادا على علاقة البنوة، الأخوة أو المصاهرة[5]، كما أننا نجد أفراد هذه الفئة في مستويات معيشية متنوعة لهذا كانت عنصر أقل ثباتا في المجتمع حيث أن ثروة فرد عادي قد تصل حتى 652 ريال في حين كانت ثروة عالم لا تتعدى 63 ريال[6].

و قدأ عتبر أفراد فئة العلماء كمرشدين دنيين و إجتماعيين يرتبطون بالمجتمع عن طريق التوعية الفكرية و الدينية وأحيانا يكونوا في وجه الإنحراف السياسي و التقاعس عن الجهاد، والتعسف الضريبي و هذا ما زاد من قوتهم و مكانتهم[7]، لذا مثلوا الرأي العام بالجزائر رغم ترفعهم الطبقي، فصلتهم بالأهالي كانت عن طريق الدروس ومنهم من كان يجلس في المقاهي، و يختلط بالناس، فيكثر عليه الدرس و الخطب فيلفت نظر السلطة فتخشاه[8].

هذا و حظيت هذه الفئة بالإحترام و التقدير من طرف المجتمع، خاصة مع طلبتهم حيث كان أساس علاقتهم الإحترام المتبادل بينهم، لتفانيهم في خدمة العلم و الثقافة[9]، لذا كانوا محل إجلال و تقدير ونلمس هذا من خلال كتب التراجم ومذكرات العلماء حول مشايخهم ،و نستشهد بما كتبه محمد بن علي السنوسي في قوله عن أحد أساتذه " ومنهم شيخنا و شيخ مشايخنا الهمام الحافظ الإمام سيدي محمد أبوراس الناصري..."[10]، كما أن الطبقة الثرية الميسورة كانت تقلد أنماط سلوك هذه الفئة، و كل فرد منهم إذا استقبل عالما عد

([1]) - RAYMOND, Op.cit, p80.
([2]) - SHUVAL, Op.cit, p119.
([3])- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، 439.
([4]) - LAYER, Op.cit, p07.
([5]) - RAYMOND, Op.cit, p80.
([6]) - SHUVAL, Op.cit, p119
([7])- حركات ، التيارات السياسية ،ص48.
([8]) - سليماني ،المرجع السابق، ص71.
([9])- إبن سحنون، المصدر السابق، ص234.
([10])- نفسه ،ص53.

شرفا له[1]، وهذا بحكم تواجدهم في مجتمع يغلب عليه الفراغ الثقافي[2]، كما بعض المصادر أنه أثناء حملات البايلك كان الأهالي يقدمون العلماء أمام المحلة حامليين صحيح البخاري طلبا للأمن لهم و للسكان، وكدليل على الطاعة و دفع الضريبة[3].

أما بالريف فكان المرابط لا يتقاسم الظروف الصعبة مع القبيلة[4]، فهو شخصية رئيسية يستمد نفوذه من نفوذ زاويته ،ونظرا لهذا النفوذ الروحي بين الأهالي حرس آغا العرب و القادة على ربط علاقات تعاون معه آخذين بعين الإعتبار واقع الزاوية الإجتماعي و الإقتصادي وتلبية حاجياتها[5]، لذا نلمس تأثير المرابط جليا في الأحداث التي تمس القاعدة الشعبية[6]، و هو ما منحه إحترام كبير بين الحكام، و الأهالي[7]، وقد فاق تأثيره تأثير الأغوات و القادة في بعض الحالات.[8]

وما يمكن قوله عن هذه الفئة هو أنها كانت نافذة السلطة الحاكمة على المجتمع وهذا من خلال الوظائف التي تقلدتها من خلال مراتب الإفتاء القضاء، الإمامة وغيرها من الوظائف الدينية التي تعد أحد مجالات التعبير عن السلطة المحلية[9].

4- مراكز التعليـم:

لقد تميزت بتعددها سواء في الحواضر أو في الأرياف :

أ- الكتاتب :

الكتاب أو المسيد، هو تصغير لكلمة مسجد[10] كانت بمثابة مرحلة التعليم الأولى أو المدرسة الإبتدائية في عصرنا الحاضر يسمى في الريف "الشريعة" لأنه تدرس به الشريعة

([1]) - BOYER, La vie …., p49
([2]) - LE TOURNEAU (R.), Les villes musulmanes de l'Afrique du Nord. M. de livres, Alger, 1957, p100
([3])- أنظر: إبن هطال التلمساني ،رحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي، تحقيق محمد بن عبد الكريم ،عالم الكتب ،القاهرة،1969.
([4]) - TRUMELET, Les saInts… , p49.
([5])- سعيدوني، ورقات جزائرية، ص283، 284.
([6]) - BROSSELARD, Les khouans constitution des ordres religieux musulmans en Algerie, H .Bourget, Alger, 1859, p22.
([7])- BOYER, La vie quotidienne…., p192. - CHAILLON, Op.cit, p30.
([8]) - RINN, Marabouts et Khouans, étude sur l'islam en Algérie, A. Jourdan, Alger 1884, pp 14, 15.
([9])- كوثراني، المرجع السابق، ص44
([10])- بونار رابح، "الذكرى الألفية لتأسيس مدينة الجزائر"، **الأصالة**، عدد، 8، 1972، ص 84.

أما في المدينة فيسمى "مسيد"[1]، وحسب "بوعزيز " فإنها أسست لتجنيب المساجد ضوضاء الأطفال، و الحفاظ على نقاوتها[2].

وكانت هذه المؤسسة التعليمية منتشرة في كامل البلاد الأمر الذي أدهش الفرنسيين عند إحتلالهم للجزائر، إذ كتب الجنرال "دوماس"(Daumas) تقريرا له : "أن التعليم الإبتدائي في الجزائر كان منتشرا أكثر مما يتصوره الإنسان عموما، فإتصالاتنا بالأهالي في الأقاليم الثلاثة أظهرت أن نصف السكان من الذكور يعرفون القراءة و الكتابة "،كما علقت على ذلك الباحثة "إفون ثوران"(Yvonne Turin) صاحبة كتاب "مجابهات ثقافية بقولها:" إن لم يكن كل الأطفال قد تعلموا القراءة و الكتابة فإنهم جميعا قد مروا بالمدرسة الإبتدائية "الكتاب " وكانوا يستطعون قراءة القرآن في صلواتهم."[3]

وقد خصص الكتاب لحفظ القرآن[4] و تعليم القراءة و الكتابة و بعض مبادئ الحساب[5]، و كان عدد المتمدرسين في الكتاب الواحد بين خمسة عشر وعشرين صبيا[6]، يقضون في الكتاب ثلاثة أو أربعة أعوام[7]، و للذين يرغبون في مواصلة الدراسة يبقوا سنين أخرى لحفظ القرآن عن ظهر قلب أو يلتحقون بالمدرسة أين يتلقون تدريسهم في الفقه و التوحيد و النحو على يد العلماء من أئمة و مفتيين و قضاة[8] هذا في الحواضر أما بالريف فيلتحقون غالبا بالزوايا لإكمال دراستهم الثانوية[9].

ب- <u>المساجد</u>:

كانت المهد الأول للتعليم[10]، فمنذ العهود الأولى للإسلام كانت إلى جانب وظيفتها الدينية تقوم بوظيفة التعليم، و إستمرت على هذا المنوال عبر مختاف الفترات الإسلامية، رغم ظهور المدارس في القرن 5هـ، وبالرغم من الإنتشار الواسع لهذه الأخيرة لم تستطع

(1)- العيد، المرجع السابق، ص61، 62.

(2)- بوعزيز يحي ،" أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19-20م" ،**الثقافة**،عدد63،1981،ص 15.

(3) - TURIN(Y.), Affrontements culturels dans l'Algèrie coloniale (1830-1880), F.Maspero, Paris, 1971, p127.

(4)- سي يوسف محمد، " نظام التعليم في بلاد الزواوة بايالة الجزائر خلال العهد العثماني" **الحياة الفكرية في الولايات العربية** ،ج1، 1990، ص193.

(5) - BOYER, quotidienne …, p199.

(6) - Ibid, p201.

(7) - Dr SHAW, Op. cit, p339

(8) - BOYER, La vie quotidienne…, p202

(9)- العيد، المرجع السابق، ص62.

(10) - Encyclopédie de l'islam, T5, p400

الإنقاص من قيمة المساجد وإنما تعايشت معا في نشر رسالة التربية و التعليم في العالم الإسلامي[1].

كانت المساجدأماكن لأداءالصلاة وتحفيظ القرآن والتعليم،ومعالجة مشاكل الناس[2]، إضافة الى التحريض على الجهاد ضد العدو ،حيث عملت على صهر التناقضات الداخلية في تيار الجهاد، فلا فرق بين تركي و عربي[3]، كما و أن نتائج المعارك كانت تقرأ على منابرها[4].

و بما أن المساجد كانت بمثابة الرابطة بين الأهالي في الريف أو المدينة ،كثرت العناية بها فلا نكاد نجد قرية أوحيا في المدينة من دون مسجد، ومن بين هذه المساجد ما كان يسمى " جامع الخطبة" لأنها كانت تؤدى فيها صلاة الجمعة والعيدين دون غيرها من المساجد التي غالبا ما تنسب إلى مؤسسيها من سياسيين أوعسكريين أو تجار ،بخلاف الزاوية التي غالبا ما تنسب إلى الأولياء الصالحين.[5]

وتجدر الإشارة في هذا السياق إلىأن بناء المساجد كان نتيجة للمبادرات الفردية، لأن الدولة لم تكن تولي الإهتمام لبناء المساجد وغيرها من المؤسسات الدينية ،وما كان يقوم به الحكام من تشيد المساجد وحبس الأوقاف لها من مالهم وأملاكهم الخاصة، كان إلا تعبيرا عن واجبهم الديني[6]، خاصة لما كثرت الغنائم البحرية التي أدت إلى كثرة المساجد في الجزائر[7].

والملاحظ على حواضر الجزائر خلال العهد العثماني كثرة مساجدها التعليمية حيث، إنفردت كل مدينة بجامعها الأعظم، الذي يمثل معهدا للتعليم[8]، كالجامع العظيم في قسنطينة وجامع بجاية وجامع تلمسان و الجامع الأعظم في مدينة الجزائر الذي كان خلال العهد العثماني مركزا للنشاطا الديني والقضائي إذ فاق نشاطه المساجد الحنفية كجامع صفر و الجامع الجديد[9]، وكان مقرا للمفتي المالكي والمجلس العلمي، و منبرا للمناظرات بين

([1]) - العيد، المرجع السابق ص 64.

([2]) - بوعزيز، المرجع السابق ص12.

([3]) - العسلي بسام، الجزائر و الحملات الصليبية (1571-1791)، ط2، دار النفائس، بيروت، ص184.

([4]) – DEVOULX(A.), " Notes historiques sur les mosques et autres édifices religieux d'Alger", in **RA** N° 5, 1861, p390.

([5]) - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1،ص245.

([6]) - سعد الله ، نفسه، ص247.

([7]) - مؤنس حسين،تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح إلى الغزو الفرنسي،ط1،دارالعصرالحديث،بيروت 1992،ج3،ص351.

([8]) -العيد ، المرجع السابق،ص 64.

([9]) - DEVOULX, Notes historiques …., p390.

العلماء، وكسب ود السلطة عند البعض[1]، ننو للفصل في القضايا التي لم تفصل فيها المحاكم[2]. كما مثل منبرا أساسيا معارضا للسلطة أواخر العهد العثماني[3].

هذا ويعدّ الجامع الكبير من أشهر مساجد الجزائر وأكثرها أوقافا إلا أن هذا لم يؤهله ليصبح جامعة كالأزهر والزيتونة و القرويين[4]، وتعد عائلة قدورةأشهر من تولى الإفتاء به، كان يضم المفتي و الوكيل و إمامان للصلوات الخمس و تسع عشرة أستاذ وثمانية عشر مؤذن و ثلاثة وكلاء، واحد منهم نائب للمفتي، ليأتي بعده الجامع الجديد مقر المفتي الحنفي الذي يعد في مقام شيخ الإسلام[5] ويذكر فونتردي بوادي "(Venture De. P.) أنه وجد بمدينة الجزائر وحدها إثنى عشرة مسجد جامعا وعدد من المساجد الصغيرة، أشهرها الجامع الكبير[6]، في حين "دوفو" (Devoulx) يذكرأن عدد مساجد الجزائر سنة 1246هـ/1830م كان 13 جامع خطبة و109 مسجدا و32 ضريح و12 زاوية[7]، لكن "شوفال"(Shuval) يذكر أن بها 14 جامع خطبة[8]. *

أما قسنطينة فحسب الورثيلاني الذي زارها في القرن 18م، يوجد بها خمسة جوامع خطبة[9]، في حين أحصى بها "فيرو" (Feraud) 75 مسجدا وجامعا إضافة إلى سبعة خارج المدينة و هذا الإحصاء كان عهد صالح باي[10]، أما "قايد"(Gaid) فيذكر أن بها قرابة مائة مركز ديني بين مسجد وزاوية و جامع ومدرسة[11]، وبلغت مساجد عنابة 37 مسجدا أشهرها مسجد "سيدي مروان "أما أشهر مساجد بجاية هو ذلك الذي بناه مصطفى باشا، إضافة إلى المسجد الذي بناه أحمد القلي بالقل سنة(1170هـ/1754م) إعترافا منه بمساعدة أهلها عندما كان آغا[12].

كما عرفت حواضر الغرب الجزائري مساجد متعددة بلغ عددها بتلمسان حسب "إيمريت" (Emerit) 50 مسجدا أغلبها صغيرة[13]، لكن هناك من يقدم إحصاء آخر لعدد

([1])- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 259.

([2]) - DEVOULX, Opcit, p170.

([3])- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص246.

([4])- التميمي، المرجع السابق ، ص158.

([5])- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص259.

([6]) - VENTURE, Op.cit, p180.

([7]) - DEVOULX (A.), Les édifices religieux de l'ancien Alger, bastide, Alger, 1870, p03

([8]) - SHUVAL, Op.cit, p192.

*أنظر الملاحق

([9])- الورثيلاني، المصدر السابق، ص685

([10]) - FERAUD (CH.)," Les anciens etablissement religieux Musulmans de Constantine", in **R.A** N°10, 1868, p130.

([11]) - GAID (M.), Chronique des Bays de Constantine, O. P.U, Alger, S.D, p131.

([12])- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص250.

([13]) -EMERIT (M.), l'Algerie à l'époque d'Abd-El Kader, la Rose, Paris, 1951, p82.

مساجد المدينة الذي بلغ 60 مسجدا[1]، أما بمعسكر فأهمها المساجد الثلاثة الرئيسية: مسجد السوق و المسجد العتيق و المسجد الكبير، وقد إستفادت هذه الحواضر من الإصلاحات العمرانية و الثقافية التي بادر بها الباي محمد الكبير الذي شيد المسجد الكبير المعروف بإسمه والذي يعتبر من أروع وأهم مساجد الإيالة[2].

لكن و رغم وفرة المساجد إلا أن بعضها كان في حالة متدهورة، ومنها من لم تكن له أوقاف لصيانته ،فنجد مثلا أن أحمد ساسي البوني يشتكي خراب مساجد عنابة للداي محمد بكداش، فقال :"خربت المساجد وقل فيها الساجد"[3]، كما يقدم الورثيلاني وصفا لبعض المساجد في القرن 18م بهذه العبارات "فلا تكاد ترى في مدائنهم مسجدا عظيما قد أحدث بل و لا مهدما قد جدد و لا واهيا قد أصلح"[4]، و هو يتكلم عن إهمال الحكام عن صيانة المساجد لكن في أواخرالقرن الثامن عشر الميلادي برزت محاولة البعض منهم النهوض بأمور المساجد مثل: صالح باي ومحمد الكبير اللذان عملا على صيانتها وحفظ أوقافها[5]، التي يعود مردودها لصالح العلم وللقائمين عليها.

جـ - <u>الزوايا</u>:

إحتلت الصدارة بين مراكز الثقافة و التعليم خاصة بالأرياف[6]، ويعود هذا الأمر إلى غياب المؤسسات الثقافية الأخرى وهو ما سمح لها بالقيام بوظيفة تعليمية إضافة إلى وظيفتها الدينية.

لقد مثلت الزاوية المسجد و المدرسة في آن واحد[7]، فهي مقر للعبادة و الدراسة، كتدريس علوم الدين و الفقه، ومبادئ القراءة و الكتابة، إضافة إلى كونها مأوى لعابري السبيل[8]، كما عملت على دمج فئات المجتمع بغض النظر عن الإنتماء العرقي أو الجهوي أو حي الإقامة أو المهنة[9].

---

(1) - CONAL (J.), " Monographie de L'Arondissement de Tlemcen" in **B.S.G.A.O** N°VII 1887, p107

(2) - GORGUS (A.)," Notice sur le Bey d'Oran Mohamed El Kebir", in **RA,** N°1, 1866, p408.

(3)- إبن ميمون ،المصدر السابق، ص115، 116.

(4)- الورثيلاني ، المصدر السابق ،ص 266.

(5)- سعد الله، تاريخ الجزائرالثقافي، ج1، ص251.

(6)- سي يوسف، المرجع السابق، ص193.

(7) - EMERIT (M.), « L'état intellectuel, et moral de l'Algérie en 1830 » in **R.T.A.S.M.P**, 2ème semèstre 1954, p10.

(8) - BODIN, Op.cit, p17.

(9) - STAMBOULI (F.) – Zghal (A.), « La vie urbaine dans le Maghreb précolonial », in **ANN .AFR,N**, N°11 , 1972, p207

لقد جمعت الزاوية في تعليمها بين التربية الروحية و العسكرية كونها مبنية على نشر الدعوة الصوفية و التهيئ للجهاد(1)، فهي بديل متطور للرباط(2).

و بالتالي كان إنتشارها كبيرا على مستوى الأرياف خاصة، حيث إنعدمت المدارس، فلعبت دورا هاما في الحياة الثقافية و التعليمية.

و قد ظهرت في المغرب العربي منذ القرن 13م لتحل محل الرباط تدريجيا وإستمرت في التطور حتى إستقرت و ظائفها النهائية في العهد العثماني على يد الطرق الصوفية، والمرابطين(3)، لهذا كان إسم" الزاوية" يطلق على مقر المرابط في حياته أو بعد مماته، ويكون أسسها بنفسه أو أسست على ضريحه(4).

شهدت الزاوية في القرن 15 م نموا واسعا كان كرد فعل على ضياع الأندلس وعلى الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية، حيث عمل شيوخها على إحياء الرباط لتجمع بهذا بين العبادة و التعليم و الجهاد(5)، كما وأنها إستطاعت كسب ثقة الناس و هذا يعود إلى تيسيرها التعليم للجميع إضافة إلى دورها على مستوى العلاقات الإجتماعية من خلال التوسط في قضايا قضائية بين السكان(6).

وقد قسمت الزوايا في الجزائر إلى نوعان: زوايا حرة لا تنتسب إلى ولي أو طريقة صوفية. يدير شؤونها مجلس يتكون من الطلبة، أما النوع الثاني فهو عكس النوع الأول يخضع في تسييره للشيخ المؤسس أو خلفه، كما نجد فيها النوع الخلواتي و الغير خلواتي ،فالأول يدعي شيوخها المعرفة بالأسرار الغيبية لهم مردين وورد خاص بهم، ويسمون بالطرقيين و يقومون "بالحضرة" لهم فروع في كامل انحاء البلاد، أما النوع الغير الخواتي لا يدعي شيوخه معرفة الغيب، وهم أيضا لهم ورد خاص(7).

تتلمذ بهذه الزوايا بها غالبية علماء الجزائر في العهد العثماني أمثال سعيد قدورة، أبو راس الناصري، الأمير عبد القادر، محمد بن علي السنوسي(8)*، حيث كانت تجلب إليها العديد من الطلبة فزاوية سيدي تواتي يدرس بها نحو ما ئتي طالب، وهي مركز لتخريج

---

(1)- مزيان، المرجع السابق، ص18.

(2)- العيد، المرجع السابق، ص69.

(3) - RINN, Marabouts et Khouans, étude sur l'islam en Algérie, A. Jourdan, Alger 1884, Op.cit, pp 173 - 174.

(4)- الفيلالي ، المرجع السابق ، ص27.

(5) - RINN , Marabouts et Khouans, p175.

(6) -BODIN,Op.cit ,p25.

(7)- بوعزيز، أوضاع المؤسسات، المرجع السابق، ص16

(8)-العيد، المرجع السابق ،ص 63.

* هو مؤسس الزاوية السنوسية بليبيا.

القضاة والعلماء لكامل البلاد[1]، في حين كان يدرس بزاوية جماعة الصهاريج خمسمائة طالب و تقوم بالإنفاق عليهم كلهم، أما زاوية نقاوس فهي تنفق على مائتي طالب[2]، أما زاوية سيدي منصور** كان يقصدها من مائة إلى مائة و خمسون طالب وزاوية سيدي عبد الرحمان اليلولي، والتي تميزت بمستوى تعليمي عالي يدرس بها مائة وخمسة وعشرين طالب ويدرس بها خمسة وعشرون مدرسا[3].

كانت الزاوية غالبا ما تضم غرف لإيواء الطلبة و أخرى للدراسة، وتكون تحت إشراف المقدم أو الوكيل[4]، وأما بعض الزوايا فكان الإشراف عليها متوارثا في العائلة، ويساعد خليفة المرابط الذي يتولى التعليم أوالإشراف على مدرسيها الوكيل و عدد من الخدم[5]، كما وجدت بها مخازن للمؤن من أجل تمويل الطلبة و الفقراء[6].

كان من مميزات العهد العثماني في الجزائر إنتشار الزوايا في كامل أنحاء البلاد، خاصة بالأرياف ويعود هذا إلى إفتقارها للمؤسسات التعليمية الأخرى ، إضافة إلى إنتشار الطرق الصوفية التي كان مركزها الزوايا ،فكانت مدينة الجزائر وحدها تضم عدد اكبيرا من الزوايا والأضرحة، فقد أحصى بها "دوفو"(Devoulx) سنة 1830م إثنى عشر زاوية وإثنان و ثلاثون ضريحا[7]، فبالإضافة إلى زاوية سيدي عبد الرحمان الثعالبي وزاوية الولي دادة ،وزاوية سيدي عبد القادر الجيلالي ،هناك عدد كبير منها منسوب إلى الأفراد ومنها ما هو منسوب إلى الجماعة كزاوية الأشراف و زاوية الأندلس[8].

أما مدينة قسنطينة فقد وجد بها ست عشر زاوية ،منها ما كان تابعا للعائلات الكبرى بالمدينة ،مثل زاوية أولاد الفكون وزاوية إبن نعمون وزاوية أولاد جلول[9]، كما إشتهرت أيضا تلمسان بزواياها التي وصلت إلى أكثر من ثلاثين زاوية أشهرها زاوية عين الحوت[10]، إضافة إلى عدة زوايا أخرى بالغرب الجزائري كالزاوية الموجودة في جبل بني

([1]) - FERAUD, Histoire des villes … Bougie, p217.
([2]) - Dr, SHAW, Op.cit, p142.

** أسست مع زاوية سيدي عبد الرحمان اليلولي في القرن 17م و هما تابعتان للطريقة الرحمانية.

([3]) - SALHI (M. B.), "Confreries religieuses et champs religieux en grande Kabyle au milieu du xx[eme] Siècle, La Rahmanyya ", in **ANN.AFr .N** .N°33 ,1994 ,p258.
([4]) - DELPECHE(A.) ," la Zaouia de Sidi Ali Ben Mousa ou Ali N' Founas",in **R.A,** N°18,1874, p87
([5])- الفيلالي ، المرجع السابق ،ص27
([6]) - LAYER ,Op.cit ,pp 21-23.
([7]) - DEVOULX, Les édifices …, p03.
([8])- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص268 - 269.
([9])- نفسه ،ص 264.
([10]) - EMERIT, L'Algérie à l'époque ….,p13.

راشد، و التي كان لها دور بارز في نشر العلم في الريف، وقد تخرج منها عدد من العلماء والفقهاء[1].

وتعد منطقة القبائل أغنى المناطق بالزوايا، حيث تصل حتى الخمسين زاوية أشهرها زاوية "تيزي راشد" المعروفة بزاوية "إبن أعراب " ،وهي الزاوية التي درس بها الباي محمد الدباح، وزاوية الأزهري بآيت إسماعيل[2]، هذا دون أن نغفل الدور الذي قامت به زوايا الصحراء كزاوية عين ماضي التي وصل تأثيرها حتى الحدود الجزائرية المغربية[3] كما كانت هناك زوايا أخرى لها تأثير بارز على الحياة الثقافية و الإجتماعية كزاوية القادرية بالقيطنة، و زاوية قرومة بمنطقة القبائل وزاوية طولقة[4]، وغيرها من الزوايا الأخرى التي هدفنا ليس ذكرها و تعدادها بقدر إبراز دورها في ميدان التعليم، ونشر الدين و التوسط لحل القضايا المدنية أو الدينية و مساهمتها في توطيد العلاقات و الروابط الإجتماعية .

وعلى هذا الأساس عملت الزوايا على تحفيظ القرآن الكريم و نشر التعليم، والإسلام في المناطق النائية كما كانت ولازالت مخازن للكتب و المخطوطات، كما ساهمت في إزالة الفوارق الإجتماعية وتوطيد العلاقات بين فئات المجتمع وحاربت السلطة المستبدة، فالزاوية الواحدة تضم الفقير و الغني، العالم و الأمي لكن إعتمادها للمنهج التقليدي في التعليم أدى إلى الركود و الجمود الفكري و شيوع الدروشة والإنحرافات[5].

تعتمد هذه الزوايا في الإنفاق على المتمدرسين و على العلماء المدرسين بها على أموال الهبات و الزكاة[6]، و الهدايا التي يقدمها أفراد القبيلة إضافة الى ما يجمعه الطلبة من المناطق التي تخضع لنفوذها، دون أن ننسى تبرعات المسافرين و الزوار الذين يقصدونها للتبرك بضريح مؤسسها[7]، كما كانت تخصص لهاأراضي يعود مردودها لصالح المدرسين والطلبة[8]، وغالبا ما تكون هذه الأراضي محيطة بها يشتغل فيها رجال الزاوية[9]، كما تجدر الإشارة هنا إلى أن حبوس الزوايا أماكن لا يجرؤ أحد على التعدي عليها[10].

([1]) - الناصري، عجائب الأسفار، ص105.

([2]) - سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ص 265،266.

([3]) - الشناوي أحمد وآخرون ،دائرة المعارف الإسلامية، مجلد 9،ص203.

([4]) - العيد ، المرجع السابق،ص63.

([5]) - بوعزيز ، أوضاع المؤسسات الثقافية ...،ص19.

([6]) - TURIN, Op.cit, p124.

([7]) - إبن سحنون ، المصدر السابق ،ص78.

([8])- EMERIT, L'état Intellectuel ..,p06

([9]) - MERCIER (E.) , Etude sur la confrerie des khouans de sidi Abd- El Kader El Djellani , Arnolet, Paris, 1869, p17.

([10]) - SAIDOUNI, Op.cit ,p303.

د - المدارس:

تأسست المدارس في المغرب من طرف الموحدين ،حيث أدخلها يعقوب بن يوسف عام 580هـ/1184م[1]، وكان ظهورها بعدما لم يستطع المسجد القيام بكل تلك المهام وغالبا ماكانت تشيد بجوار المساجد[2]، التي و بالرغم من ظهور المدارس إلا أن أنها إستمرت في العمل على أنها أماكن للتعليم حيث لا نجد فرقا كبيرا بينهما[3].

وكانت المدارس تقوم بتعليم الدين و علوم اللغة ومبادئ القراءة و الكتابة[4] والحساب وطرق التداوي[5].

وقد عرف أبوراس الناصري المدرسة بقوله :" المدرسة المتعارفة عندنا الآن وهي التي تبني لدراسة العلم أي تعليمه و تعلمه"[6].

لقد عرفت المدارس إنتشارا واسعا خلال العهد العثماني حيث لا يكاد يخلو حي من أحياء المدن من هذه المدارس، الأمر الذي أذهل كل من زار الجزائر خلال العهد العثماني من كثرة مدارسها وقلة الأمية بين سكانها[7].

لعبت هذه المدارس في المدن نفس الدور الذي لعبته الزوايا في الريف وهي التي كانت تزود الدولة بما تحتاج إليه من الموظفين، وكان تعيين المدرسين بها من طرف الداي و بإقتراح من مدير الأوقاف، وأغلبهم يجمعون بين التدريس و الإفتاء والقضاء[8].

وقد وجدت المدارس في مختلف حواضر الجزائر، فمدينة الجزائر وحدها كانت تحتوي على 229 مدرسة يدرس بها 5583 تلميذ[9]، منها المدرسة القشاشية التي أشاد بها أبوراس الناصري وإعتبرها مركز للتعليم العالي[10].

أما مدارس قسنطينة فلم تكن تقل أهمية عن مدارس مدينة الجزائر،فقد عرفت هي الأخرى إشعاعا ثقافيا خاصة عهد صالح باي الذي أسس المدرسة الكتانية عام 1190هـ/1776م لتعليم مختلف العلوم، وقد جعل لها نظاما خاصا[11]، كما أنه أسس عدة

---

(1) -Encyclopèdie de l'islam , T.5,p403

(2) – بوعزيز،اوضاع المؤسسات، ص19.

(3) -Encyclopèdie ….,p407

(4) -FAURE BIGUET,Op.cit ,p418

(5)- سي يوسف، المرجع السابق ، ص193.

(6)- الناصري، عجائب الأسفار، ص91.

(7) - سعد الله، تاريخ الجزائرالثقافي، ج1، ص274.

(8) - TURIN, Op.cit, pp126, 127.

(9) - Ibid, 130.

(10)- الناصري، عجائب الأسفار، ص91.

(11) - نور الدين عبد القادر ،صفحات في تاريخ مدينة الجزائرمن أقدم عصورها إلى إنتهاء العهد التركي ، مطبعة البعث، قسنطينة 1965،ص 213.

مدارس في "عنابة وجيجل " وكان يلحق بكل مدرسة مسجدا و كتابا ومكتبة(1)، وقد قدر عدد مدارس قسنطينة عند دخول الفرنسيين ب90 مدرسة(2) لكن "إيمريت" (Emerit) يذكر أن عددها كان 86 مدرسة ،يدرس بها 1350 تلميذ(3).

أما مدارس تلمسان فقد بلغ عددها حسب "إيمريت" 50 مدرسة صغيرة مخصصة لـ12000 أو 15000 نسمة(4)، بالإضافة إلى مدرستان للتعليم العالي وهما مدرسة الجامع الكبير ومدرسة أولاد الإمام(5)، يتردد عليها حوالي ألفي تلميذ وستة مائة طالب للمدرستين الأخيرتين(6).

وقد إستفادت مدارس الغرب الجزائري من إصلاحات الباي محمد الكبير، وهذا لتدعيم و تنشيط الحياة الثقافية(7)، حيث أسس المدرسة المحمدية في معسكر لتصبح من أكبر مدارس بايلك الغرب و قد أشار إليها أبوراس الناصري في حديثه عن المدارس(8)، وهي المدرسة التي قال عنها صاحب "الثغر الجماني " كاد العلم أن يتفجر من جوانبها(9).

أما مدرسة مازونة ذات الشهرة المغاربية والتي شيدت نهاية القرن 16م من طرف الشيخ محمد بن الشريف الأندلسي(10)، حيث كانت ملتقى العلماء ومقر للمبادرات الفكرية وقد درس بها عدة علماء بارزون أمثال أبوراس الناصري(11)، وقد إشتهرت بوجه خاص بعلم الفقه و الحديث و علم الكلام(12).

و بالبرغم من كثرة المدارس في الجزائر إلا أنها كانت تفتقر لمؤسسة للتعليم العالي، رغم أن"فونتير دي برادي"(Venture De.P.) يشير إلى وجود ثلاث "جامعات "بها(13)، إلا أنها في الواقع لم تكن بها جامعة بالمعنى الصحيح لأنه لم يكن يوجد بها مدرسة للتعليم العالي تضاهي الأزهر و القرويين و الزيتونة(14).

---

(1)- العيد، المرجع السابق، ص65.

(2)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص276.

(3) - EMERIT, l’état Intellectuel…, p4.

(4) - Ibid, p4.

(5)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص276.

(6) - TURIN, Op.cit, p131.

(7) - GEORGUOS: Op.cit, p410.

(8)- الناصري، عجائب الأسفار، ص78.

(9)- بن سحنون، المصدر السابق ،ص127.

(10) - BELHAMISSI, Histoire de Mazouna, Des origines à nos jours. Imp. Ahmed Zabana, Alger 1982, pp49,50.

(11) - ibid ,p51

(12)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج1، ص285.

(13) -VENTURE(DE. P.),Op.cit ,p156.

(14)- سعد الله، ،تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص273.

هـ - الربـــاط:

إشتهرت الرباطات بحراسة الثغور وهذا منذ أوائل الفتح الإسلامي، وإزدادت أهميتها عندما تكالبت الأطماع المسيحية على شواطئ المغرب العربي و الشمال الإفريقي إثر الحروب الصليبية[1]. فكان الرباط" عبارة عن الإقامة للجهاد ضد العدو بالحرب"[2]، لذا إعتبر المرابطون أو رجال الرباط آنذاك مجاهدون[3].

فالرباطات كانت عبارة عن معاهد دينية[4]، تشبه الزوايا ،غير أنها مواقع أمامية في وجه العدو كان الهدف من تأسيسها هو الجهاد حيث يكون الطلبة جنودا و علماء في نفس الوقت[5]، لكنها لم تكن خاضعة لأي طريقة صوفية ،بل كانت متفتحة على كل التعاليم الصوفية والمجاهدات الروحية[6]. وجل مؤسسيها أو المشرفين عليها كانوا علماء دين[7]، كما أنها كانت مقصدا لبعض العلماء بغرض التعلم و التعليم ،" فالورثيلاني يقول":" كنت أصوم فيها رمضان (بجاية) ناويا للرباط ،مع تعليمي الطلبة راجيا أن يكون لي حظ وافر منهم ونصيب كامل من عندهم ..."[8].

ونظرا لإشتداد الخطر الإسباني إهتم بها العثمانيون[9]، بعدما إنحصرت بالغرب الجزائري لإستمرار التواجد الإسباني في وهران و المرسى الكبير[10]، و كان لهذه الرباطات دورا كبيرا في تحرير وهران بعدما عملت على تضييق الخناق على الإسبان، وإستنزاف طاقتهم الحربية وإرغامهم على الإستسلام[11]، وتجدد الإهتمام بالرباطات عهد الباي محمد الكبير الذي أحي الرباط خلال الفتح الثاني لوهران عام 1792م، حيث جعل التعليم مقتصرا على الرباط، و هذا تشجيعا منه للإلتحاق به من أجل الجهاد و قد وصفه إبن سحنون بقوله :

ورتب المرابطين في الجبل	من كل حبر عن هوى الموت جبل
وكل مقدام وهمام وبطل	منذ بدا باد الضلال و بطل .

---

(1)- البوعبدلي المهدي،" الرباط و الفداء في وهران و القبائل" ،**الأصالة** ،عدد 13، 1973،ص 22.

(2)- التلمساني الزهرة النيرة، ص3.

(3)- مزيان عبد الحميد،"طريق الذهب و طريق الثقافة" **الأصالة**، عدد1971،3 ،ص19.

(4)- المحافظة، المرجع السابق، ص18.

(5)- سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي، ج1،ص272.

(6)- مزيان ، طريق الذهب...، ص18.

(7)- البوعبدلي، الرباط و الفداء ...، ص 255.

(8)- الورثيلاني، المصدر السابق ،ص18.

(9)- البوعبدلي ، الرباط و الفداء ...،ص19.

(10)- إبن سحنون، المصدر السابق ،ص 233. - سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1،ص272.

(11)- فركوس ،المرجع السابق ،ص26.

مؤمرا شيخنا الجلالي محمد الأحق بالإجلال

وقد شارك في هذا الرباط عدة علماء منهم الطاهر بن حواء ومحمد المصطفى بن زرفة، والشيخ محمد بوجلال الذي كان يرأسه حيث كانوا يدرسون و يحاربون[1].

و- المعمرات:

هي عبارة عن معاهد دينية لتعليم القرآن و العلوم عموما إنتشرت في البوادي بمنطقة القبائل خاصة بعد الإحتلال الإسباني لها[2]، وحسب" بوعزيز" فهي تشبه أحيانا الكتاتيب القرآنية و أحيانا تشبه الزوايا الغير خلواتية[3]، وكثيرا ما آزرت الرباط في الحرب[4].

كانت لها أحباس و قوانين داخلية محكمة وهو الفرق بينها و بين الزاوية التي تخضع لشيخ الطريقة أومقدمها، وفي حالة حدوث أي خلاف داخلي يتولى قدماء المتخرجين منها مهمة الإصلاح، و إرجاع الأمور إلى نصابها[5]، فكانت المعمرة تسّير ذاتيا و طلبتها ينقسمون إلى طبقات:

- القداش :هم التلاميذ الصغار.
- الطلبة: وهم فوق القداش سنا وثقافة .
- المقدمون و الوكلاء و الشيوخ الكبار، وهي أعلى طبقة مهمتها تسيير المؤسسة التي يرأسها الشيخ مسن يساعده عدد من كبار الطلبة و المقدمين والوكلاء ،وبالإضافة إلى مهمة التعليم كانت تأوي المساكين وتقدم لهم المساعدات[6].

ي- المكتبات:

لتسهيل عملية المؤسسات السابقة ضمت الجزائر عددا هاما من المكتبات، التي تحتوي على العديد من الكتب التي كانت إما إنتاج محلي عن طريق التأليف أو النسخ، أووصلت الجزائر من مصر و الحجاز و الأندلس[7]، فالتمغروطي يذكر أن مدينة الجزائر في القرن 16م كانت غنية بالكتب "الكتب فيها أوجد من غيرها من بلاد إفريقيا"[8]، أما حواضر بايلك

---

(1)- إبن سحنون ، المصدر السابق ، ص233.

(2)- البوعبدلي ، الرباط و الفداء ...،ص 27، 26

(3)- بوعزيز ، أضاع المؤسسات، ص20.

(4)- البوعبدلي ، الرباط و الفداء ، ص 27

(5) - انفسه، ص27. – سي يوسف، المرجع السابق، ص194.

(6)- سي يوسف ،نفسه،ص194.

(7)-سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج1، ص286، 288.

(8)- التمغروطي أبو الحسن علي، النفحة المسكية في السفارة التركية ،ص139.

الغرب إشتهرت بها مكتبات تلمسان ومعسكر مازونة بما تضمنته من مخطوطات ومؤلفات وقد وصل عدد المكتبات بها 20 مكتبة[1]، منها المكتبة التي أوقفها الباي محمد الكبير على المدرسة المحمدية بمدينة معسكر[2].

و الشيء نفسه يقال عن مدينة قسنطينة التي كانت زواياها و بيوت أسرها تعج بالمكتبات التي حوت كتب المشارقة و الأندلسيين، إضافة إلى المؤلفات المحلية خاص عهد صالح باي الذي وفر الإستقرار و شجع العلماء وجلب الكتب وحبس الأوقاف على الطلبة[3]، وحسب ما أورده"قفاريل" (Gaffarel)" أن أهلها كانوا مولعين بإقتناء الكتب والبحث عن نفائس المخطوطات إن وجدت[4].

فغنى مكتبات الجزائر كان نتيجة إنتشارحركة التأليف و النسخ التي أشرنا إليها سابقا، بالإضافة إلى الكتب التي كانت تصل إليها عن طريق الحجاج و العلماء الرحالة، فالجبرتي ذكر أن حاجا جزائريا حاول إغواءه حسب قوله ليبيعه كتاب في الفلك للسمرقندي، وبعد رفضه إشترى هذا الحاج نسخة منه لإبراهيم الزمردي ب 20 ريال إضافة إلى عدد كبير من الكتب[5]، كما يذكر إبن حمادوش في رحلته عددا من الكتب التي إشتراها، وهو شأن متولي الجامع الكبير في الجزائر الذي إشترى كتبا وصلت قيمة الكتاب الواحد 600 دينار ذهبا و هذا في القرن 17م[6]، لكن شراء الكتب لم يكن دائما للإستفادة العلمية، بل كان عند البعض للتفاخر بها خاصة بين بعض العائلات[7]، وحتى شيوخ القبائل كانوا يقلدون الملوك و السلاطين في إنشاء خزائن الكتب مثلما فعل أبو عبد الله محمد الصخري بن أحمد الشريف، شيخ قبيلة الدواودة المعادية للأتراك[8].

وهناك كتب وصلت الجزائر عن طريق العثمانيين أنفسهم فالقضاة و المفاتي والدراويش الذين يرافقون الجند من إسطانبول، غالبا ما كانوا يحملون مكتباتهم الخاصة معهم[9]، كما إستفادت الجزائر من تراث الأندلسيين الذين هاجروا إلى الجزائر و جلبوا معهم

---

(1) - BELHAMISSI, Op.cit, p37.

(2)- إبن سحنون ،المصدر السابق ،ص127.

(3)- سعد الله ،محمد الشاذلي القسنطيني (1807-1877) ،ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974،ص16

(4) - GAFFAREL, Op.cit, p123.

(5)- الجبرتي، المصدر السابق ،ص74.

(6)- إبن سحنون ،المصدر السابق،ص58.

(7)- سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1،ص 292،293.

(8)- إبن سحنون ،المصدر السابق ،ص594.

(9)– سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص289.

كتب كثيرة وهذا ما أشار إليه التمغروطي بقوله "....وتوجد فيها (مدينة الجزائر) كتب الأندلس كثيرا.[1]

وتجدرالإشارة في هذا الإطار أنه كان في الجزائر نوعان من المكتبات منها العامة والخاصة، وغالبا ما كانت هذه المكتبات بجوار المسجد أو المدرسة، فالمكتبات العامة كانت ملحقة بالمساجد و المدارس و الزوايا، حيث كانت مساجد الخطبة تحتوي على خزائن الكتب التي أوقفت على العلماء و الطلبة، وأشهرها مكتبة الجامع الكبير بمدينة الجزائر ومكتبة المدرسة الكتانية في قسنطينة[2]، وقد ذكر إبن المفتي أن الجامع الكبير على عهده وجد بها حوالي ثلاثمائة مجلد، وهذا بالرغم من الإهمال و التلف و النهب الذي تعرضت له[3]، أما المكتبات الخاصة فعددها كبير جدا ،وتعود خاصة إلى العائلات التي نالت شهرة علمية، و ضخامة مكتباتها يرجع لإستمرارها لعهد طويل، كعائلة الفكون التي تملك أضخم مكتبة وهي مكتبة حمودة الفكون[4]، التي يوجد بها 2500 مجلد[5]، فمدينة قسنطينة وحدها وجدت بها17 مكتبة خاصة حسبما ذكره "قفاريل"(Gaffaral)[6]، أما ببايلك الغرب فقد إشتهرت مكتبة أبوراس الناصري التي حسبها عليه أحد بايات وهران وسماها مكتبة "المذاهب الأربعة"[7]، وكما ذكر "الورثيلاني" في رحلته أن لوالده خزانة كتب لم توجد عند غيره[8].

إضافة إلى هذه المراكز الثقافية و االعلمية، كانت الدكاكين التجارية تستعمل للشراء و البيع نهارا و للمسامرات الأدبية ليلا، وحتى منازل العلماء كانت مراكز يومية يتلقى فيها الطلبة الدروس خاصة في الأماكن التي لا توجد فيه لا زاوية و لا مدرسة للتدريس ويضاف إلى هذا النوادي المنزلية التي تقام في منازل أعيان البلد ،كالدايات و البايات والقضاة و المفاتي ،حيث يجتمع عندهم العلماء لدراسة كتاب ما[9] ، فإبن ميمون* كان له دار كالنادي يجتمع فيها العلماء كابن حمادوش و إبن المفتي**، إبن علي، و إبن عمار[10]***.

([1])- التمغروطي، المصدر السابق، ص139.

([2])- سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص296.

([3])- عبد القادر نور الدين، المصدر السابق، ص150. -سعد الله ،نفسه ،ص300.

([4]) - سعد الله، نفسه 305.

([5]) - GAFFARAL, Op.cit ,p123

([6])- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص301

([7])- الورثيلاني، المصدر السابق، ص285.

([8])- الورثيلاني، المصدر السابق، ص285.

(9)- إبن ميمون: المصدر السابق، ص60.

* فقيه وصوفي ،تولى القضاء عهد الداي بعداش و شغل منصب خطة المواريث ، شهد الفتح الأول لوهران و ألف فيه كتابه التحفة المرخية.."

** هو محمد العربي بن محمد بن علي بن المهدي شاعر وأديب له ديوان شعرفي المدائح النبوية ،توفي 1751م.

(10) - ....أشعار جزائرية ،تقديم وتحقيق سعد الله أبو القاسم،م.و.ك، الجزائر ،1988،ص27.

وتجدر الإشارة هنا بأن معظم الكتب الموجودة في هذه المكتبات كانت كتب دينية في التفسير و الحديث و الفقه و غيرها، وهذا بحكم أن الثقافة خلال العهد العثماني كانت دينية أكثر منها أدبية أو علمية، كماأن الهدف من ذكر هذه المراكز لم يكن بغرض تبيان عددها بقدر ما كان الهدف هو إبراز الدور الذي قامت به من أجل خدمة الدين و الثقافة.

5- **الوقف و دوره في الحياة الثقافية:**

يعتبر الوقف أحد مظاهر الحضارة العربية الإسلامية لأنه يستمد وجوده وإستمراره من الأحكام الشرعية ومن تكافل أفراد المجتمع إستجابة حاجة الفرد و الجماعة[1].

وقد عرفت الجزائر هذه الظاهرة قبل مجيئ العثمانيين[2]، حيث أن الأوقاف تركزت في المدن، قرب المناطق التي يدين سكانها بالولاء للزوايا و الطرق الدينية، وكان أغلبها وقف أهلي*، تتقاسمها المؤسسات الدينية[3]، لأن الوقف الأهلي كان وسيلة للأهالي للحد من جور الحكام، وأطماعهم، وهذا يبرز لنا علاقة الحاكم و المحكوم[4]، أما بالأرياف فكان أغلبها وقف خيري يعود مردودها لصالح المؤسسات الدينية و الثقافية[5]، من زوايا، مساجد وأضرحة.

إن نظام الوقف أوجد نوع من الوحدة الثقافية لأنه المورد الأساسي لهذه المؤسسات[6]، فلا نكاد نجد مدينة أوقرية بالجزائر تخلو منها أملاك ذات مردودية تنفق على المراكز الدينية والثقافية[7]، كما أنها تبقى أبدية لما عينت له فلا يجوزبيعها أو إسترجاعها[8].

هذا و يشرف على إدارة هذه الحبوس مجموعة من الإداريين، منهم الوكيل، عدلين أو مساعدين للقاضي الذين يعينهما بنفسه، حتى يضفيان صفة الشرعية للوثائق المتعلقة بالحبس،

*** هو احمد بن عبد الله عمار المعروف بإبن العباس ،تولى الإفتاء بالجزائر له" الرحلة الحجازية" ،و"لواء النصر في علماء العصر".

(1)- سعيدوني ،" الأوقاف بفحص مدينة الجزائر "،**دراسات إنسانية** ،عدد خاص بالوقف ،ماي2001،ص30.

(2)- الجيلالي ، المرجع السابق ،ص 422.

*<u>الوقف الأهلي (العائلي)</u> : أو الذري او الخاص : مستمد من المذهب الحنفي لأنه يسمح بإنتفاع الواقف بمردوده هو وعقبة .ذكورا أو إناثا حسبما جاء في الوثيقة الوقفية ،وهذا ترغيبا و تشجيعا للوقف ،كما توجد هناك عدة وقفيات بها فتاوي تجيز الوقف الأهلي، <u>أما الوقف الخيري</u> (العام): مستمد من المذهب المالكي ،و تعود فائدته إلى الجهة الموقف عليها.

(3)- سعيدوني ، دراسات تاريخية في الملكية والوقف و الجباية ، دار الغرب الإسلامي، بيروت،2001،ص61.

(4) - نفسه ،ص189.

(5) - سعيدوني، الوقف ومكانته في الحياة الإقتصادية والإجماعية والثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني و بداية الإحتلال الفرنسي، **دراسات تاريخية،** عدد5،1981، ص62 -أنظر المقال في **<u>الأصالة</u>،** عدد89، 90، 1981.

(6)- الميلي، المرجع السابق، ص318.

(7)- مزيان ، المؤسسات الثقافية ...،ص 11

(8) - VAYSSETTE, Histoire des derniers beys… ,p116.

إضافة إلى الخدام كالسايجي، باش شاوش...[1]، هؤلاء الموظفين إحتكرت عائلاتهم الوظائف المرتبطة بالوقف، وأصبح لها نفوذها الخاص، خاصة بعدما وسّع المجلس العلمي من صلاحيات القائمين عليها[2]، حتى أصبحت إدارة الأوقاف إحدى وسائل القوة المادية لهم ووسيلة متوارثة[3].

كما تجدر الإشارة أن الوقف لم يقتصر على العنصر الذكري بل حتى النساء كن يحبسن أملاكهن، إذ يذكر"بويي"(Boyer) أنه وجدت 22 إمرأة حبسن أملاكهن للمسجد الكبير[4]، وهذا دليل على وعيها بأهمية الحبس للفائدة العامة و دليل على تمتعها بوعي ومستوى ثقافي ولوكان أدنى، كما أن هذا كان تقربا من الله.

و الجدير بالذكرأن هذه الظاهرة الحضارية شهدت تطورا بالجزائر خلال العهد العثماني لإعتبارات سياسية وإقتصادية[5]، حتى أصبحت أحباس مدينة الجزائر و قسنطينة و تلمسان أغنى أحباس العالم الإسلامي[6]، و شملت هذه الأحباس و المساكن والدكاكين ومصانع النسيج والأفران، والفنادق والأراضي الزراعية[7]، وحتى الكتب كانت توقف سواء من طرف الحكام أو الأهالي، فهناك من يشتريها و هو جاهل لمحتواها و يوقفها على المساجد كصدقة و تقربا من الله[8].

ويرجع تكاثر الوقف خاصة في القرن 18م إلى فتاوي العلماء التي شجعت من زيادة الوقف خاصة على المذهب الحنفي و الروح الدينية و سياسة الحكام وتأثير رجال الدين والمرابطين، فبقسنطينة نظم صالح باي الأوقاف عملا بنصيحة رجال الدين[9]*، كما أن الظروف الصعبة التي عرفتها الجزائر في القرن 18م أدت إلى تعسف الحكام، وإصدار قرارات العزل والتغريم و المصادرة ، و مد يدهم على ممتلكات الأهالي وهو السبب الذي دفع بهم إلى تحبيس أملاكهم، لأن الأوقاف تخضع لأحكام شرعية تمنع أي تطاول عليها[10]، وبسبب تكاثرها عمد الأتراك إلى تنظيمها ،و هذا بإنشاء إدارة محليةيتولاها المفتي و ينظر

([1]) - Ibid, , p117.

([2]) - سعيدوني ، دراسات تاريخية في الملكية ....،ص186، 187.

([3]) - RAYMOND, Op.cit, p84.

([4]) - BOYER, La vie quotidienne, p73.

([5])- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص227.

([6])- إبن سحنون، المصدر السابق، ص58.

([7]) - FERAUD, Les anciens établissements …, p127

([8])- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص274.

([9]) - سعيدوني ، دراسات و أبحاث ...العهد العثماني ،ص192.

* انظر حول هذه الوثيقة المؤرخة ب1190هـ/1776م.(الملاحق).

- FERAUD, Les anciens Etablissements… pp123, 124.

([10]) - سعيدوني نفسه، ص 176 .

في أمورها مجلس علمي يضم العلماء و تتوزع على عدة مؤسسات دينية تعليمية و خيرية[1]، أهمها :

أ- مؤسسة الحرمين الشريفين:

إستحوذت على غالبية الأوقاف بداخل وخارج الجزائر[2] وقدرها دوفو ب 1558 عقار أي ثلاثة أرباع مجموع العقارات المحبسة بمدينة الجزائر حيث قدر مدخولها سنة 1837 م بـ 143,233 فرنك[3]، أي ما يعادل434,67 غرام ذهب خالص في الفترة 1803-1814م[4] منها 74 منزل و 76 مخزن[5] .

لقد كانت هذه المؤسسة تمثل الوجه السياسي للجزائر في العالم الإسلامي[6]، لأن عوائدها توجه بالدرجة الأولى إلى فقراء مكة والمدينة، ثم إلى المحتاجين بالجزائر[7]، وكذلك لعتق الأسرى المسلمين[8]، كما أنها تنفق على ثلاث مساجد حنفية[9]، كمسجد مغرين، جامع ميزومورطو جامع علي بتبشين[10]، و تشترك مع مؤسسة أهل الأندلس في62 وقف، أما مع الجامع الكبير فتشترك معه في 69 وقف[11].

ب- أوقاف الجامع الكبير:

لعبت أوقافه دورا بارزا في الحياة الثقافية و الدينية و إحتلت المرتبة الثانية بعد أوقاف الحرمين الشريفين[12]، وهي تعني بالمساجد المالكية[13]، وكان عدد أملاك الجامع الأعظم حسب تقرير فرنسي تقدر ب: 125 منزل، و31 دكان و3أفران و 19 بستان و107 إيراد[1]،

([1])- سعيدوني ،دراسات وأبحاث...الفترة الحديثة و المعاصرة ،ص43.

([2])- سعيدوني ، الأوقاف بفحص مدينة الجزائر ،ص 34.

([3]) - DEVOULX , les edifices …,p142

([4])- حموش ، المرجع السابق ،ص20.

([5])- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، ص244

([6])- نفسه ،ص 244.

([7])- سعيدوني ، الوقف و مكانته...ص، 63 .

([8])- سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي،ج1،ص 244 . - سعيدوني ، الوقف و مكانته. ..،ص63.

([9]) - AUMERAT (F.), "La proprieté urbaine à Alger" **R. A**, N° 4 1897, p323

([10])- سعيدوني /البوعبدلي ، المرجع السابق ،ص 25.

([11])- سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1،ص244.

([12])- سعيدوني ، دراسات و أبحاث العهد العثماني ،ص187

([13])- سعيدوني ، الأوقاف بفحص مدينة الجزائر ،ص34.

إيراد[1]، و يستفيد من مداخيل كراءها إمامان و19 مدرس و18مؤذن و8حزابين و13 قيما (خدام)، بالإضافة إلى أعمال الصيانة[2].

بدأ التحبيس به منذ عام 1541/1540م حيث كان رصيده حبسا واحدا ليرتفع بعد 60سنة إلى أي سنة 1600م إلى 13 حبسا ،وما بين عام1601 -1650م وصل إلى 33حبسا، أما سنة 1700م نجد 48 حبسا ليرتفع العدد سنة 1800م إلى 157 حبسا، أما ما بين 1800م إلى 1841م وصل عدد أحباسه 227 حبسا[3].

ويذكرالأستاذ "سعيدوني "كذلك أنه قبل الإحتلال الفرنسي وصلت أحباسه 550 وقفا مقارنة بأوقاف المساجد الحنفية التي تبلغ 331 وقفا[4]، فكثرة أوقافه تعود إلى دوره الأساسي في الحياة الثقافية و الدينية، وإلى كثرة المساجد المالكية بمدينة الجزائر التي وجد بها 92 مسجد مالكي، وكل مسجد يمول من أوقافه الخاصة به، التي تشمل الحوانيت الدكاكين، البساتين ، وكل هذا كان تحت إشراف المفتي المالكي و بمساعدة الوكيل[5].

جـ - **أوقاف سبل الخيرات:**

تذكر المصادر أن مؤسسها كان شعبان خوجة 999هـ/1583م و هي مخصصة للإنفاق على المساجد الحنفية بمدينة الجزائر، و التي يبلغ عددها 8 مساجد وعدد أوقافها331 حبسا منها 119 ملكية عقارية و 212 عناء، مدخولها السنوي 180000 فرنك[6]، وهذا راجع إلى قلة المساجد الحنفية وإلى غنى الأتراك و الكراغلة المنتسبين للمذهب الحنفي، كان يشرف عليها المفتي الحنفي[7]، ويساعده 11 مؤطرا أغلبهم من رجال العلم[8].

مثلما تشرف هذه المؤسسة على الأوقاف الموجهة للفقراء و الطلبة والعلماء، أنشأت كذلك الجامع الجديد الحنفي، و جامع كتشاوة و جامع علي بتشين و جامع باب الجزيرة كما انها تدفع مرتبات حوالي 80 طالب ملحقين بالمساجد التابعة لها[9]، كجامع صفر وجامع دار

(1)- التميمي ، المرجع السابق ،ص 160.

(2)- سعيدوني، دراسات وأبحاث.... العهد العثماني، ص 187.

(3)- التميمي، المرجع السابق، ص19

(4)- سعيدوني /البوعبدلي، المرجع السابق، ص25

(5)- سعيدوني، الوقف و مكانته...، ص 64.

(6)- سعيدوني،دراسات تاريخية في الملكية...، ص 208.

(7)- سعيدوني الوقف ومكانته..،ص 64.

(8)- الجيلالي ، المرجع السابق ،ص 424.

(9)- سعد الله ، اتاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 236، 237.

القاضي، جامع الشبارلية ،حيث تبلغ نفقاتها السنوية 14583 فرنك سنويا، مقابل مدخول يقدر 16000 فرنك[1].

إضافة إلى هذا نجد عدة جوامع حنفية لها اوقاف. مرتفعة مثل جامع ميزمرطو الذي بلغت أوقافه 130 وقف وجامع عبدي باشا 134 وقف أما جامع علي باشا بلغت وأقافه 142وقف وجامع خضر باشا 139 وقف و هذا كان سنة1184هـ/1767م[2].

د- أوقاف الأولياء و الأشراف وأهل الأندلس:

تتنوع أوقاف المرابطين بفحص مدينة الجزائر على تسعة أضرحة مشهورة من بين 19 ضريح منها 18 ضريح بمدينة الجزائر أشهرها أوقاف سيدي عبد الرحمان[3]، التي بلغ عددها بداية الإحتلال الفرنسي 69 وقفا[4]، منها 11 عقار[5]، تدر سنويا 6000فرنك[6]، وتأتي بعدها زاوية الولي دادة[7].

أما الأشراف الذين يتشكلون من 300 أسرة بمدينة الجزائر[8]، كانت لهم إمتيازات معنوية أكثر منها مادية[9]، بنى لهم محمد بكداش زاوية 1112 هـ/ 1709م[10]، عرفت بزاوية الأشراف وقد أوقفت لصالحها أحباس كثيرة.

أما أوقاف الأندلس فلا تقل أهمية عن أوقاف الأولياء والأشراف، وهذا راجع إلى استقرار العديد منهم بالجزائر وامتلاكهم لثروات ضخمة نتيجة نشاطاتهم المختلفة الصناعية و التجارية[11] الزراعية و أعمال القرصنة،وقد خص الكثير منهم جامع الأندلس والزاوية الملحقة به الكثير من الأوقات بلغت 40 ملكية و 61 عناء [12]، تساهم في مجملها بمردود

([1])- سعيدوني ، النظام المالي ،ص146.

([2])- سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1،ص244

([3]) - سعيدوني، أبحاث ودراسات ...الفترة الحديثة و المعاصرة ، ص190

([4])- AUMERAT, Op.cit p 323. – EMERIT, L’état Intellectuel, P5 –KLEIN, Feuillets d’Edjazair, Fountana, Alger 1937, p158.

([5]) - DEVOULX, Les édifices…, p42

([6]) - KLEIN, Op.cit , p158.

([7])- سعد الله، نفسه ،ص242

([8])- سعيدوني ، دراسات تاريخية في الملكية... ،ص208.

([9]) - DEVOULX, Notes historiques…, p205

([10]) - Ibid ,p205 .. سعيدوني :الوقف ومكانته ،ص 65

([11])-موساوي القشاعي فلة،"أوقاف أهل الأندلس بمدينة الجزائر أثناء العهد العثماني"**دراسات إنسانية،** عدد خاص بالوقف، ماي2001، ص170.

([12])- سعيدوني،الوقف ومكانته..،ص65.

مالي قدره"دوفو" (Devoulx) ب 4000 فرنك سنويا [1]، لكنهاتضاءلت أهميتها آواخر العهد العثماني؛ رغم أنها وضعت أموالها لغرض خيري في فترة معينة.[2]

لقد إستعملت الأوقاف في العهد العثماني في عدة أغراض[3]، أهمها تدعيم التعليم بمختلف مستوياته[4]، فكانت مصدر عيش الزوايا، و الأضرحة و مصدر نمو المساجد والمدارس و الكتاتيب، ومعيشة العلماء و الطلبة[5]، بحيث تدفع لهم مرتباتهم من الوقف إضافة إلى أعمال الصيانة و تراث الزرابي، و الأفرشة بهذه المؤسسات ،وكانت كل هذه المصاريف تحت مراقبة القاضي[6].

ولهذا و بفضل الأوقاف لم ير الحكام ضرورة لرعاية المؤسسات الثقافية و الدينية من مال الخزينة[7]، لأن مردودها كان الممول الوحيد لرعاية أماكن العبادة و التعليم ببوادي وحواضر الجزائر، فمثلا مدينة الجزائر كان بها 106 مسجد، المسجد الكبير وحده يقوم بخدمته 19 مدرس و18 مؤذن و 8 حزابيين و13 قيما[8]، أما قسنطينة فبها 35 مسجد و169 زاوية و 7مدارس رئيسية يدرس بها 700طالب منهم150 من الريف لهم منحة سنوية من الأوقاف تقدر ب36 فرنك للطالب[9]، كما أن مسجد صالح باي كان دخله يقدر بـ:491 ريال، في حين مصروفه كان يقدر ب408 ريال[10]، كما كانت زاوية نقاوس تنفق على 200 طالب، ونفس الشيئ بالنسبة لزاوية الصهريج ببلاد القبائل التي ترعى شؤون 500 طالب[11]، أما بمدينة الجزائر وجدت بها ستة زوايا مخصصة لإقامة الطلبة، واحدة فقط مخصصة لطلبة المدينة أما الباقي فخصصت للطلبة الوافدين عليها من شرق البلاد وغربها[12].

---

(1) - DEVOULX, Les edifices..,p175.

(2) - MOUSSAOUI- El KECHAÏ. (F.), « Wakfs et Habous des Andalous à Alger durant la période ottomane, Rôle caritatif et humanitaire ». Communication présentée lors du colloque Intl. "Sur le rôle des fondations Pieuses…" Aix. En.Provence. M.M.S.H C.N.R.S 13-15 Juin 2002.

(3) - RAYMOND, Op.cit, p222.

(4)- العسلي، المرجع السابق، ص166.

(5) - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص230، 231

(6) - BODIN, Traditions indigènes…, p 43.

(7)- سعيدوني ، الوقف و مكانته، ص67.

(8) - DEVOULX, Les édifices, pp80,81.

(9) - EMERIT, L'état intellectuel, p5.

(10)- سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ج1،ص242.

(11) - Dr SHAW، Op.cit, p142.

(12) - EMERIT: L'état intellectuel..….,p5.

الجدير بالذكر أن فائض مردود هذه الأوقاف كان يصرف في إنشاء مراكز جديدة مثلما هو الحال بالنسبة لزاوية الجامع الكبير بمدينة الجزائر، التي شيدت عام 1630م بفضل فائض الأوقاف حيث تضم طابقين من الغرف للمدرسين والمتمدرسين[1].

و بالتالي مما سبق تبرز لنا أهمية الوقف في خدمة العلم الذي كان مرتبطا بالحركة الدينية لذا فإن مردود هذه المؤسسات الوقفية ساعد على توظيف المعلمين و العناية بالمؤسسات الخاصة بالتعليم ودفع أجور الموظفين بها.

الفصل الثالث : وظائف و أجور العلماء في المدينة و الريف

I- وظائف العلماء في المدينة و الريف:

كانت كل مؤسسات الدولة سواء سياسية أو إقتصادية أو ثقافية أو إجتماعية أو قضائية تلجأ إلى خريجي المراكز السابقة الذكر.

وبما أن العثمانيون إهتموا و استأثروا بأمور الحكم من سياسة و إقتصاد، وجيش وإدارة تاركين القضايا ذات الصلة بالدين و الثقافة لفئة العلماء التي إحتكرت الإفتاء و القضاء والتعليم و الإمامة و الخطابة و إكتفى الحكام بتعيين العلماء في مناصبهم أو عزلهم منها، و هذا دون أن يكون لهؤلاء دخل في تعيين الحكام[2]، كما كان يتم عزلهم تبعا لرأي أو شكاوي الأهالي أو بسبب فضائح مختلفة[3]، و أحيانا كان يتم عزلهم دون أسباب مقنعة*.

1- الإفتاء :

كانت أعلى وظيفة يتولاها العالم ،فهي تحتاج إلى العلم و التعمق في المسائل الدينية إضافة إلى قوة الشخصية و النزاهة و الصلاح و الشجاعة[4]، لأن المفتي هو المترجم للشريعة، وهذا من خلال إصداره الفتاوي في الأمور الدينية[5]، و بما أنه في أعلى الجهاز الديني[6] فقد أسند له العثمانيون بالجزائر الرئاسة الدينية و القضائية تقليدا لما كان معمول به في في إسطنبول[7]، و قد كان يختار من الطبقة المثقفة الدينية، وبالرغم من مرتبته العالية إلا أنه لم يكن له أي نفوذ أو تأثير في الأمور السياسية[8].

---

(1) - Ibid ,p5.

(2) - سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1 388،389.

(3) - BOYER , La vie quotidienne …, p78

*انظر الفصل الثالث .

(4)- سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص391.

(5) - RINN, Marabouts et Khouans …, p.7.

(6) - BOYER, Contribution …, pp27, 28.

(7) - ضيف االله عقيلة،" النظام القانوني و نظم تطبيق الشريعة في العهد العثماني"، **بحوث**، عدد 4 ،1997 ، ص 30.

(8) - RINN, Marabouts et Khouans, p10.

وتجدر الإشارة إلى أن وظيفة المفتي الحنفي لم تصبح وظيفة رسمية بالجزائر، إلا بعد مجيء العثمانيين ليلقبوا المفتي الحنفي "بشيخ الإسلام" بعد ما يتم تعيينه من إسطانبول رفقة القاضي الحنفي وهذا لعدم وجود علماء أحناف بالجزائر في البداية[1]، و بعد إنتهاء مهمته يستقر بالجزائر يشرف على مؤسسة سبل الخيرات أو يعمل كخطيب[2]، أما المفتي المالكي فكان يعينه الديوان بالجزائر رفقة موظفي المساجد وهو من يتولى مهمة عزلهم كذلك[3].

كما تجدر الإشارة إلى أن الحكام العثمانيين فضلوا المفتي الحنفي على المفتي المالكي الذي مثل غالبية السكان[4]، ولقبوه "بأفندي" وهو لقب كان يطلق على الداي فقط[5]، كما جعلوا منه المسؤول الديني المطلق[6]، وهذا على غرار ما كان بإسطنبول، وقد خلق هذا الأمر تنافس بين العلماء المالكية و العلماء الحنفية حتى بدى وأنه تنافس مذهبي[7].

و يرجع إهتمام العثمانيين بالعلماء الأحناف إلى كونهم حنفيو المذهب[8]، لكن تعيين المفتي الحنفي من إسطانبول لم يستمر ،حيث بدأ يعين من بين علماء الجزائر الأحناف بعد ما أصبح الباشا نفسه يعين من الجزائر، ويذكر إبن المفتي أن والده حسين بن رجب شاوش كان أول مفتي حنفي يعين من بين أبناء العثمانيين بالجزائر عام 1102هـ[9]، وكان يهتم بالإفتاء في القضايا الخاصة بالعثمانيين و الكراغلة حسب المذهب الحنفي، أما المالكية فكان لهم مفتي خاص يستمد الأحكام من المذهب المالكي[10]، فكان هذا الأخير مقره الجامع الكبير و له مساعدان .

و الجدير بالذكر كذلك، هو أن بعض المفاتي ينيب غيره في الخطابة، و أشهر عائلة تولت الإفتاء المالكي عائلة قدورة ،ما المفتي الحنفي فمقره الجامع الجديد ،وأشهر عائلة تولت الإفتاء الحنفي هي عائلة إبن العنابي[11]، و بالإضافة إلى الإفتاء كان المفتي يتولى التدريس و الإمامة والخطابة[12]، كما كانت توكل له رفقة القاضي تحديد أيام العيدين[13].

---

(1) - سعدالله :تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1،ص 392.

(2) -DEVOULX, Les édifices…, p144.
(3)- BOYER, Contribution…, pp27, 28.

(4) - سعد الله ،نفس المرجع، ج1، ص393.

(5) - حمدان خوجة ،المصدر السابق ،ص12

(6) - سعيدوني/ البوعبدلي ،المرجع السابق ،ص137.

(7) - سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1،ص 404.

(8) - هاينريش فون مالتسان ،ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا ترجمة ابو العيد دودو،ش.و.ن.ت ،الجزائر ،1973،ص21.

(9) - سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1،ص 392 . -نورالدين عبد القادر، المرجع السابق ،ص271.

(10) - ضيف الله ،المرجع السابق ،ص118

(11) - سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي،ج1 ، ص259

(12) - نفسه ،ص393.

(13)- سبنسر، المرجع السابق ص101.

2- القضاء:

تأتي وظيفة القضاء بعد الفتوى من حيث الأولوية، لأنها وظيفة سياسية دينية فقد كان وضع القاضي أهم من وضع المفتي ،لذا بعض الفقهاء كانوا يعتذرون عنها خوفا من عدم التمكن من ممارستها أو لخطورتها(1)، وهذا الأمر كان منذ التواجد العثماني ،فإبن الفكون كان متحفظا من هذه الوظيفة لأنها وظيفة تخدم الحكام و أولياءهم و قد رفضها قبله عمر الوزان(2)*، لهذا يجب أن نشيرإلى أن هذا المنصب كان مدعاة للتنافس بين العلماء لأن فيه الجاه و النفوذ، وأكل أموال الغير، خاصة و أن أغلبهم كان جاهلا بالأحكام الدينية(3)، و بما أن العثمانيين أحناف، فبديهي أن يتخذوا لهم قاضيا حنفيا من أهل مذهبهم بعدما أخذوا مقاليد الحكم(4)، في الجزائر التي كان قاضيها مالكي(5).

هذا و كان القاضي الحنفي يرافق المفتي إلى إسطنبول(6)، و كانت ولايته غيرمحددة(7)، وكان هذا الإجراء معمول به خشية أن يتولى من لا يعرفونه ،حتى نشأ الكراغلة بالجزائر(8) كما أن هذا القاضي المرسل إلى الجزائر كان يأتي من أجل كسب الثروة، حيث كانت مهمته هذه تكلفه الكثير من الرشوة(9)، هذا الأمر حال دون توريث المنصب في أسرة معينة، عكس الوظائف الأخرى(10).

لم يكن يسمح للقاضي بالتدخل في السياسة و إقتصر دوره على الفصل في القضايا حسب ما تقتضيه الشريعة، و يمكن له إصدار حكمه بدون حضور المتخاصمين و لا يسمح له بترك منصبه إلا بإذن من الداي(11)، الذي كان يتدخل في بعض القضايا التي هي من إختصاص القاضي وهذا بإستدعاء الفقهاء إذ كانت ذات خطورة(12).

---

(1) - سعد لله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص394.

*توفي 1537م ،أ نظر،إبن الفكون، منشور الهداية...،ص37،

(2) - سعد الله ، شيخ الإسلام ...،ص 132.أنظر منشور الهداية ، ص 20 وما بعدها

(3) - نفسه،ص394.

(4) - خوجة محمد بن، صفحات في تاريخ تونس نتقديم وتحقيق حمادي الساحلي ،الجيلالي إبن الحاج يحى، ،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص185.

(5) - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص394.

(6) - LAUGIER (De T.), Histoire d'Alger et le Bombardement de cette ville en 1816-Amesterdam, 1725, p235.

(7) - غطاس ، المرجع السابق ،ص374

(8) - نور الدين عبد القادر، المرجع السابق ،ص275.

(9) - Dr SHAW, Op.cit , p166.

(10) - غطاس ، المرجع السابق ،ص374.

(11) - LAUGIER, Op.cit ,p235 -MORGAN (J.), Histoire des états Barbaresques trad. de L'Anglais par M. BOYER, Paris 1757, p251.

(12) - LAUGIER , Ibid ,p235.

و بهذا أصبح في الجزائر قاضيين في كل مدينة رئيسية واحد للمذهب الحنفي و الآخر للمذهب المالكي، و هما يشرفان على مجموعة من القضاة في مختلف الأقاليم(1)، أما الإنكشارية فكان لهم قاضي خاص بهم(2)، بحيث لا يحضر أي أجنبي عند المحاكمة(3)، والشيء نفسه بالنسبة للإباضية التي كان لهم قضاتهم(4)، أما بالريف و خاصة بالمناطق البعيدة عن مركز السلطة كان القضاء فيها يوكل إلى الجماعة المتكونة من الأعيان أو إلى مرابط القبيلة(5).

فالقاضي هو حاكم شرعي له دور هام في المحاكم التي تطرح فيها القضايا المتعلقة بالأهالي في مختلف الميادين ،سواء كانت مدنية أو إقتصادية تخص المعاملات التجارية(6)، كما أنه يلعب دورا في توجيه الوظائف الدينية و الإشراف على الأوقاف وتعيين القائمين عليها(7)، حيث يساعده في مهامه العديد من العدول(8).

3- الخطابة:

تأتي في المرتبة الثالثة بعد القضاء ،وهي تستلزم شروط كالفصاحة وجودة الصوت وسعة الإطلاع، و الجرأة الأدبية و غيرها ،كما أنها كانت محل تنافس بين العلماء شأنها شأن الفتوى و القضاء(9)، كان الخطيب يؤدي صلاة الجمعة و العيدين وأحيانا يعمل كإمام للصلوات الخمس وبعض الخطباء يشغل منصب إمام في مسجد و خطيب في آخر، وكان للأهالي دور في إختيار الخطيب، حيث يرشحونه للباشا إذا إستحسنوا فصاحته و علمه وخلقه(10)، لكن ورغم ما يشترط لتولي هذه الوظيفة إلا أنه في العهد العثماني تولاها البعض وهو جاهل بها مثال ذلك المفتي "عمار المستغانمي" الذي يقول عنه ابن المفتي أنه كان

---

(1) - سعد الله ،المرجع السابق ،ص399

(2) - كوثراني ، المرجع السابق ، ص 46 . -سبنسر، المرجع السابق ،ص 107

(3) - إبن أشنهو عبد الحميد، دخول الأتراك العثمانيون إلى الجزائر، المطبعة الشعبية للجيش،الجزائر، 1972،ص140.

(4) - سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1 ص349

(5) - SAIDOUNI ،Op..cit, pp314 - 315.

(6) - RAYMOND, Op.cit ,p126

(7)- د زيادة ، المرجع السابق،ص510.

(8) - MERCIER, Etude sur la confrerie …, p68.

(9)- سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1،ص359

(10)- نفسه ،ص395،396.

عاجزا عن الخطبة رغم علمه فيصل حتى يتصبب عرقا من شدة الخجل[1]، أما البعض فكان ذا جرأة و فصاحة أثارت مخاوف الحكام[2].

4- **الإمامة:**

يقوم الإمام بأداء الصلوات ويعوضه علماء مشهورين أثناء غيابه[3]، كما يقوم رفقة المفتي بمسؤوليات المكان الذي يشرف عليه[4]، ففي المساجد الكبرى أين تتوزع المهام على أكثر من شخص يقتصر دوره على أداء الصلاة بالناس، أما بالمساجد الصغيرة فهو يقوم بجميع المهام الدينية[5]، و غالبا ما كان يقوم بالتدريس.[6]

5- **الكتاب** :

إتضح إختصاصهم منذ القرن 18م، حيث أصبح لهم نفوذ شرفي وكلمة مسموعة، ومكانة مرموقة، لإزدياد حاجة الدولة إليهم في المحاسبات المالية و القضايا الإقتصادية، فأغلب الدايات يستشيرونهم في أمور الدولة خاصة فيما يخص الأمور المالية للدولة، وهذا لمستواهم الثقافي الراقي وعدم ثقتهم في الموظفين الساميين خاصة في المعاملات التجارية و المالية[7]، وقد كان للداي أربعة كتاب يجلسون على يمينه[8]، هو المعني بتعيينهم أولا يتصرفون إلا بإذنه[9]، وهؤلاء الكتاب هم.

أ- **الكاتب الأول:**

يقول" حمدان خوجة" أن وظيفته " لا تقل أهمية عن وظيفة "شيخ الإسلام " ،التي يضطلع بها المفتي الحنفي الذي يعتبر الشخصية الثانية بعد الداي " فهو الذي يحفظ سجلات محاسبات الدولة الذي يضم سجلات للكتاب الثلاث ،و تثبت فيه القوانين العسكرية وأسماء ورتب الجند أو أجورهم[10]، و يشترط فيه أن يكون عالما وفقيها، ويلقب "بأفندي" نظرا

([1]) - نور الدين عبد القادر،المرجع السابق ،ص283

([2]) - سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ص369.

([3]) - BOYER , La vie quotidienne ; p75

([4]) - Dr SHAW :Op.cit , p165

([5]) - RINN , Marabous et Khouans, p8

([6]) - BOYER, La vie quotidienne…, p75

([7]) - سعيدوني، " موظفو الإيالة الجزائرية أوائل القرن 19 م وصلاحيتهم الإدارية، و مهامهم الإقتصادية والإجتماعية"، **المؤرخ العربي،** عدد 31 ،1987، ص189.

([8]) - بروكلمان ، المرجع السابق ,ص 480.

([9]) - DR SHAW , Op.cit , p170. –LAUGIER, Op.cit ,p238.

([10]) - خوجة حمدان، المصدرالسابق ,ص 129.

لمكانته و ثقافته، وهذا المنصب غالبا ما يكون من نصيب وجهاء و أعيان الجزائر من حضر و كراغلة[1].

ب- الكاتب الثاني: (الدفتردار) :

مكلف بتسجيل مصادرأموال البلاد من ضرائب، ورسوم كماكان يراقب مخازن الدولة[2].

جـ -الكاتب الثالث: (وكيل الخرج):

يقوم بتسجيل غنائم البحر وأمور الديوانة (الجمارك) ، و يلقب أحيانا " بقبدان بالي" لكونه المشرف على أمور البحرية.

د- الكاتب الرابع: (الرقمجي):

يحافظ على سجلات مصالح البايلك المتعلقة بالشكاوي الصادرة من القناصل المقيمين بالجزائر أي مكلف بالشؤون الخارجية للبلاد[3].

إضافة إلى هؤلاء الكتاب الأربعة هناك كاتبان آخران لتحرير الرسائل العربية الموجهة للبايات و للمغرب و تونس أحدهما يسمى" كاتب السر "يتولى قراءة الرسائل الواردة للداي و الرد عليها. و الآخر يعمل مع خوجة الخيل الذي له صلة مع العرب[4]، ويهتم بعوائد أراضي البايلك و ببيع الخيول والأبقار ...إضافة إلى رصد ما يدفعه البايات و القضاه[5]، كما كان لكل باي كاتب له بمدينة الجزائر قرب دار الإمارة يستقبل مكاتيبها ويحملها إلى الباي و يرافقه طيلة تواجده بمدينة الجزائر[6].

هذا بالإضافة إلى ثمانيين كاتبا له عمل خاص فمنهم من يوزع الخبز على الجند ومنهم من يجمع ضرائب المحلات و آخر على البساتين، ومنهم من يستقبل المكوس التي تفرض على كل ما يدخل عبر البحر من جلود وشمع وزيوت إضافة للكتاب الذين يرافقون

([1]) - سعيدوني ،موظفو الإيالة ...،ص189.

([2]) - VENTURE (De. P.), Op.cit ,pp115,116 . سعيدوني،موظفو الإيالة ، ص140 .

([3]) - سعيدوني ، ورقات جزائرية، ص230، 231 . –سعيدوني ، موظفو الإيالة، ص190.

([4]) - الميلي، المرجع السابق ،ج3، ص184.

([5]) - VENTURE (De. P.),Op.cit ,p116

([6]) - الزهار : المصدر السابق، ص43.

الجند في الغزو[1]، وكتاب الفحم الذين يأخذون مكوس على كل ما يدخل السوق من أنعام وكتاب الرحبة الذين يتلقون المكوس على كل ما يدخل المدينة من قمح وشعير وخضر[2].

6- **الترجمان :**

بما أن التركية هي لغة التعامل الإداري ،فقد إستعين بترجمان لتسهيل إتصالات الداي بالأهالي[3]، وكان الترجمان يختار غالبا من الأعيان[4]، شرط أن يجيد القراءة والكتابة بالتركية و العربية[5]، فيعمل على ترجمة الأوامر التي يصدرها الباشا، أو الرسائل التي تصله[6]، من المغرب وتونس المكتوبة بالعربية كما أنه يوضع خاتم الداي على الوثائق والرسائل[7].

7- **الناظر:**

يعتبر المشرف الرئيسي للأوقاف ،حيث يعمل على مراقبة مداخيل الأوقاف وتنظيم انفقات[8]، المؤسسة الوقفية المشرف عليها، و يتم تعيينه بالمساجد من طرف الباشا، أما بالأضرحة فالمنصب وراثي في العائلة المرابطية و يكون مسؤولا عن الهبات والعوائد[9].

يساعد الناظر بالمدينة مجموعة من الوكلاء يجمعون المحاصيل و يصرفون المرتبات، كما يقومون بصيانة وضبط حسابات الحبس السنوية و تسجيلها في دفاتر تقدم للمجلس العلمي[10]، أما بالريف فدور الوكيل هو الإشراف على المخزن الذي تجلب إليه الفواكه المجففة والقمح...[11]، كما كان المقدم هو المشرف الأساسي على إدارة الزاوية وإستقبال الهدايا و الهبات الموجهة لها[12].

8- **المدرس:**

---

(1) - LAUGIER,Op.cit ,p237. –MORGAN,Op.cit ,p 354.
(2) - VENTURE (De. P.), Op.cit ,p151.
(3) - Dr SHAW ,Op.cit, p170. – LAUGIER , Op.cit, p238
(4) - حمدان ،المصدر السابق ،ص155.
(5) - LAUGIER,Op.cit,p239.
(6) - TACHRIFFAT, p19.
(7) - LAUGIER,Op.cit 239. -MORGAN ,Op.cit ,p556.
(8) - BOYER, La vie quotidienne , p78.
(9) - DEVOULX, Les édifices …,p 9 .10
(10) - ضيف الله ، المرجع السابق ،ص40، 41
(11) - DELPECHE, La Zaouia de Sidi Ali …, p88
(12) - Ibid, p87.

كانت هذه الوظيفة تابعة أحيانا لوظائف أخرى فالمفتي و الخطيب يمكنهما تولي التدريس و العكس غير صحيح، فالتنافس عليها كان أقل مقارنة بالوظائف الأخرى .

لقد كان هناك صنفان من المدرسين: معلمو المدن، ومعلمو الريف، و كلا الصنفين درجات، فهو مؤدب إذا درس الأطفال الصغار ،أما إذا درّس الفتيان فيعتبر معلم أو مدرّس،أما إذا درّس الشبان فهو أستاذ أو شيخ، فالمؤدب بالمدينة كان يختاره أهل الحي[1]، في حين يختار بالريف من طرق شيخ القبيلة أو الجماعة[2]، أما المدرس بالمدن فكان يعين من طرف الباشا ، بإقتراح من ناظر الأوقاف الذي يمنح له سكن[3].

وإضافة إلى هذه الوظائف الهامة هناك وظائف أقل أهمية كوظيفة المؤذن، الحزاب..وغيرها، ولم يقتصر تولي العلماء هذه المناصب الثابتة فقط ،بل إن البعض منهم عين كمستشار أو مبعوث، كما هو الحال لأحمد بن هطال التلمساني الذي شغل عدة مناصب سياسية في بايلك الغرب ،إضافة إلى عمله كمستشار للباي محمد الكبير ، و كاتبه الخاص و المبعوث له في عدة قضايا و مهام خارجية[4]، كذهابه في سفارة إلى سلطان المغرب رفقة قاضي المحلة إبن سحنون محملا بالهدايا ،وهذا من أجل السماح له بشراء السلاح و العتاد إستعدادا لفتح وهران[5].

9- **المرابط أو شيخ الزاوية و دوره في المجتمع الريفي:**

كلمة "المرابط " مستمدة من الرباط الذي يرابط فيه لرد هجمات الأعداء ثم تغير مفهومه إلى معنى كل زاهد و ناسك[6]، و بما أن الأتراك لم يهتموا بالتعليم و التوجيه فسياستهم مع الأهالي كانت سلبية إرتكزت على جباية الضرائب فقط،ومن هذا المنطلق عمل المرابطون على ملأ الفراغ السياسي و الثقافي خا صة في المجتمع الريفي، الذي عاش في عزلة عن الإدارة التركية فوجد الأهالي في المرابطين بديلا لهم عن الأتراك في التعليم و التوجيه رغم ما كانوا يقدمونه لهم من هدايا و عطايا، أثقلت كاهلهم[7].

([1]) - سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1، ص369

([2]) - EMERIT, L’état Intellectuel..,p5

([3]) - سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، 397

([4]) - سعيدوني ، من التراث التاريخي و الجغرافي للغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين و حالة جغرافيين، ط1، دار الغـرب الإسـلامي بيـروت، 1999، ص448. أنظر كذلك إبن هطال التلمساني رحلة الباي محمد الكبير

([5]) - إبن سحنون ، المصدر السابق، ص247.

([6]) – الفيلالي ، المرجع السابق ، ص 23

([7]) – نفسه،ص 30.

لأن المرابط في نظرهم هو حامي الشريعة ولهذا كانت أوامره مطاعة[1]، لقد إحتل المرابطون مكانة محترمة في المجتمع حيث يستشارون في الكثير من القضايا، فكانت زاوية المرابط مقر للصلاة و الضيافة، و مقصدا للطلبة من كل مكان حتى من خارج البلاد[2]، لأنها كانت البديل عن الثقافة المفتقدة و الفوضى العارمة.

فالحملات الصليبية هي التي فجرت هذا البديل، الذي أحدث مدرسة للعلوم الدينية، موجهة لتحضير الجهاد و تجاوز التناقضات المعاشة[3]، من فوضى وعدم الأمن، وهذا منذ القرن 16م حيث تأكد دور المرابط وشيخ الزاوية على حساب الفقيه، وخاصة بعد تمركز السلطة في المدينة، مما جعل نشاط الفقهاء ينحصرفي أمور العبادة و التعليم وبعض الوظائف، لتكرس الزوايا خاصة ببلاد القبائل و المناطق الريفية تراجع دور الفقيه ،وقد وصل الأمر حد التعارض و التنافر بين الفقهاء نوشيوخ الزوايا، فكان نشاط الزوايا في توعية السكان و توجيههم الروحي و الثقافي عوّض ما كان يقوم به الفقيه في فترة سابقة[4].

فكان شيخ الزاوية أو المرابط يوّجه أتباعه في أمور الدين و الشريعة و التصوّف وقد تعدى حتى التكوين الحربي[5]، كماأسندت له الأمور القضائية،عكس المدينة التي تستند للقاضي[6]، هذا إضافة إلى الدور البارز للمرابط في إختيار رئيس القبيلة[7].

هذا و قد كان المرابطون و الأشراف في قمة الهرم الإجتماعي، خاصة بمنطقة القبائل[8]، حيث كان المرابط يحظى بإحترام وطاعة عمياء من طرف الأهالي تستمر حتى بعد مماته[9]، إلى درجة أن شاع الإعتقاد لدى الناس بقبول دعوة المرابطين عند الله ،وأن سعادة الفرد تتوقف على سخط أو رضى المرابط حتى وصل الأمر بهم إلى تقديم القرابين له حتى تتحقق أما نيهم[10]، وتجلى دور المرابطين في شرح و تفسر الأخلاق للأهالي

([1]) - MERCIER,Op.cit Etude sur la confrérie, p14.

([2]) - KADDACHE ,Op.cit,p168

([3]) - BERQUE, Op.cit ,p48.

([4]) - سعيدوني ،مؤسسة الزوايا في الجزائر العثمانية ...،ص16.

([5]) - BENACHENHOU (A.), Connaissance du Maghreb, Notions d’Ethnographie d’histoire et de sociologie, Ed. Populaire de l’Armée, Alger, 1971-, p134.

([6]) - سعيدوني /البوعبدلي ، الجزائر في التاريخ، ص23

([7]) - DAUMAS (E.), Moeurs et coutumes de l’Algerie, Sindbad, Paris ,1988,p154.

([8]) - BOULIFA, Op.Cit. p 228.

([9]) - LIOREL, Op.cit, p451.

([10]) - حمدان خوجة، المصدر السابق، ص57.

وتعليمهم الصلاة و مكارم الخلاق[1]، ونشر الإسلام بين القبائل[2] وفي المناطق النائية خاصة على يد الطريقة التيجانية[3]، و بين الأسرى المسيحيين بالجزائر الذين منهم من إعتنق الإسلام إقتناعا بمبادئه و لحسن معاملة المسلمين لهم أو من اجل تولى مناصب عليا[4] هذا أكسب المرابط أو شيخ الزاوية مكانة إجتماعية و سياسية[5].

لقد نسج المرابطون علاقات و طيدة مع السكان بفضل دورهم في الحياة الثقافية[6]، كما عملوا على إعادة السلم إلى بلاد القبائل بفضل و ساطتهم و حمايتهم[7].

و في هذا السياق يقول"حمدان خوجة":" أما السلم فإنه يتم دائما بتدخل المرابط"[8]، إضافة إلى عملهم على تحريم إراقة الدماء و الإصلاح بين القبائل[9]، مثلما فعل "سيدي بوقبرين" الذي أصلح بين آيت سعدان و آيت اليوسي بمنطقة القبائل[10]، إضافة إلى هذا كان المرابط يرافق القوافل لحمايتها[11]، و معاقبة اللصوص[12]، فمثلا كان مرابطي القليعة يحمون المسافرين و التجار ،وهذا بتشجيعهم على الإتيان ببضائعهم مقابل ضمان سلامهم، و الدليل أنه عند مجيئ الفرنسيين و بعد إعتقال مرابط المنطقة أصبح الطريق الذي كان يحميه غير آمن ،ولم يعد يسلكه الناس[13]، كما أنّ المرابط" سيدي علي بن مبارك "بالقليعة أعطى ضمانات لسكان الأطلس عند نزولهم من الجبال بحمايتهم من كل الأخطار، وهو نفس المرابط الذي وسطه قائد حامية "بني جعد" لرد قطعان الماشية التي سرقت[14]، ومن خلال هذا العمل برزت سلطته حتى على الأسواق، و في المعاملات التجارية[15].

إضافة إلى هذا إعتبر المرابطون كأطباء شافين[16]*، لمداوات الأمراض، إما بالأعشاب أو بوضع اليد على الرأس[1]، هذا دون أن ننسى دورهم في جمع الأموال لإفتداء الأسرى المسلمين و هذا منذ بدا ية الغزو المسيحي للسواحل الإفريقية[2].

([1]) - نفسه، ص57.

([2]) - GSELL, op. cit. p175

([3]) - DEPONT / COPPOLANI, Op.cit, p424.

([4]) - سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ص446.

([5]) - هلال ، المرجع السابق ، ص25

([6]) - MERCIER , Etude sur la confrerie…, p16

([7]) - BOULIFA , Op.cit , p228

([8]) - حمدان خوجة، المصدر السابق ،ص56.

([9]) - DEVOULX, Les édifices ,p9. – MERCIER,:Etude sur…,p15

([10]) - DERMENGHEM, Op.cit, p167

([11]) - سعد اللله ، تاريخ الجزائر الثـقافي، ج1، ص488.

([12]) - DERMENGHEM, Op.cit, p167.

([13]) - حمدان خوجة،نفس المصدر السابق، ص88.

([14]) - SAIDOUNI , Op.cit ,p294.

([15]) - TRUMELET ,Les Saints de l'Islam… ,p50.

([16]) - CHOAÏB (A. A. B.) , "Les marabouts guerisseurs", in **R.A** N°51 ,1907,p253.

وهنا تبرز لنا اهمية الدور الذي لعبه المرابطون في الحياة الإقتصادية و الثقافية بالأرياف، و رغم أن بعضهم من وهب نفسه للقيام بأعمال يرفضها الإسلام(3).

II - أجور العلماء:

لقد كان العلماء الموظفين يكسبون معاشهم من الأوقاف و من الأجور الشهرية التي يدفعها السكان أو عن طريق الهدايا والعطايا التي يقدمها المحسنون(4)، كتشجيعات بمناسبة الأعياد، وحتى من أولياء الطلبة ،لهذا فمصاريف نفقات القائمين على الأمور القضائية والدينية و الثقافية لم تكن تكلف الدولة إلا القليل من الأعباء مقارنة مع أجور الجند(5).

فجهاز العلماء أو رجال الدين كان مرهونا بالأوقاف التي كانت تحت إشراف القاضي الذي يوزعها على القائمين على المؤسسات الدينية و الثقافية(6).

ومن خلال الوثائق الوقفية نستنتج أنّ المبالغ المخصصة للعلماء القائمين على هذه المؤسسات، حيث لكل واحد مرتب خاص به حسب مكانته وعلمه وحسب مردودية السوق نفسه.

فمن خلال الوثيقة المؤرخة ما بين (1811-1813م) نجد الأجرة الشهرية لكل من:

المفتي الحنفي 34 ريالا.

المفتي المالكي 20 ريالا .

القاضي الحنفي 25 ريالا .

القاضي المالكي 10 ريالات(7).

و في الوثيقة من نفس السنة كانت أجرة كل من :

المفتي الحنفي 32 ريالا.

المفتي المالكي 15 ريالا .

القاضي الحنفي 25 ريالا .

---

*-حول دور المرابطين في التداوي أنظر: موساوي القشاعي فلة، الصحة والسكان في الجزائر من العهد العثماني إلى أوائل الإحـتلال الفرنـسي (1515-1870م)، دكتوراه دولة، (غير منشورة)، جامعة الجزائر، 2004.

(1) - G. ANDRÉ ,Op.cit ,p193

(2) - BEL (A), La religion musulmane en Barbarie du XIIème au XXème Siècle ,Gauthier , Paris ,1938 ,p379.

(3) - BOYER , La vie quotidienne…,p80.

(4) - سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ص327.

(5) - سعيدوني، النظام المالي ، ص138 . - سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1، ص 327.

(6) - زيادة ،المرجع السابق ،ص 511.

(7) - س.ب، علبة 36 سجل 334.

القاضي المالكي 10 ريالات[1].

أما ما بين سنة (1814-1815م) و (1819-1820م) كان يتحصل شهريا كل من :

المفتي الحنفي 32 ريالا.

المفتي المالكي 12 ريالا

القاضي الحنفي 10 ريالات .

القاضي المالكي 10 ريالات[2].

كما كانت تمنح للمفتي الحنفي 80 صائمة من الضريبة المفروضة على اليهود أما المفتي المالكي فلم يكن له سوى 50 صائمة[3].

من هذا نستنتج ان راتب هؤولاء الموظفين الساميين تختلف حسب المكانة العلمية وحسب المكانة الإجتماعية فإذا ما قارنا بين أجور علماء المذهبين نلمس فرق و اضح ،حيث أن علماء الأحناف لهم أجر أعلى من أجر علماء المالكية، وهذا امر طبيعي يرجع إلى مكانة العلماء الأحناف لدى الحكام الأتراك أصحاب المذهب الحنفي هم كذلك.

فالمفتي الحنفي كان راتبه يصل أحيانا حتى 155 ريال و هذا في ما بين (1744-1745)[4].

أما أجور بقية القائمين على المساجد و الزوايا التابعة لها ،فكانت كالآتي:

	ما بين (1744-1745)[5]	(1811-1813)[6]	(1828-1831)[7]
خطيب جامع كتشاوة	أكثر من 21 ريال	20 ريال	35 ريل
خطيب جامع بابا عزون	15 ريال	/	/
خطيب جامع صفر	15 ريال	/	31 ريال
خطيب جامع القصبة	15 ريال	30 ريال	28 ريال

(1) - س.ب،علبة 36 سجل 332.

(2) - س.ب،علبة 36 سجل 331.

(3) - TACHRIFFAT, p51.

(4) - س.ب علبة 30 سجل 248 - مكررة في العلبة29 سجل 244 وسجل 245.

(5) - س.ب،علبة 30 سجل 248.

(6) - س.ب علبة 36 سجل 332.

(7) - س.ب، علبة 33 سجل 328.

خطيب جامع حضر باشا	12 ريال	/	/
خطيب جامع السيدة.	/	17 ريال	15 ريال

أما رواتب الأئمة فهي كالتالي :

	ما بين (1744-1745)[1]	(1811-1813)[2]	(1828-1831)[3]
إمام جامع كتشاوة	19 ريال	15 ريال	31 ريل
إمام جامع بابا عزون	8 ريال	/	/
إمام جامع خضر باشا	12 ريال	/	/
إما م جامع صفر	10 رال	3 ريال	19 ريال
إمام جامع القصبة	15 ريال	30 ريال	15 ريال
إمام الجامع الجديد	18 ريال	16 ريال	16 ريال
إمام جامع السيدة	/	10 ريال	10 ريال
إمام جامع شعبان	/	12 ريال	12 ريال

و بهذا يمكننا القول أن أجر هؤلاء الموظفين هو الآخر يخضع للمكانة العلمية، فنجد أجر الخطيب مقارنة بأجر الإمام في المؤسسة الدينية نفسها أعلى من أجر الإمام، كما أن الأجور تختلف من مؤسسة إلى أخرى حسب مردودية الوقف و أهمية المؤسسة الوقفية نفسها .

فمثلا لو أخذنا راتب إمام القصبة نجد ما بين (1744-1745م) يتحصل على 5ريال[4] ليرتفع ما بين (1811-1813م) إلى 30 ريال[5]، أما ما بين (1814-1815م)

(4)- س.ب، علبة 30 سجل 248.

(5)- س.ب، علبة 36 سجل 332.

(6)- س.ب، علبة 33 سجل 328.

([4]) - س.ب ،علبة 30سجل 248.

([5])- س.ب،علبة 36 سجل 332.

و(1819-1820م) إنخفض حتى 20 ريال[1]، لينخفض أواخر العهد العثماني إلى 15 ريال[2].

و هذا كدليل على أن الأجر غير ثابت و يخضع لظروف المؤسسة الوقفية.

أما بالزوايا التابعة للمساجد والتي كانت بالمدينة، فكانت رواتب القائمين عليها هي الأخرى تختلف من سنة إلى أخرى ومن زاوية إلى أخرى و الشيء نفسه بالنسبة للمدارس فمثلا : إمام زاوية شيخ البلد كان يتقاضى 15 ريال سنة (1744-1745م)[3]، في حين كان أجر إمام زاوية القاضي ما بين (1815-1819م) و (1819-1820م)22 ريال[4]، أما ما بين (1828-1831م) إنخفض حتى 8 ريالات، أما إمام زاوية كتشاوة فكان يحصل على 15 ريال شهريا من نفس السنة[5]، في حين راتب إمام زاوية شبارلية فله سطاني واحد[6].

أما بمدينة قسنطينة فجامع سوق الغزل يتحصل خطيبه على 100 ريال و الإمام له 50 ريال ،في حين جامع عين البيضاء بمعسكر يتحصل كل من الخطيب الإمام والمدرس على نفس الراتب و هو 40 ريال[7].

أما فيما يخص رواتب المدرسين بالمدارس أو المساجد أو الزوايا فهي تخضع لنفس ظروف مردودية الوقف حيث أن :

مدرس جامع عبدي باشا يتقاضى 5 ريالات ما بين (1729-1730م) و (1742-1743م)[8]، في حين مدرس مسجد باب عزون يتقاضى 6 ريالات ما بين (1744-1745م)[9]، أما مدرس جامع ميزمورطو فله 35 دينار[10]، و مدرس جامع خيضر باشا له

([1]) - س.ب ،علبة 36 سجل 331

([2]) - س.ب، علبة 33 سجل 328.

([3]) - س.ب،علبة 30 سجل 248.

([4]) - س.ب ،علبة 36 سجل 331.

([5]) - س.ب،علبة 33 سجل 328.

([6]) - DEVOULX , Les édifices ,p179

([7]) - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج1، ص256، 257

([8]) - س.ب، علبة 29 سجل 231

([9]) - س.ب، علبة 30 سجل 248.

([10]) - DEVOULX,Les èdifices..Op.cit, p195. سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ج1، 258.

60 دينار،أما مدرس زاوية شبارليةفله محبوب واحد(1)، أما مدرس مدرسة الآغا فله كل عام 50 صاع من الشعير من محصول أرض تدعى "الخريبة"(2).

و بهذا لم تكن أجرة المدرس و الأستاذ مستقرة بل تخضع للوقف ومايدرّه عكس المؤدب الذي أجرته مستقرة نسبيا، حيث يتحصل على راتبه من الأهالي لا من الوقف، ففي مدينة قسنطينة يحصل على حوالي 30 فرنك سنويا، منها 14فرنك على كل طفل و5 فرنك على شكل هدايا الأعياد و11 فرنك على كل فترات تكوين الطفل، لهذا فالذي يدرّس ما بين 20 إلى 30 طفل يربح أكثر من إثنان فرنك يوميا(3)، لهذا فأجرته أكثر إستقرارا مقارنة بالمدرسين الذين يتحصلون على رواتبهم من الوقف فنجدهم يتجهون إلى أعمال أخرى كالتجارة أو الهجرة .

هذا رغم أن بعض الحكام حاولوا أن يجعلوا هذه الأجور ثابتة كصالح باي الذي خصص للمدرس بمدرسة الكتاني 30 ريال شهريا. و الوكيل 8 ريالات(4)، و الطلبة الثمانية خصص لهم 6 ريالات(5)، في حين كان مدرس مدرسة الجامع الكبير بقسنطينة يتحصل على 40 ريال(6).

أما ببايلك الغرب فكان الباي محمد الكبير أول من خصص للعلماء خاصة المدرسين مرتبات من الوقف فيقول إبن سحنون عن هذا :" أنه رتب للمدرسين في الجوامع بوظـائف يأخذونها من الأحباس بعد أن كان العلماء لا ينتفعون من ناحية المخزن بشيء، إلا من كـان متوليا لخطة أو مستعملا لخدمة"(7) كما كامن يوزع على العلمـاء المـال فـي المواسـم و الأعياد(8).

هذا وقد كان للعلماء نصيب في المناسبات كشهر رمضان و العيدين فيحصلوون على 100 محبوب خلال الحفلات(9)، كما يحصلون في شهر شعبان على ريالين(10) أما الكتاب

(1) - Ibid ,p179
(2) - TACHRIFFAT :p65
(3) - EMERIT. L' Etat Intellectuel….,p04
(4) - VAYSSETTE ," Histoire de constantine sous la domination turque" in **R.N. M.S. A.C**,2ème serie vol 2, 1862, p357 - VAYSSETTE , Histoire des derniers Beys …. ,p119.
سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ص327
(5) - VAYSSETTE , Op.cit ,p119.
(6) - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص327.
(7) - إبن سحنون، المصدر السابق، ص135.
(8) - سعد الله ، تاريخ الجزائرالثقافي، ج1، ص325
(9) - TACHRIFFAT, p39
(10) - Ibid, p36.

الثلاثة فكان لهم ريال واحد شهريا، حسب وثيقة مؤرخة ما بين (1680-1707م)[1]، كما لهم هدية بقيمة 100 صائمة من فدية أربعة كفار[2]، كما تمنح لهم وللخوجات الآخرين هدايا أثناء زيارة البايات للجزائر أو أثناء إستقبال القناصل[3].

أما الوكلاء فكان لكل واحد راتب من المؤسسة الوقفية المشرف عليها وحسب مردودها السنوي ويشيرالأستاذ سعيدوني إلى أن الناظر كان يتحصل على 40 ريال سنويا وهذا ما يدفع به إلى البحث عن مصدر رزق آخر، و يكون هذا على حساب المؤسسة المشرف عليها[4]، الأمر الذي دفع ببعضهم إلى حدا لتطاول على أموال المؤسسة الوقفية،ومنهم من كان له ثروة خاصة و يعيش من ماله الخاص[5].

فبمقابل هؤلاء المتطوعون الذين يساهمون في الدروس دون أن يتقاضوا مرتبات إما تقربا إلى الله أولممارستهم مهن أخرى كالتجارة[6]، أو لديهم من الأملاك ما يغيهم عن هذه المرتبات، فإبن حمادوش كان يعمل كمقرء لصحيح البخاري بالجامع الكبير لكنه كان بالمقابل يمارس التجارة*، كما نجد من المعلمون الزائرين الذين لا يتقاضون أجرا ،فمن خلال الورثيلاني نذكر أنه كان يزور بجاية كل عام خلال شهر رمضان " ناويا للرباط وتعليمي للطلبة "..."[7].

أما المرابطين الأحرار الذين لهم علاقة بالطرق الصوفية فكانوا لا يحصلون على أجر رسمي ثابت [8]،بل يتحصلون على مستحقاتهم من أموال الهبات و الزكاة [9]و ما يجنى من الوعدة و تبرعات المسافرين و الزوار للضريح[10].

([1]) - س.ب، علبة 12 سجل 68.

([2]) - TACHRIFFAT, p58

([3]) - سعيدوني، ورقات جزائرية....، ص 233، 234.

([4]) -LE TOURNEAU,Op.cit ,p101

([5]) - الحفناوي ،المرجع السابق ، ص108

(6) - سعيدوني دراسات و أبحاث، المعهد العثماني، ص 179.

* أنظر هذا في رحلة "لسان المقال" لإبن حمادوش.

([7])- الورثلاني،المصدر السابق،ص18.

([8])--RINN, Marabouts et Khouans …, p10.

.([9]) -TURIN,Op.cit, p12.

(3)- إبن سحنون ،المصدر السابق، ص19، 20.

القســم الثاني

التقارب بين السلطة و العلماء

الفصل الرابع: أسباب التقارب بين الحكام و العلماء

1- الإحساس المشترك أو الجهاد ضد العدو:

إذا تتبعنا مسار المقاومة التي خاضها الجزائريون ضد الوجود الإسباني نجد أن أول من عارض الاحتلال الإسباني في الجزائر هم العلماء، وعلى الخصوص المرابطين[1]، فالزوايا ومن خلال نشاط الطرق الدينية كانت العامل الوحيد القادر على تجنيد الأتباع وإثارة الحماس و تنظيم المقاومة[2]، فالزوايا و خاصة بالريف كان لها دور إيجابي منذ القرن 16م، حيث كانت عبارة عن رباطات أو نقاط أمامية ضد العدو، والتي غالبا ما كانت معبئة من طرف الحركة المرابطية التي عملت على تجنيد الناس و إلهاب مشاعر الحماسة لديهم للمقاومة[3]، وهذا باسم الجهاد في سبيل الله ضد التواجد الإسباني[4]، فقاد المرابطون أتباعهم للجهاد وناصروا المجاهدين و أطعموهم بزواياهم و تحالفوا مع الأمراء الرافضين للتواجد المسيحي الذي سمح بدوره للعثمانيين بكسب مجد الجهاد المقدس[5].

فتيار الجهاد الذي انطلق من المسجد، و الزاوية حيث طلبة العلم و شيوخه، كان له قوته و تأثيره، و هو ما دفع بالحكام إلى ركوب أمواجه[6]، خاصة و منذ أن حلوا بالجزائر أدركوا أنهم غرباء عن البلاد، وأن العامل الذي يربطهم بالأهالي هو الدين والجهاد ضد الغزو الأجنبي. لذا استغل العثمانيون عامل الروح الجهادية في الأوساط الشعبية والعداء المشترك للمسيحيين،رغم أنهم يضمون داخلهم أعلاج مسحيين، ومغامرين لا عقيدة لهم، إلا أن الإسلام كان الرابط الوحيد ظاهريا[7].

و من هذا المنطلق سعى العثمانيون للبحث عن حلفاء لهم ضمن فئات المجتمع يؤمنون أكثر بفكرتهم الجهادية، فوجدوا رجال الدين، أو العلماء[8]، الدين رأوا في هؤلاء الفاتحين الجدد قوة إسلامية منقذة للبلاد من حالة الفوضى التي عاشتها بعد تفكك المغرب العربي خاصة إذا علمنا أن أول رسالة وجهت للسلطان العثماني كانت من طرف علماء

---

(1)- الجامعي عبد الرحمن، فتح مدينة وهران – تحقيق د.حساني مختار " تاريخ تحرير مدينة وهران من الاحتلال الأسباني خلال القرن الثامن عشر الميلادي من خلال مخطوطين..مخبر المخطوطات جامعة الجزائر.2003. تحرير ص14.و17.

(2)- سعيد وني، مؤسسة الزوايا ... ص 26.

(3)- MERAD BOUDIA، op.cit, p369 – LAROUI (A.) ،Histoire du Maghreb, Maspero Paris, 2 vol, 1976 p56.

(4)- سعيدوني/ البوعبدلي، المرجع السابق، ص 38.

(5)- BOYER ، Contribution…, pp36،37.

(6)- العسلي ،الجزائرو الحملات الصليبية ... ص 9.

(7)- BOYER ، Contribution … p28.

(8)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج1، ص 191.

المالكية بالجزائر وهدا سبب آخر يفسر لنا العناية الخاصة من طرف الحكام للجامع الكبير[1].

إن صراع العثمانيين ضد التواجد المسيحي الذي ظهر كجهاد مقدس في نظر العلماء[2] وانتصاراتهم التي تركت أثر حسن لدى الأهالي، هو الأمر الذي حتم على العلماء التعاون معهم، و مساعدتهم، و جمع التبرعات لهم[3].

إن التواجد الأسباني على سواحل الجزائر لعب دورا بارزا في تدعيم فكرة التحالف بين العثمانيين و العلماء، خاصة و أن السلطة بالجزائر لم يكن بامكانها التغلب على تهديدات السفن الأوربية من دون مساعدة و حماية المرابطين خاصة أواخر العهد العثماني[4]، فبمجرد حدوث هجوم و حسب "بروسلار" (Brosselard) فصيحة واحدة من أحد المرابطين تكفي ليهب الناس لمواجهة العدو الأجنبي[5]، فمثلا أثناء الفتح الأول لوهران، و بينما كان الداي محمد بكداش ينظم قواته كان رجال الدين، و الأئمة في المساجد يلهبون الحماس في قلوب الناس و يدفعونهم للقتال[6].

وغني عن الذكر أن علاقة الحكام و العلماء كان يدعمها إلى غاية 1792م الجهاد ضد التواجد الأسباني، ذلك أنه إلى هذا التاريخ لازالت وهران تحت الهيمنة المسيحية، وكانت قضايا الجهاد، و خاصة تحرير وهران هي العامل المشترك بين الحكام من جهة و الأهالي خاصة العلماء منهم من جهة أخرى، لذا فشعبية كل من الداي أو الباي كان يحددها اهتمامه، وعزمه على تحرير مدينة وهران[7]، لأن تحريرها كان بمثابة الورقة الرابحة للحكام العثمانيين لكسب الرعية و تأييد العلماء،[8] الذين تحالف بعضهم مع العثمانيين و قدموا لهم المساعدات و جندوا وراءهم الشعب،[9]و خير مثال على ذلك زاوية محمد بن علي المجاجي المعروف بأبهلول* التي كانت مركز للمجاهدين و حسب ما ذكره الدكتور سعد الله أنه أطعم يوما نحو ألف و ثلاثمائة مجاهد، وقد استمرت في عملها الجهادي حتى أيام الفرنسيين[10].

---

1)- التميمي ،من أجل كتابة تاريخ الجامع الأعظم ، ص 157.

(2)- BEL, Op.Cit, P388

3)- بل، المرجع السابق، ص 431

(4)- SAIDOUNI, Op.cit. P 403

(5)- BROSSELARD, Op.cit. P 18 et 24

6)- العسلي ،الجزائر و الحملات الصليبية، ص 12

7)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج1، ص 196

8)-سعد الله، "أربع رسائل بين باشوات الجزائر و علماء عنابة" **الثقافة** عدد 51، 1979.ص19

9)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، ص 267

*عاش في القرن 11هجري/17م

10)- نفسه، ص 202

و بما أن الجهاد كان يمثل القضية الأولى في اهتمامات العلماء الذين شاركوا في الجهاد أفراد و جماعات، وخاضوا معارك، و نظموا أشعار لإلهاب حماس الناس، وكانوا أكبر المعرضين للباشاوات و البابات على الجهاد[1]، و تذكيرهم بواجبهم لتحرير الأرض المغتصبة، و هذا من خلال شعر "الاستصراخ"، و من أكبر المحرضين للحكام على الجهاد الشاعر محمد أقوجيل الجزائري الذي خاطب الداي أحمد باشا (1695-1698م) و حثه على استرجاع مدينة وهران جاء فيها:

و لتلتفت نحو الجهاد بقـ ـ ـوة   و الكفر اقطع أصله بذكـ ـور
جهز جيوشا كالأسود و سرحـ ـن   تلك الجواري في عباب بحور
أضرم على الكفار نار الحرب لا   تقلع ولا تمهلهم بفتـ ـ ـ ـ ـور
و بقربنا وهران ضرس مؤلـ ـ ـم   سهل اقتلاع في اعتناء يسيـ ـر
كم آذت من مسلمين و كـ ـ ـ ـ ـم   سبت منهم بقهر أسيرة و أسير
فانهض بعزمك نحوها مستنصرا   بالله في جد و في تشميـ ـ ـ ـر
بادر بنا نغزو العدو و سرعـ ـن   في حسم شوكتهم و في التدبير[2]

و له أيضا قصيدة في تحريض العثمانيين على إنقاذ وهران.

فما لبني عثمان في سنة الوئـ ـا   ووهران تزهو نحوه بالمراغـ ـم
و يا معشر الأتراك ما بـ ـ ـ ـال   سعيكم أشراطها هذه العلائـ ـم[3]

و كذلك العلامة المحقق سيدي محمد بن عبد المؤمن محرضا الداي حسن الشريف باشا:

نادتك وهران فلب نداهـ ـ ـ ـا   و انزل بها لا تقصد سواهـ ـا
و استدع طائفة العساكر نحوها   يغزونها و لينزلوا بفناهـ ـا
أضحى الصليب مؤيدا و الدين   قد درست معالمه فلست تراها
جرد ضباطك لمحق آثار العدا   حتى ترى الإسلام في مغناها
الآن آن الفتح إذ ظهرت بـ ـ ـه   آثار تنبى أنه وافاهـ ـ ـ ـا[4]

كما كان الشاعر أبو العباس أحمد أبي عبد الله مستصرخا للجهاد لإنقاذ وهران:

يا معشر الأتراك أيا كل عالم   و كل ولي حافظ للأوامر

---

1) -بوعزيز يحي،أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995،ص230.
2) - الجامعي، المصدر السابق ، ص 43 أنظر كذلك،المدني ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا (1492-1792)، ط3 م.و.ك، الجزائر، 1984، ص 438.
العسلي ، الجزائر و الحملات الصليبية، ص 189
3) - الجامعي، المصدر السابق، ص 44، لكن المدني، يذكر أن القصيدة للعلامة أبي العباس أحمد، حرب ثلاثمائة سنة...، ص 442
4) - المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، ص 440

أنا شدكم بالله ما عذر كلكـم لدى الله في وهران أمر الخنازير
أذلكم الله كيف رضيتم بسبي العذارى من بنات الأكابـ ـ ـ ـر[1]

و كذلك ابن سحنون الذي كان يعتبر شاعر البلاط هو الآخر كان له دور في حث الحكام على الجهاد:

يا أمة غابت عليها حلومهـا و أصبح داعي المشركين يسومهـا
لها همم مقصورة عن سفالـة و ما وجدت من ناسها من يلومهـا
كساها طلاب المال ثوب مذلة فصالت عليها و استجاشت خصومها
ألا يقظة من رقدة طال وقتها فلا أحد في العالمين يلومهـ ـ ـ ـ ـا.

الى أن يقول:

فكيف بأرض الشرك و هي منازل بدا حسنها عن ساكنيها و شومها
فلا ترهبوا من مانعات حصونهـا ففي عزمها ما لا تقاوم رومهـا.

و له أيضا:

و بعد فالجهاد أصل البـ ـ ـر و قد غفا رسما بهذا البـ ـ ـ ـر
من عهد شعبان و بكـ ـداش سقى صداهما الغمام الناشىء[2]
فلا يراع للعدة سـ ـ ـ ـرب و لا بأرضهم تقام حـ ـ ـ ـرب

و في هذه الأبيات الشاعر يذكر الحكام في عهده بضرورة مواصلة الجهاد الذي بدأه من قبلهم كالداي شعبان و محمد بكداش.

لقد أصبح حث العلماء للباشاوات على الجهاد يعتبر تأييدا لهم، و هو كذلك منفذا لبعض العلماء للتعبير عما في داخلهم اتجاه السلطة، فمن خلال هذه القصائد كانت تطرح قضاياهم الخاصة، من انتشار للظلم و سوء أحوالهم المادية، و منها قصيدة محمد آقوجيل للباشا حسين خوجة الشريف، والتي استهلها بتحريضه للباشا على القتال ثم انتقل بعدها إلى الحديث عن حاله وحال العلماء بالجزائر و إهمال الحكام لهم و حرمانهم من حقوقهم من بيت المال والأوقاف،كما نصحه فيها بمشاورة العلماء كونهم حماة الدين وقد جاء فيها:

شاور ذوي علم و دين ناصح و دع الغواة و كل ذي تزوير
كم في بلادك من نجيب حافظ و مشارك في النظم و المنثور
لكن فقدوا الإعانة واغتـ ـدوا ما أن يراعيهم ذوي التأميـر

---

(1) - المشرفي، المصدر السابق، ص 34، أنظر القصيدة كاملة، كذلك المدني، حرب الثلاثمائة سنة ص 442.
(2) - ابن سحنون، المصدر السابق ذكره، ص 162،168.

ضاعوا و جاءوا لا محالة و ابتلوا   في ذا الزمان الصعب بالتقتير
لا ينبغي أن يحرم الأحباس مـ ـن   إن يعطيها يعرف بكل ضرور
و البعض يمنحها و يصرفها لدى   شرب الدخان و خسة و خمور
إني نصحتك و النصيحة ديننـ ـا   فاقبل و لم ينصحك دوني خبير(1)

و حتى الشعر الذي قيل في مدح محمد بكداش و الباي محمد الكبير كان يدور حول الجهاد و الحث عليه إلى درجة أنه أصبح بعض الشعراء هم ميزان الولاء أو التمرد ضد العثمانيين(2).

وبالإضافة إلى تحريض العلماء على الجهاد من خلال شعرهم الذي يسمى شعر "الاستصراخ" وجد بعض العلماء من شارك بنفسه في الجهاد أو ساهم أتباعه في الدفاع عن البلاد لأنهم يرون أن مصلحة الدين تقتضي محاربة الكفار، و لهم شرف التواجد في وجه العدو(3)، كالمرابط سيدي بلاحة وهو الذي قتله الإسبان عام 1098هـ-1696 م، هذا المرابط دعم الجيش العثماني المتكون من 700 جندي ب 300 جندي في صراعهم ضد الأسبان في وهران(4)، و حتى لما عزم الداي محمد بكداش على فتحها قصده العلماء بكثرة، وقد ذكر عبد الرحمن التلمساني قوله:"جاء الناس إليه من كل فج عميق... و كان طلبة العلم، و حملة القرآن هم أشد الناس مسارعة لإجابة دعوى السلطان إلى هذا الجهاد المبارك"(5).

و بهذا و بما أن الحرب ضد الأسبان كان مرآة عاكسة للتحالف الجزائري العثماني وإدراك الحكام لمكانة العلماء و الصلحاء لدى العامة على أنهم دعاة الجهاد و حماة البلاد، فإذا هم لم يقوموا بالجهاد تعرضوا لسخط العلماء و اتهاماتهم، لهذا و حسب الدكتور "سعد الله" فإن الباي محمد الكبير كان يضع العلماء في المقدمة عند المواجهة مع الإسبان فإن انتصروا كسب سكوتهم، و إن هزموا تخلص من نقدهم،(6.) و لهذا لما أحي الرباط بوهران بعث بستة طلبة إلى القبائل لجمع الطلبة الراغبين في الانضمام إليه فعادوا إليه بنحو 400 طالب(7)، لكن ابن هطال يذكر أنه انضم إليه نحو 500 طالب(8)، كما أمر الباي قبائل أولاد

(1)- سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ج1 ص 411- أنظر القصيدة كاملة في "التحفة المرضية"
(2)- نفسه ص 203 .
(3)-BROSSELARD Op.cit, p18
(4)-TOUATI (H.), Entre Dieu et les hommes (léttrés, Saints et sorciers au Maghreb, 17ème Siècle Ed.E.H.E.S.S, Paris.1994 P179
(5)- التلمساني ، الزهرة النيرة ،ص4.
(6)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 206،207.
(7)-إبن سحنون ، المصدر السابق ، ص274.
(8)- إبن هطال ، المصدر السابق ،ص 20.

خالفة بدفع 100 سلطاني لصالح الطلبة[1]، و وصل به الأمر إلى منع التدريس في المدن و اقتصر على الرباطات فشكلوا بهذا فرقة علمية عسكرية[2]، كما أنه أعفى كل من يلتحق بالرباط من الضريبة[3].

إن ما قام به الباي هو وسيلة لجلب أكبر عدد من العلماء للمشاركة في الجهاد حتى أنه أعطى رئاسة الرباط للعلماء فعين على رأسه الشيخ محمد بن مولود الغريسي كما كلف كل من الشيخ محمد بن عبد الله الجلالي، وقاضي العسكر الطاهر بن حواء لإعطاء الدروس للطلبة بالرباط[4].

فهذا الرباط الذي أحياه الباي محمد الكبير التحق به العلماء إما أفراد أو جماعات منهم العلامة الكبير محمد بن علي أبو طالب المازوني الذي التحق به رفقة 200 من طلابه و عمره تجاوز الثمانين سنة، و قد قصد وهران من معسكر ماشيا، و ترك حصانه للمرضى من طلابه، و كتكريم له بنى له الباي بعد الفتح مدرسة[5] .

و نجد ممن التحق بالرباط كذلك عبد القادر بن عبد الله المشرفي الذي ألف رسالة شهر فيها بالمتعاونين مع الأسبان سماها " بهجة الناظر... " و نجد كذلك العالم الشيخ محمد المصطفى بن عبد الله بن زرقة الدحاوي، صاحب الرحلة القمرية[6]، و الفقيه أبو عبد الله محمد الموفق التلمساني الذي قال عنه المدني نقلا عن أبو زيد عبد الرحمن التلمساني أنه "كان أكثر الناس حرصا على الظفر بالشهادة[7]"، كما أن العلامة أبو راس الناصري الذي سمع بالحرب ضد الأسبان، و هو عائد من الحج فأسرع للمشاركة، وبلغت به الحماسة حتى التطلع إلى فتح الأندلس،[8] هو و غيره من العلماء كالشيخ الحلفاوي الذي قال:

ففتحا يوم العروبة معا   فتحا أرى في الأندلس مطمعا[9].

إن دور العلماء وخاصة المرابطين في التحريض على الجهاد، و تعبئة الأهالي يسمح لنا بالقول أن توطن العثمانيين تحقق بفضل العلماء خاصة المرابطين الذين هيئوا الأرضية لاستقبال أبطال الإسلام الذين حاربوا الأسبان.

---

1) - إبن سحنون ، المصدر السابق ،ص274.
2) - سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1،ص208.
3) -إبن هطال ، المصدر السابق ،ص 20- إبن سحنون ، المصدر السابق ،ص275-مسلم بن عبد القادر،المصدر السابق ،ص17.
4) - إبن هطال ،نفسه ،ص20.
5) - ابن سحنون، المرجع السابق ، ص 235.
6) - ابن سحنون، نفسه، ص 234- بوعزيز، أعلام الفكر....، ص 233.
7) - المدني، حرب ثلاثمائة سنة...، ص 458.
8) - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، ص208،209- سعد الله، أبحاث و آراء....ج1،ص 87.
9) - بلحميسي، تحرير مدينة وهران 1708، **مجلة تاريخ و حضارة المغرب**، عدد 9، 1970، ص 55.

من هنا يتضح لنا أنّ عامل الجهاد ضد العدو لعب دورا إيجابيا في تدعيم فكرة التحالف بين الطرفين، و قد حافظ الأتراك منذ بداية تواجدهم على هذا التحالف حتى يظهروا بمنظر المناصرين للدين، وحماته لذلك أعجب بهم الجزائريون الذين تخوفوا من تمكن الأسبان من توسيع نفوذهم بالداخل، و خاصة و أن صراعهم ضد الأسبان اتخذ صبغة دينية، الأمر الذي أكسبهم دعم العلماء الذين أشادوا بهم في قصائدهم الحماسية إلى درجة أن أصبح الجهاد ضد الأسبان إحدى مظاهر التقارب و التحالف بين الحكام والعلماء، خاصة شيوخ الزوايا والمرابطين الذين نجح العثمانيون في كسب دعمهم ومساعدتهم أو على الأقل الحصول على حيادهم[1].

2- المعتقدات الدينية لدى العثمانيين :

لقد كان العثمانيون عامة يبجلون العلماء و المرابطين لذا فالعلاقة التي ربطتهم بعلماء الجزائر، ليست جديدة عليهم، فقد كانت راسخة فيهم، حيث حملوا معهم هذا الشعور والإحساس إلى نيابة الجزائر بحيث كانت الطرق تقودهم و تؤثر فيهم و تحميهم و تدفع بهم نحو الجهاد أماهم فكانوا يدينون لرجالها بالولاء ويتبركون بهم، و ينظرون إليهم نظرة المريد إلى شيخه و العبد إلى سيده[2].

لهذا فمن الطبيعي أنّ العلاقة التي ربطت العثمانيين بعلماء و أولياء الجزائر تعكس لنا ما كان بإسطمبول، حيث كانت الإنكشارية على علاقة وطيدة بالدراويش خاصة المولوية، و البكداشية،[3] التي اتخذ الإنكشارية من زعيمها "حاجي بكداش" حاميا و رمزا لهم[4]، فالجندي الإنكشاري كان لما يحل بالجزائر يحمل معه عقائد مارسها في موطنه الأصلي وبالمقابل وجد مرابطين آخرين بالجزائر يزودونه بالبركات و الدعوات كلما خرج إلى الغزو البحري، كما كان يفعل آباؤه في الأناضول، و البلقان[5]، خاصة إذا عرفنا أن الدراويش الذين يرافقون الجيش لا يعودون إلى استطنبول بل يلازمون الجيش، و بعد وفاتهم تنسج حولهم الأساطير، فيصبحون جزءا من التقاليد العامة، حيث لايكاد يخرج الجند إلى المعركة إلا بعد تبركهم بولي سواء كان حيا أو ميتا[6]، كما كان من عادة رؤساء

---

1)- شوفالييه ، مرجع سابق ،ص 86.
2)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 185.
3)- نفسه، ص 186.
4)-نورس علاء موسى كاظم، "مدى مسؤولية الإنكشارية في تدهور الدولة العثمانية" **المجلة التاريخية المغربية**، عدد 25،26،1982، ص 100،101.
5)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 190.
6)- سعد الله، أبحاث واراء ...،ج1،ص196.

المراكب الجهادية عند استعدادهم للحرب زيارة ضريح الولي سيدي عبد الرحمن الثعالبي[1]، و الولي دادة و سيدي بتقة[2] الذي يرتبط اسمه بأنه المسؤول عن هزيمة شارلكان[3]* .

فإذا كان العثمانيون اعتمدوا على البكداشية، و المولوية باسطنبول فبالجزائر اعتمدوا على المرابطين و رجال الطرق الصوفية خاصة الشاذلية** و القادرية،[4] حيث وجد العثمانيون فيهم ضالتهم، و سندهم في بلد هم غرباء عنه.

لقد استمر العثمانيون بعدما حلوا بالجزائر بممارسة عقائدهم الدينية التي مارسوها في اسطنبول، فنجدهم يزورون الأولياء طلبا للنصر، و البركة، كما كانوا يطلقون طلقات مدفعية عند ذهابهم، و إيابهم تبركا و احتراما لهم[5]، و قد بلغ اعتقاد العثمانيين في رجال الدين خاصة المرابطين إلى حد كانوا لا يلاحقون أي جان إذا فر إلى أحد الأضرحة، خوفا مما قد يلحق بهم[6].

فاعتقاداتهم جعلتهم يطمئنون إليهم و يتقربون منهم، كما كانوا يستشيرونهم ويعملون برأيهم حتى و لو كانت فيه خطورة عليهم، منها ما ذكره الدكتور سعد الله أن أحد كبار العثمانيين أراد الاستيلاء على الحكم بالجزائر، فاستشار أحد المرابطين الذي اقترح عليه التصدق بمبلغ مالي و يذبح أربعة كباش، و توزيعها على الفقراء واعدا إياه بالنصر، وقد أخذ معه برنس المرابط اعتقاد منه أنه سيحميه، لكن لما وصل إلى قصر الباشا ألقي عليه القبض وأعدم[7].

كما يذكر لنا "بويي" (Boyer) حادثة أخرى، حيث اعتدى مرابط على ابنة أحد قناصل أوربا فاشتكى والدها للداي الذي رد عليه أن هذا شرف له لأن شخص مثله تقرب من ابنته[8]، فهذه الممارسات و الاعتقادات تبين لنا أن العثمانيين لم يكونوا راسخي العقيدة و أن إسلامهم طغت عليه عقائد مارسها الدراويش غالبا ما تكون منافية للدين و الأخلاق.

إن العثمانيين بالجزائر عامة كانوا يبجلون المرابطين و رؤساء الطرق، و يؤمنون بمعتقداتهم التي تميل إلى الخرافة أكثر منها إلى المنطق، فحتى الذين عرفوا منهم بميولهم

---

(1)- الزهار، المصدر السابق، ص61.

(2)- KLEIN, Op.cit. p16.

(3)-سعد الله، أبحاث واراء ...،ج3، ص .196

*سنة 1541 م.

**نسبة إلى الشيخ أبي الحسن بن عبد الله الشاذلي ، من قرية الشاذلة بتونس ،ولد سنة 1175 م .

(4)-سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 190،191 .

(5)- شوفالييه ،المرجع السابق ،ص 87.

(6)- حمدان خوجة، المصدر السابق، ص111. DERMENGHEM, Le culte des saints…, p155 .

(7)-سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص.469

(8)- BOYER, La vie quotidienne …, p80.

الثقافية اعتنقوا التصوف، و صدقوا هذه الاعتقادات منهم صالح باي الذي، و رغم تدعيمه للحياة الثقافية كان يؤمن بالخرافات حيث أنه بعد قتله للمرابط "محمد الغراب" خاف سوء طالعه، فبنى له ضريحا بقبة جميلة[1]، أما الباي محمد الكبير و بالرغم من استنارته وثقافته فقد أخذ القادرية عن جد الأمير عبد القادر، و بقي في خدمته ساعيا لإرضائه،[2] كما أن اعتقاده في الأولياء كان قويا بحيث لما عزم على فتح وهران اطمئن قلبه بعدما بشره الأولياء بفتحها[3]، و لما حدد موعد الفتح، و كان وقت حصاد طلب منه الناس تأجيل الأمر حتى فصل الخريف، و هذا بعدما يجمعوا معاشهم، لكن الباي فضل استشارة الأولياء و العلماء حيث كان جوابهم لهم "رأيكم فيه الحكمة و الصواب و لكن أنتم و نحن في رأي الأولياء و العلماء أولى الألباب فهم أدرى بالأمور، و بإشارتهم يكون الفوز والسرور"، فبعث للولي سيدي محمد بن أبي دية الضرير بجبل تاسالة، حيث أخبره هذا الأخير بأنه سيفتحها في العام المقبل، فلما حان موعد الفتح سار و هو مطمئن القلب[4].

ونتيجة للاعتقادات التي حملها العثمانيون معهم فقد بالغوا في تعظيم العلماء خاصة المرابطين و اطمئنوا إليهم، و تبركوا بهم، و استشاروهم في عدة أمور سياسية، كما أطلعوهم على خططهم[5]، و أغدقوا عليهم الهدايا، و الهبات باعتبارهم أكثر فئات المجتمع إيمانا بمعتقداتهم الدينية و نزعتهم الجهادية، كما كانوا القوة الوحيدة المؤثرة في المجتمع والتي يمكنهم الاعتماد عليها لإخضاع الأهالي والتحكم فيها عبر كل أرجاء إيالة الجزائر.

و من هذا المنطلق يمكن القول أن عامل الجهاد، و إدراك العثمانيين أنهم غرباء عن الجزائر إضافة إلى العقيدة الصوفية التي حملوها معهم، دفعت بهم إلى البحث عن حلفاء لهم في الجزائر ضمن فئات المجتمع، فكان رجال الدين و العلماء[6].

و استمر هذا التحالف التركي المرابطي منذ القرن 16م إلى نهاية القرن 18م حيث ساندت الحركة المرابطية العنصر التركي العسكري في توطيد نفوذه[7].

و من أشهر الطرق التي كانت لها حضوة و اعتبار لدى الحكام، الطريقة القادرية والرحمانية.

---

(1)-سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1،ص220 ، - VAYSSETTE, Histoire des derniers …p 121

(2)- الجزائري محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر، شرح و تعليق ممدوح حقي ط2، دار اليقظة العربية بيروت،ج1،1964،ص113.

(3)- ابن سحنون، المصدر السابق، ص 206.

(4)-الآغا المزاري ، المصدر السابق، ص 261.

(5)-سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي،ج1،ص.464

(6)- نفسه، ص 191.

(7)-MERAD, BOUDIA, Op.cit., p340

فالقادرية التي تعد أول طريقة ظهرت في العالم الإسلامي و التي تنسب إلى مؤسسها عبد القادر الجيلاني[1]،* و هي أكثر الطرق انتشارا في العالم الإسلامي كافة [2].

دخلت القادرية إلى بلاد المغرب عن طريق الحجاج و طلاب العلم، ولعل أول من نشرها بالمغرب هو سيدي بومدين شعيب دفين تلمسان بعد لقائه بالشيخ عبد القادر الجيلاني بمكة[3]،وتعد أقدم طريقة بالجزائر،[4] رغم أنها لم تكن ذات أصول مغربية،[5] إلا أن لها أتباع كثر خاصة بالمغرب الأقصى،[6] و الجزائر التي انتشرت بها زوايا القادرية في كامل التراب الوطني حيث وصلت حتى الجنوب الجزائري، و بسطت نفوذها الروحي حتى على التوارق بالصحراء[7].

و قد أحصى "ريني" (Rinn) سنة 1882م عدد الزوايا القادرية ب 29 زاوية و268 مقدم و 14574 مريد،[8] لكن و رغم كثرة مريدها إلا أن زواياها قليلة إذا ما قورنت بزوايا بعض الطرق الأخرى مثل الرحمانية،[9] و تعد زاوية القيطنة بمعسكر من أشهر زواياها التي أسسها الحاج مصطفى الغريسي جد الأمير عبد القادر (1200 هـ/1785م)[10].

و بما أن كل طريقة كانت تختلف في تعاليمها عن الأخرى، فالبكداشية ارتكزت على الخشوع و التذلل و الدرقاوية ارتكزت على القوة و الابتعاد عن السلطة، أما التيجانية ارتكزت على المسامحة، و القادرية بدورها كانت ترتكز على الإحسان و الرحمة والتساهل والتسامح[11]، حيث كان مؤسسها يردد دائما " لا ينبغي علينا أن ندعوا لا لأنفسنا فحسب، ولكن لكل من خلقه الله مثلنا"،[12]و في هذا الصدد يقول "ريني" (Rinn): "أننا لا نجد في تعاليم الجيلاني أية إشارة معادية للمسيحية[13]. "

---

(1)-حقي عدنان، الصوفية و التصوف ط2، دمشق 1992، ص 155 -- RINN ,Marabouts et khouans,P 137

*هو الشيخ محي الدين أبي محمد بن عبد القادر الجيلاني بن أبي موسى الحسيني مولود بجبل أوجلان قرب بغداد عام 471هـ/1078م و توفي بها عام 561هـ /1166م.

(2)-BEN ACHENHOU, Op.cit. P 135

(3)-سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص.519.

(4)-DERMENGHEM (E.), "L'Algérie religieuse" in **Initiation à l'Algerie**, Maison neuve, Paris, 1957, p 254.

(5)-بل، الفرق الإسلامية...، ص 405 — حقى عدنان: المرجع السابق، ص .155.

(6)-GAID (M.), Les marabitines d'hiers, et les marabouts d'aujourd'hui, Imp., Marouche Alger, S.D. p 135.

(7)-د.العجيلي التليلي،" دور بعض مشايخ الطرق الصوفية و مساعدة الفرنسيين على استكشاف الصحراء الإفريقية" **المجلة التاريخية المغربية**، عدد 53-- 54، 1989، ص 147.

(8)-RINN, Marabouts et khouans, P 200.

(9)-الفيلالي ، المرجع السابق، ص 38 .

(10)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 521.

(11)-RINN, Ibid, pp, 75,76.

(12)-لوثروب ستيوارت، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويهض، تعليق شكيب أرسلان ط2، ، دار الفكر بيروت ، ج2،1971، ص 395 .

(13)- RINN, Op.Cit, p76

و لكون القادرية اهتمت بالأمور الشرعية، و الأمور الخاصة بالسكان لم تجلب الريبة لدى السلطات،[1] لهذا و لما استقر العثمانيون بالشمال الإفريقي، لم يعادوها بل منحوها إمتيازات، وأعفوها من الضرائب، و تعاطفوا معها حتى تكون وسيلة في يد الأوجاف[2].

و يرجع اعتماد العثمانيين بالجزائر للقادرية إلى كون السلطان العثماني حاميا لها بالمشرق و لهذا عمل خير الدين منذ البداية على الاتصال بأتباعها،[3] و بما أن الجزائر كانت تدين بالولاء للسلطان العثماني فكان عليهم حماية الطريقة بالجزائر،[4] و يضاف إلى هذا أن الطريقة القادرية كان لها نفوذ لدى المرنيين و الوطاسيين و هو ما يفسر رفضها للسعديين بفاس، و انحيازها للأتراك بعد سقوط المرنيين،[5] كما أنها لم تتدخل في الصراع العثماني السعدي، وبقيت مسالمة مع العثمانيين[6].

لهذا شجع العثمانيون القادرية في أول أمرهم حيث ربطت بينهما علاقات ودية فنجد أن بايات وهران ساهموا في بناء مسجدها و أوقافها، لكن نقمتهم على الطرق الصوفية نهاية العهد العثماني شملت حتى زعماء القادرية،[7] الذين تبنوا منذ القرن 19م وضعية متخوفة نحو البايلك بعد تقارب طويل بينهما و لهذا لم يستطع البايلك استمالة سكان مليانة، و شرشال أين تتواجد أسر تابعة للقادرية،[8] و نلمس هذا التغيير في العلاقات بينهما من خلال المعاملة السيئة للشيخ حي الدين من طرف الباي حسان الذي أراد قتله، ثم فرض عليه الإقامة الجبرية بوهران و هذا بعد اعتقاله هو و ابنه الأمير عبد القادر في طريقهما إلى الحج[9].

أما الرحمانية المنحدرة من الطريقة الخلوتية*والتي أسسها الشيخ محمد بن عبد الرحمن القشتولي الجرجري الأزهري المولود عام1130هـ/1720م بآيت اسماعيل،[10] تتلمذعلى يد الشيخ واعرب بآيت إيراثن،[11] وعلى يدالشيخ محمد بن بلقاسم التاجديوي[12].

زار الشيخ مدينة الجزائر عام 1152هـ/1739م في طريقه إلى الحج و في طريق عودته استقر بمصر حيث درس بجامع الأزهر على عدة شيوخ أمثال محمد بن سالم

---

(1)- COUR, L'établissement ..., P 97.
(2)- DEPONT/ COPPOLANI, Op. Cit, P 246.
(3)-COUR, L'établissement…P 97.
(4)-بل، المرجع السابق، ص 430ـــ الجيلالي، المرجع السابق، ص 256.
(5)-COUR, L'établissement…, P 98.
(6)- BEL , La religion...,P 387.
(7)-سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ض 514، 515.
(8)-SAIDOUNI, Op.Cit, P 402.
(9)- المزاري، المصدر السابق، ص.48
*طريقة صوفية ظهرت بالمشرق (مصر).
(10)-TRUMELET (E.), L'Algérie légendaire, A Jourdan, Alger 1982, PP 340,341.
- G.ANDRE, Op.Cit, P 213—SAIDOUNI ,Op.Cit, P 305.
(11)- الفيلالي، المرجع السابق، ص 40ــــبوعزيز، أعلام الفكر ...،ص 299 — SAIDOUNI, Op.Cit, P 305
(12)-بوعزيز، أعلام الفكر...، ص 299.

الحفناوي،[1] صاحب الطريقة الحفناوية الخلوتية،[2] التي اعتنقها فعهد له بنشر تعاليم الطريقة في كل من الهند و السودان،[3] أين نجح في مسعاه و حصل على مبالغ مالية مهمة ساعدته عند عودته إلى الجزائر،[4] سنة 1183هـ/1770م،[5] أين أسس زاوية بمسقط رأسه وتفرغ لنشر العلم و تلقين مبادىء التصوف على نهج الخلوتية، فالتف حوله الناس من شتى الجهات،[6] من بينهم أحمد التيجاني الذي أخذ عنه ورد الطريقة لما توقف بآيت اسماعيل في طريق عودته من الحج[7].

منح الشيخ أول إجازة "مقدم" بخط يده و إمضاءه لسيدي بلقاسم بن محمد من معاتقة عام 1777م[8]، وبعد وفاته سميت الطريقة بالرحمانية، التي أصبحت أول طريقة بالجزائر من حيث عدد الأتباع حيث بلغ عددهم سنة 1896م حسب إحصاء "لكبولاني" و"دوبون" 156214 منخرط و 873 مقدم و 177 زاوية[9].وبهذا تكون أكثر الطرق انتشارا بالجزائر[10] هي والتيجانية[11] و ربما يعود هذا لأنهما ذات أصول جزائرية لكن تأثيرها ونفوذها كان أكثر بمنطقة القبائل[12].

انتقل الشيخ إلى مدينة الجزائر لتوسيع دائرة دعوته[13]، حيث نجده درّس بمسجد بالحامة[14]، كما عقد مجالس للذكر و الوعظ بالجامع الكبير بطلب من الداي الذي احتفل به و منحه أرض واسعة بالحامة التي أسس عليها زاوية[15]، لكن نشاطه، وشهرته أثارت عليه غيرة العلماء،والمرابطين لأنها نافستهم،وهددت نفوذهم، و مكانتهم فاتهموه بالإنحراف عن الدين،لكون تعليمه لا يوافق الشريعة،وأرغموه على المثول أمام المجلس العلمي الذي كان يرأسه الحاج محمد بن علي الأمين[16]، و بحضور الداي محمد عثمان باشا، لكن الشيخ

---

(1)- G.ANDRE, Op.Cit, P 213—SAIDOUNI, Op.Cit, P 305.

(2)-بوعزيز، أعلام الفكر....، ص 299 .

(3) سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ج1 ،ص 514 ــ بوعزيز ، أعلام الفكر ...ص 299.
SAIDOUNI, Op.cit, p305.

(4)-بوعزيز، أعلام الفكر....، ص 299، 300 .

(5)- RINN, Marabouts et khouns, p453.

(6)-NACIB (Y.), "Signalisation d'une pédagogie confrérique dans la poésie orale-Kabyle" In **Ann-Afr.N,** N°331994, p 315.

(7)-RINN, Marabouts et Khouans, p 453.

(8)- SALHI (M.B),"Confrérie Religieuse et champ religieux au grande Kabyle au milieux du XXeme siècle- LA RAHMANIYYA". In, **Ann Afr.N,** N° 33, 1994, p 254.- Delpêche (A.)," Un diplôme de Mokaden de la confrérie religieuse Rahmaniya", in **R.A**, N°18, 1874.

(9)-DEPONT/ COPPOLANI, Op. Cit, p 215.

(10)- RINN, Marabouts et khouans, Op.Cit, p 111.

(11)- SIMIAN, Op.Cit, p 454.

(12)- SALHI, Op.Cit, p 254.

(13)-RINN, Marabouts et khouans, p 454.

(14)- SIMIAN, Op.Cit, p 54.

(15)-نورالدين عبد القادر، المرجع السابق، ص 180.

(1)-RINN, Marabouts et khouans 454—ROBIN, La grande kabyle ….P 23—GAID, Les Marabitines …, p 122.

انتصر عليهم بالحجة، و البرهان[1]، بعدها استضافه الداي في قصره لعدة أيام، و أخذ عنه خلالها و رد طريقته ليصبح من أتباعه[2]، لكن و رغم هذا الانتصار و تبرئته لم يأمن جانبه بمدينة الجزائر و عاد إلى مسقط رأسه ليكمل نشر تعاليم طريقته[3].

و تشير المصادر إلى أن العلماء في فتواهم ضد الشيخ كانوا مدفوعين من طرف السلطة[4]، و هذا بسبب تزايد نفوذه بمنطقة القبائل، و كثرة الأتباع حوله، و حتى تبعد كذلك عنه القبائل المحاربة بجرجرة لكن فيما بعد تراجع المجلس العلمي، و برأه خوفا من ثورة أتباعه[5]، الذين علموا بما يحاك ضد شيخهم، خاصة و أنهم يشكلون أكبر حاف وهو حاف "قشتولة" الرافض للسلطة العثمانية[6]، يضاف إلى هذا خوف الحكام من دعوته الرامية إلى إحياء فكرة الوحدة الوطنية، وهو الشيء الذي عملوا على عدم تحققه طيلة حكمهم[7].

لهذه الأسباب حاول الحكام استغلال فتوى المجلس العلمي ضد الشيخ، رغم عدم وجود أي دليل على تورطه في أي عمل ضد السلطة[8]، فلا نجد أي مصدر يذكر تورط الرحمانية في أي عملية عسكرية ضد السلطة[9]، ويعود هذا إلى حرص شيوخها على عدم التعرض لمكائد مع الأتراك[10]، متخذة موقف حيادي في مناطق انتشارها[11]، محبذة الإبتعاد عن السلطة و السياسة ومكتفية بدورالوسيط، وإصلاح ذات البين [12]،كماأن شيوخها كانوا حذرين، ورافضين لأي علاقة مباشرة مع الأوجاق،مستبعدة الطريقة بهذا أي عداء مع البايلك مقابل حرية نشاط مبعوثيها أو أتباعهافي نشرتعاليمها[13]،لهذا منح بعض الدايات منحوا لمبعوثيهاالمعتمدين على السواحل الغيرمراقبة جيدا،صلاحيات خولت لهم إلى حد وضع يدهم على رئاسة ركب الحج المتوجه من مدينة الجزائر إلى مكة[14]، وقد تقرب منها الحكام أكثر خاصة بعدما رفضت دعم الطرق المعادية كالدرقاوية[15].

---

(2)- BOYER, Contribution….p 39—TRUMELET, L'Algérie Légendaire, ….p 338,
DEPONT /COPPOLAIN, Op.Cit, P 383— G.ANDRE, Op. Cit, p 266.

(3)- بوعزيز، أعلام الفكر...، ص 300.

(4)-RINN, Marabouts et Khouans, p 455 – بوعزيز، نفسه، ص 302.

(5) - Ibid, P 454— SAIDOUNI, Op.Cit, P 306—GAID, Les marabouts…, p 122.

(6) RINN, Ibid, 454—ROBIN, La grande Kabylie, p23.

(7) RINN, Ibid, p454—SIMIAN, Op.Cit,pp 54, 55.

(8)- الفيلالي، المرجع السابق، ص 42.

(9)- ROBIN, La grande Kabylie, p 23.

(10)-MAHE ALAIN, Histoire de la grande kabyle XIXeme-XXeme siècle anthropologie historique du lien social dans les communautés villageoises. Ed. Bouchene, Alger 2001, P 50.

(11)- ROBIN, La grande Kabylie, P 28.

(12)- سعيدوني / البوعبدلي، المرجع السابق، ص 42.

(13)- سعد الله (أ.قا) ، الحركة الوطنية(1930- 1945)،ط3.م. و .ك الجزائر.1986، ص99 2.

(14)- SAIDOUNI, op. cit, p 402.

(1)-BOYER, Contribution…, p 49.

(2)-SAIDOUNI, op. cit, p 306.

لكن تخوف الأتراك من الشيخ، و أتباعه بقي حتى وفاته 1208عام هـ/ 1794م حيث انتشرت الطريقة أكثر، و أصبح ضريحه مزار للعديد من الناس و لما رأى الحكام ذلك الازدحام حول قبره من أتباعه خافوا من حدوث ثورة أو إضطرابات[1]، و قد تأسفوا لأنهم لم يقضوا عليه في بداية الأمر[2]، فلم يكن بوسعهم إلا حمل ضريحه إلى مدينة الجزائر لهذا سمي" ببوقبرين"[3].

و قد جسد الشعر الشعبي هذه الأسطورة التي نسجت حول جثته.

يا سيدي عبد الرحمان	Accix Ben Abderhmen
أنت الولي المزدوج	Aleweli yebdan ef.SIn
نصف في الحامة	Nnefs atan id Ihamma
و الآخر في أعالي الجبال	Nnefs degw drar lehsIn
نحمدوا ربي الذي جعلك كأب ثاني	walik Ihmed a Rabbi mik nead baba wissin[4]

الفصل الخامس:مظاهر التحالف أو طرق ووسائل السلطة لاستمالة العلماء

1- موقف السلطة من العلماء:

أدرك العثمانيون منذ البداية مدى نفوذ العلماء خاصة المرابطين و رؤساء الطرق الصوفية على السكان، خاصة بعدما وجدوا أن ثلثي البلد تحت سيطرتهم، و أدركوا دورهم أكثر عند رد الهجمات الأجنبية[5]، و تعبئتهم للناس فرأوا أن نفوذ مرابط يسهل عليهم الأمر أكثر من عدد كبير من الجيوش[6]، لهذا اعتمدوا على المرابطين كثيرا خاصة الطريقة الشاذلية و القادرية[7]، و قد وضعوا لهذا سياسة ارتكزت على أسس تحول دون أي نشاط عدائي ضدها من طرف العلماء و من بين هذه الأسس:

-الإبقاء على الاتصال مع رجال الدين، و تقديم ضمانات لهم و امتيازات إضافة إلى إظهار الاحترام، و تجنب أي ضرر ضد الأضرحة، و الزوايا، و اعتبارها ملاذ للفارين.

---

(3)-- RINN, Marabouts et khouans, p 455—GAID, Les Marabitines…, p 123.
(4)- RINN, Ibid, p 456.
(5)-RINN Ibid, p 456- GARROT, op.cit, pp 638, 639.
(6)-NACIB, op, cit, p316.
(7)- BOYER, Contribution…, pp 13,14.
(8)- FERAUD, Histoire des villes… GIGILLI, p 182.
(9)-BEL, La religion…, p357.

- مراقبة شيوخ الزوايا، و مقدمي الطرق بحذر بهدف تجنب عدائهم خاصة في المناطق الغير مراقبة أو البعيدة عن أعين المحلة [1].
- إضافة إلى إقناع شيوخ و مقدمي الطرق بمدينة الجزائر بالعدول عن إثارة القبائل المعادية للسلطة [2].
- و قد سعت السلطة إلى التفاهم معهم منتهجة في هذا سياسة مدروسة حسب المواقف[3] والمناطق.

أ- **بالمـــــــدن:**

أو في المناطق الخاضعة، تمتع العلماء و المرابطين بالمدن بوضعية مريحة مقابل حيادهم في الأمور السياسية إرضاء للسلطة[4]، و بعدم تدخلهم في الأمور العامة إلا لتأييد السلطة[5]، وهو ما يفسر انعزالهم عن السلطة كليا[6]، إضافة إلى نيلهم نسبة من مغانم القرصنة، و الهدايا في المناسبات، هذه الإمتيازات تحولت فيما بعد إلى امتيازات من النوع الروحي[7]، فمثلا السلطة دعمت و ساندت زاوية الثعالبي المشهورة لكونها بمركز السلطة (مدينة الجزائر) و كذلك لكون الثعالبي من أبناء المنطقة[8].

و ربما لهذه الأسباب تقلص دور العلماء السياسي بالمدن كفئة اجتماعية[9]، فمعارضتهم للسلطة كانت أقل مما كانت عليه بالريف حيث أن الزوايا التي توجد في المناطق الغير مراقبة و التي لها تأثير في المدن، ربطت علاقات صداقة تمثلت في الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة و عومل شيوخها و مقدموها باحترام بسبب نفوذهم كالطريقة الرحمانية[10].

لهذا فالإطار الذي وجد فيه العلماء بالمدن لم يسمح لهم بالقيام بتجاوزات على حساب السلطة على غرار ما كان يحدث بالأرياف من فتن و معارضات تزعمها شيوخ الزوايا والمرابطون.

ب- **بالأريـــــــاف:**

(1)- SAIDOUNI, Op.Cit, P 396.
(2)- BROSSELARD, Op.Cit, P 22.
(3)- BOYER, Contribution…, P 27.
(4)- Ibid, P 28.
(5)- شوفاليه، المرجع السابق، ص 86.
(6)- BOYER, Contribution, P 27.
(7)- Ibid, P 18.
(8)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 92،93 .
(9)- BOYER, Contribution, p 28.
(10)- Ibid,p30.

لقد اختلف الأمر بالأرياف عما كان بالمدن، و كان أكثر تعقيدا ،حيث كان الأتراك في البداية مضطريين للرضوخ لمطالب هذه الفئة و خاصة و أنهم لم ينتصروا على الأسبان ولم يبسطوا حكمهم بين الأهالي إلا بمساعدة أغلبية مشايخ الزوايا الذين ركزوا بالمقابل على قوتهم المالية.

و بما أنه كان بالريف من المرابطين من توجه نحو التصوف الروحي و منهم من كان يتزعم قبيلة أو عدة قبائل و إهتمامه كان الأمور الدنيوية، لذا فظهور التركي كان كمنافس له أكثر منه كبطل للإسلام، لذا كان بالريف منهم من ساعد الأتراك إما كوسطاء أو كمصلحين[1]، و هناك من وقف موقفا غامضا اتجاه السلطة[2].

فبالإضافة إلى المواقف المعادية، و التي تبناها مرابطو، و شيوخ الزوايا الذين لم يعترفوا بشرعية سلطة البايلك، و يرجع موقفهم غالبا حسب الأستاذ سعيدوني إلى سبب إقتصادي، و بالمقابل كان البايلك يرى أنها مؤسسات إسلامية بدون عقيدة و كان تمركزها في المناطق الجبلية بعيدا عن أعين السلطة[3]، مثال ذلك الدرقاوية التي سيبرز دورها ألعدائي جليا بعد القطيعة التي حدثت بين العلماء و السلطة أواخر العهد العثماني.

في البداية ظهر أن السلطة سعت لاحتوائها، و التصالح معها أكثر مما سعت لكبحها[4]، و فضل الحكام التأقلم مع المرابطين على مجاهرة العداء لهم[5]، و خاصة بعدما أدركوا مدى نفوذ و تجذر الطرق الصوفية في حياة الناس، و إدراكهم للدور الذي يمكن أن يؤديه المرابط. لذا لم يعاملوا المرابطين معاملتهم لسائر الناس حيث كانوا يستشيرونهم، ويشركونهم في المعارك، و المفاوضات[6]،

و جاملوهم بالهدايا و كلمات التعظيم، و اقتطاع أراضي لهم[7]، و جعلوهم كمساعدين لهم في إخضاع الأهالي عن طريق نفوذهم الديني و إحاطتهم بكل ما يحدث في الإيالة[8].

فخلال هذه الفترة أي فترة التحالف قدم المرابطون مساعدتهم للأتراك مقابل تدعيم القاعدة المادية لهم من طرف الأتراك الذين قدموا أموالا هامة و هدايا مختلفة للمرابطين،

(1)-SAIDOUNI, Op. Cit, p 401.
(2)-BOYER, Contribution…., p 19.
(3)-SAIDOUNI, Op.Cit, p 402.

4)-ترمنجهام سبنسر، الطرق الصوفية في الإسلام، ترجمة عبد القادر البحراوي، ط1، دار النهضة، بيروت، 1997 ، ص 356.

5)- الزبيري محمد العربي ، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث ط2، ،ش.و.ن.ت الجزائر 1985، ص 58.

6)- الزبيري، التجارة الخارجية......، ص 58.

(1)-FERAUD, Histoire des villes….GIGILLI, p 173.
(2)-MERCIER, Histoire de Constantine…, p 217.

وبالخصوص مرابطي المنطقة الجبلية[1]، خاصة البارزين و الخطرين منهم[2]، لهذا نجد السلطة التركية سعت بكل ما تملك لاستمالتهم لصالحها و التحالف معهم، رغم أن هذا التحالف لم يعرف نفس القوة في كافة المناطق.

2- الإمتيـــــــازات:

بما أن العلماء كانوا يمثلون الرأي العام فقد شكلوا طبقة اجتماعية لعبت دورا معتبرا، لذا اعتمد عليها الأتراك بالجزائر و قاموا بحمايتهم و مجاملتهم[3]، سواء ماديا أو معنويا، فعملوا على كسبهم بالمساعدات المادية و الإمتيازات[4].

و لهذا و بعدما استقلت الجزائر بالحكم عن اسطنبول حاول الدايات نهج سياسة[5] لجلب رجال الدين، بغرض مساعدتها، و مراقبة تحركاتهم، لذاك لم ينظروا لشيوخ الزوايا و مقدمي الطرق، و المرابطين كرجال دين، بل كأشخاص يحملون ثقة الأهالي[6]، خاصة بعدما علموا بمكانتهم في الأوساط الشعبية، فأظهروا لهم الاحترام، و صاروا يقدمون لهم أكبر الإمتيازات، و أصبحوا يقدسون أضرحتهم بعد موتهم و لا يعاقبون كل من يفر إلى ضريح أي مرابط لوقارة المكان[7]، لأن المرابطين كانوا خطرا على السلطة إذ هي تجاهلتهم[8].

و بما أن السلطة لم تستطع إلحاق الحركة المرابطية، و لا احتوائها، و لا تجاز تأثيراتها حاولت استعادتها[9]، بكل الطرق و الوسائل المادية أو المعنوية، و أول ما قام به العثمانيون اتجاه العلماء هو:

أ- الاحـــترام:

لما أدرك العثمانيون أن أقرب الناس إليهم هم رجال الدين، و التصوف اطمئنوا لهم منذ بداية تواجدهم بالجزائر[10]، و اتبعوا معهم سياسة التعامل بالحسنى[11]، و تقربوا منهم

---

(3)- MERAD.BOUDIA, Op.Cit, p 341.

(4)-سعد الله، من أخبار الداي شعبان، ص 109.

(5)-DELPHIN, Op.Cit, p 186.

(6)-KADDACHE, Op.Cit, p144.

(7)-BOUABBA, Op.Cit, p 41.

(8)-SAIDOUNI, Op.Cit, p 396.

(9)-حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 111.

(10)- DELPHIN, Op.Cit, p186.

(11)- FILALI, Op.Cit, p 124.

(1)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 464.

(2)-كوران أرجمند، السياسة العثمانية اتجاه الإحتلال الفرنسي للجزائر، ترجمة عبد الجليل التميمي، ط2، تونس 1994، ص 16.

وأظهروا لهم احتراما غالبا ما يكون مبالغا فيه، و هذا باعتبارهم القوة الوحيدة التي يلجئون إليها لإخضاع الرعية(1).

لذا نجد " حمدان خوجة " يذكر أن أحد الأساليب التي اتبعها العثمانيون لإخضاع السكان هو احترامهم لرجال الدين، بعدما أدركوا مكانهم في الأوساط الشعبية.حيث يقول" وأعلموه (خير الدين) بأن هؤلاء البربر قد جعلوا ثقتهم التامة بالمرابطين و التعيس من يعاكسهم في هذا..."(2)، و قد نصحوه بأن يمنح المرابطين ثقة مطلقة حتى لا يعارضه أحد لأن السكان يحترمون المرابطين أحياء أو أمواتا، و هم على استعداد لقتل أصدقائهم و حتى أقاربهم إذا احتقروا المرابطين، لهذا السبب عمل رجال السلطة على إظهار الاحترام لهم، حيث يقول في هذا:" فأحاطوهم بالرعاية، و بمظاهر الاحترام، و رفعوا من شأنهم في نظر العامة... حتى أصبحت مراكزهم ملجأ للفارين، و الهاربين من وجه الأتراك إذ لا يستطيع رجال الحكومة تعقبهم(3).

فإعتبرت أضرحتهم كملجأ للفارين من العقاب،(4) فلا يطاردونهم لوقارة المكان(5)، فقد عفى الباي عثمان بن إبراهيم (1747-1755م) عن أنصار و أبناء الباي بوشلاغم الذين حاولوا قتله، و قد جاء العفو عنهم بعدما فروا إلى ضريح سيد محمد بن عودة(6)، و أثناء حرب درقاوة أوصى الباي محمد المقاش جنوده بعدم التعرض لأي فار إلى هذا الضريح بأي حال من الأحوال، و لما انتهى القتال قاموا بزيارة الضريح، و قدموا له صدقة تزيد عن مائتي ريال دراهم(7)، رغم أنه أساء للعلماء كثيرا، و دائما و احتراما لهذه الأمكنة عفى الباي عن أهل الثائر الشريف الدرقاوي لما فروا إلى قيطنة الشيخ محي الدين مستجرين به، و كان العفو عنهم مراعاة لكرامة الشيخ و حفظا لذمته(8).

حتى أن العديد من الحكام من استغل لنفسه هذا الامتياز، فمنهم من كان يفر إلى أضرحة المرابطين تفاديا لقتله مثلما فعل الداي مصطفى الذي و بعد عودته من الحملة التي قادها ضد تونس وجد دايا جديدا في مكانه،فر إلى ضريح سيدي علي مبارك(9)، و هذا تفاديا لقتله لأنه كان من عادة الجند عندما ينصّبون دايا جديدا يقتلون من كان قبله.

---

(3)-MERCIER, Histoire de l'Afrique…, p 236.

4)- حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 56.
5)- نفسه، ص 111.

(6)- DERMENGHEM, Le culte des saints…, p 165.

7)-حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 111.
8)-مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص 20،21 .
9)-المزاري، المصدر السابق، ص 315.
10)-الجيلالي، المرجع السابق، ص 292.
1)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 469.

و في هذا الإطار أظهر الحكام كذلك احترامهم للعلماء من خلال ما كانوا يقومون به إتجاههم فمنهم من كان يقوم احتراما لهم، و يقدم لهم الهدايا حتى يسترضيهم[1]، و يعاقب كل من يسيء إليهم حتى لا يؤلب الرعية ضدهم و ما قام به الداي محمد بن عثمان(1766-1791م) الذي أعدم ثلاثة عشرة متآمرا ممن حاولوا قتل إمام المسجد،[2] لدليل على هذا وربما كان يهدف من وراء هذا إرضاء الأهالي الذين يقدرون العلماء.

كما كان الحكام أحيانا يصدرون فرمانات يمنعون من خلالهاأي انتهاك لحرمة العلماء، منها الأمر الذي أصدره صالح باي و الذي يؤكد فيه استمرار تكريم و احترام بعض المرابطين، كما كان سابقا جاء فيها:"...فإننا أنعمنا على المكرميين الأجليين الزكيين الفضلاء السيد بدر الدين و أخيه السيد المسعود أولاد المرحوم... السيد محي الدين أولاد الشيخ البركة المتبرك به سيدي الجودي و جددنا لهما على مقتضى ما بأيديهما من أوامر إخواننا الباي لار السابقين قبلنا المتضمنة كرمهما و احترامهما ... و إكرامهما، بحيث لا تنتهك لهما حرمة، و لا يهضم لهما جناب، و لا يقاسون بما يقاس به الغير، و لا يتعدى عليهما بسبب من الأسباب، بحيث أنهما يقومون أين يشاءوا، و يسافرون حيث يشاءوا... لا يعارضهما أحد،ولا يتعدى عليهما أحد لا قائد ولا تركي ولا شيخ ولامتولى من عمال بلادنا..."[3] .

فالسلطة كانت تعمل ما في وسعها حتى ترضي المرابطين الخطرين ذوي النفوذ الكبير لخشيتها تأليب السكان ضدها، و ما استجابتها لطلب المرابط ابراهيم الغبريني القاضي بإبعاد الإنكشارية من البرج بشرشال[4]كان إرضاء للسكان و للمرابط، هو في نفس الوقت وسيلة لاستقطابه للتعاون معها في التحكم في المنطقة.

ونلمس كذلك الإحترام الذي أبداه الحكام للعلماء من خلال الرسائل التي كانوا يوجهونها لهم، و التي كانت تحمل عبارات التقدير و الإحترام و التعظيم المبالغ فيه أحيانا، منها ما جاء في رسالة الداي محمد بكداش لأحمد بن قاسم البوني "السلام عليكم، سيدي... عبقري الشذا... الهلال الفرقد... الكوكب الدري..."[5]، و كذلك ما جاء في رسالة الباشا للشيخ الفكون عندما ثار بن الأحرش الدرقاوي عام 1804م ببايلك الشرق جاء فيها:"العالم الأشهر، اكبر الأنوار، مأوى القليلين (كذا)، و ملجأ الضعفاء و المساكين العارف بجميع العلوم و الفنون... السلام على مقامكم الرفيع، و شخصكم الرائق البديع..."[6]، و في جواب آخر من الباشا للشيخ أثناء

---

2)- نفسه، ص 191 .

3)- الميلي، المرجع السابق، ص 230.

4)- نقلا عن قشي، المرجع السابق،الأرشيف الوطني الفرنسي سلسلة Z21 علبة 01، وثيقة 53.أنظر الملاحق.

(5)- BOYER,Contribution…, pp 31.32-GUIN," Note sur la famille des R'obrini de Cherchel " in **R.A**.N° 18,1874, p 449.

1)- سعد الله، أربع رسائل...، ص .27.

2)- العنتري، فريدة منسية...، ص 72.

تمرد أحمد شاوش القبائلي جاء فيه:"... جوابنا هذا يتصل بيد أحبابنا و أولادنا أولهم سيدي الشيخ الفكون ثم العلماء ثم كبار الديوان..."[1].فهذا الإحترام الذي أظهره الحكام للعلماء كان نتيجة إدراكهم للمكانة التي يتمتع بها هؤلاء بين الأهالي.

لكن هذا الإحترام الذي أظهره الحكام للعلماء غالبا ما يظهر أنه كان مصطنعا حيث أن حتى الموالين لهم و أكثر المتحالفين و المتعاملين معهم، لا يراعون فيهم حتى الخدمات التي قدموها لهم، كعائلة الفكون و رغم المكانة التي تمتعت بها فإن الداي شعبان رفض وساطة الشيخ محمد بن عبد الكريم الفكون لصالح ابن عمه الفقيه الذي حبسه الداي لتدخله من أجل إطلاق سراح المساجين بقسنطينة[2]، و الشيء نفسه يقال عن الشيخ محي الدين الذي أهانه الباي حسان* هو و ابنه الأمير عبد القادر رغم كونه رئيسا لأكبر زاوية تابعة للطريقة القادرية التي يحميها السلطان العثماني.

و حتى أضرحة المرابطين التي اعتبرت ملاذا مقدسا فأحيانا يصبح هذا الحق و همي لأن الحكام يحاصرون الضريح، و يمنعون المساعدة للفارين حتى الموت جوعا[3] فاحترامهم للعلماء خاصة المرابطين لم يكن عميقا، فإذا أخذنا ما نقله " بويي" (Boyer) عما رواه الأب هاروت "Harault" أن مرابط ريفي رأى في منامه أنه يجب عليه قتل مسيحي، فأراد شراءه من تركي، لكن هذا التركي استخف بالمرابط حيث أعطى العبد سيفا، و استدعى المرابط الذي فر هاربا لما رأى السيف[4]، و هذا يرتبط بما قاله" لوجي "دوتاسي " (Laugier.D.T): " أن الأتراك لم يكن لهم مراعاة لتصنعهم، و كانوا يقتلون المرابطين مثل البقية، عند تدخلهم في أمور الدولة"[5].

إن هذا الاحترام الذي حظي به العلماء و أضرحة و قبب الأولياء و الصالحين ربما يرجع إلى طبيعتهم الدينية المتجذرة فيهم، خاصة مذهب التصوف و تقديس المرابطين الذي ترسخ في قلوب أغاب الحكام، و ربما يرجع كذلك إلى نزعة سياسية يقصدون من ورائها الاستيلاء على قلوب الرعية.

ب - المناصب:

---

3)- نفسه، ص 77.
4)-سعد الله، من أخبار الداي شعبان، ص 121.
* أنظر الفصل الثالث

(5)- DEVOULX, Les édifices…, p 9.
(6)- BOYER, Contribution…, p 28.
(7)- LAUGIER , Op.Cit, p 92.

لقد حظي العلماء و رجال الدين بمكانة خاصة عند الحكام و عملا بمبدأ ترضيتهم أسندت لهم معظم المناصب البسيطة في الإدارة، ففي المدن يتم تعيين من بينهم القضاة والقائمين على المساجد، أما بالريف فقد أسند لهم دور الوساطة بين السلطة و الأهالي، لأنهم كانوا يمثلون قوة فكرية و سياسية بالمنطقة لذا اتخذ الأتراك نحوهم سياسة أكثر شرعية بحيث لم يرتبطوا بهم بروابط رسمية قد تهدد مصالحهم، بل أحاطوهم بالاحترام وأخذ الحيطة منهم، فمثلا بمنطقة القبائل كان المرابطون عبارة عن وسائل مساعدة خاصة الطرق التي كانت تنشر أفكارها عند أعداء الإيالة[1].

و من أشهر الإمتيازات التي منحها الأتراك للعلماء كانت لعائلة الفكون التي دعمت نفوذهم بقسنطينة، حيث قدم لها الباي فرحات كل الصلاحيات[2]، فحظي أفرادها بإدارة المدينة مع شيخ البلد عند خروج البايات في الحملات* التأديبية أو حملات جباية الضرائب[3]، كما تولى أفراد عائلة الفكون إدارة حبوس مكة، و المدينة بقسنطينة، بعدما كانت في يد عائلة ابن عبد المؤمن[4]، و قد توارث أفرادها المنصب بمراسيم من الدايات موجهة إلى بايات قسنطينة، فنجد الداي اسماعيل باشا أصدر مرسوما عام 1680م، أكد فيه الحقوق لصالح سيدي محمد بن عبد الكريم الفكون** كإمام للمسجد الكبير، و أمير ركب الحج[5]، و هو تجديد لمرسوم أصدره مراد باشا عام 1060 هـ/ 1650م، و جهه إلى الباي محمد بن فرحات حيث منح بموجبه لعائلة الفكون عدة امتيازات كحق الإشراف على الضرائب المجباة على سوق الخضر و الفواكه بمدينة قسنطينة لصالح الجامع الكبير[6].

وفـي نفـس الإطار فإن عائلة آل مقران* حظيـت بإمتيـازات عدة، كحمايـة مقر صنع السفـن[7]، و هذا بعد ما لم يستطع البايلـك استغـلال الغابـات بمنطقة القبائل[8]، كقبائل بني ميمون و بني عمروش و بني فوغال ببجاية[9]، حيث كان على كل غابة عامل يدير شؤونها، و غالبا ما يكون مرابط يخضع له عدة موظفين كشيخ "الكراستة"**

---

(1)- GSELL, Op.Cit, p 175.

(2)- VAYSSETTE, Histoire de Constantine…, p 262

*حول طرق إستخلاص الضرائب راجع : موساوي القشاعي فلة ،النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني (1771 – 1837م)، أطروحة ماجيستير(غير منشورة) في التاريخ الحديث و المعاصر ،جامعة الجزائر ، 1989.

(3)- MERCIER, Histoire de Constantine, p 312

(4)- VAYSSETTE, Histoire des derniers Beys…, p 118 – KADDACHE, Op.cit, p 149.

**توفي عام 1703م، و عين الداي مصطفى خلف له ابنه بدر الدين.

(5)-VAYSSETTE, Histoire de Constantine.., p 282

(6)- Ibid, p 262

* تعود أصولها إلى قبيلة بني عباس—مؤسسها هو سيدي محمد أمقران ابن آخر أمراء بني عباس

(1)- DE GRAMMONT, Op.Cit, P37.

(2)- BOYER, Contribution…, P 30.

(3)- GARROT, Op.Cit, P 589—KADDACHE, Op.Cit, P 43.

** الكراستة :هي مكان صنع السفن .

والخوجة(1)، كما كان له في كل قبيلة غابية ممثلا(2) ينوب عنه في تسيير الأمور،هذا المنصب سمح للمرابط بالإشراف على جمع و مراقبة توزيع الخشب، و حتى تحديد ثمنه(3).

هذا الإمتياز كان يمنح للمرابطين بموجب فرمانات يصدرها الدايات، كالفرمان الذي أصدره الداي مصطفى (1700م-1705م)، و كان هذا عام 1702م حيث فوض بموجبه أمر إدارة الأمور ببجاية للمرابط محمد شريف بن سيدي عبد القادر مع حقه في الإشراف على "الكراستة"(4).

و بما أن البحارة كانوا يفضلون خشب غابة بني فوغال جنوب جيجل عين الباشا المرابط "سي أحمد المكي" بفرمان توليه5 لرعاية مصالح الأتراك بجيجل(6)، أوصى فيه الباشا علي الآغا و السكان و الجند بالحامية بعدم التعرض له(7) جاء فيه:" الحمد لله وحده ليعلم من يقف على هذا الأمر الكريم، و الخطاب الواضح الجسيم من القواد و العمال الخاص والعام و جميع المتصرفين في الأحوال خصوصا قرية جيجل. أما بعد فإن حامله المعظم الأجل السيد الحاج أحمد المكي نجل القطب سيدي محمد أمقران نفعنا الله ببركاته آمين أنعمنا عليه و قدمناه مرابط بجيجل... و لا يتعدى عليه أحد من أهل النوبة، و لا من يكسر عليه حرمته و لوقوفه مع النوبة في إتيان الأرزاق و لوجه جده المذكور و لطعمه للفقراء والمساكين. كتب عن إذن المعظم الأرفع الدولاتلي السيد علي باشا أواسط شوال 1168هـ/1753م(8).

و في عهد صالح باي بعث القاضي بجيجل و هو سيدي عبد الرحمان الفرقاني لإثبات المهام الموكلة لعائلة آل مقران المتعاملة مع القبائل من أجل توزيع الخشب(9) ،كما منح خلفاء المرابط سيد أحمد المكي عام 1821م مهمة مراقبة تصدير الفحم الخشبي(10)،ولهذا نجدها تقف إلى جانب السلطة 1806م ضد أولاد دراج و أولاد عباد، أولاد إبراهيم ،كما ساعدوها ضد إبن الأحرش.(11)

---

(4)- KADDACHE, Ibid, P 43.
(5)- BOYER, Contribution…, P 30.
(6)-FERAUD, L'exploitation des forêts…, P 23.
(7)-FERAUD, Histoire des villes… Bougie, P 205.
(8)- BOYER, Contribution…, P 31.
(9)- FERAUD, Histoire des villes… Bougie, P 206
(10)-FERAUD, Histoire des villes …Gigilli, P 119
(11)- FERAUD, L'exploitation …, p22.
(1)- FERAUD, Histoire des villes …Gigilli, p183
(2)-BOYER, Contribution …, p31
(3)- MERAD BOUDIA, op.cit, pp347-348

وإضافة إلى هذا، إستعمل الحكام رجال الدين خاصة المرابطين منهم في مجالات غير متوقعة آخذين في إعتبارهم أمر تقريب المناطق الغير مراقبة أو المعادية بحيث نجدهم قد عيونهم كجباة للضرائب أو ممثلين للبايلك .

1- جـباية الضرائب:

قام الحكام العثمانيون بتعيين المرابطين كجباة للضرائب أو ممثلين رسميين للبايلك، وهو ما حدث خاصة في منطقة القبائل،(1) حيث ربطوا علاقات مع أشهر العائلات المرابطة النافذة كأولاد سيدي شريف أمزيان بأمولا، بني علي شريف بشلاطة، و أحفاد سيدي محمد أمقران ببجاية، الذين أصبحوا جباة للضرائب ،التي كان يطلق عليها تسمية "لزمة مرابطي بجاية" "أو شمعة مرابطي بجاية "(2)، و كذلك بالنسبة لعائلة آل الفكون التي كان لها حق الإشراف على الضرائب المجباة على سوق الفواكه و الخضر،(3) كما أن الباي محمد الدباح و لكي يستميل مرابطي أولاد سيدي علي أو موسى ذوي النفوذ الكبير بالمنطقة فوّض لهم مهمة جمع الضرائب،(4) و هذا بموجب مراسيم تمنحها لهم، لمدى تأثيرهم الواسع و نفوذهم الكبير لدى السكان.(5)هذه المراسيم كانت تجدد باستمرار حتى يضمن الحكام من خلالها الأمن في تلك المناطق، وفي مقابل هذا استفاد المرابطون ماديا من هذه الإمتيازات، الأمر الذي أدى بالبعض منهم إلى طلب هذا الامتياز الذي يعود بالفائدة عليهم، مثلما فعل مرابطي أولاد سيدي محمد بلحاج "بإمدوكان" وكان هؤلاء عملوا على استقطاب عدد كبير من القبائل المرابطية إلى صفهم، بعدها طلبوا ترخيصا من السلطة المركزية لجمع الضرائب، و قد منحتهم هدا الامتياز سنة

1711م بموجب تفويض رسمي حصلوا بموجبه كذلك على حق قيادة هذه القبائل، ثم أوكلت لهم سنة 1748م مهمة جمع ضرائب أولاد زيان والصحاري(6).

من هنا أذعن الكثير من المرابطين لهذه السياسة، و أصبحوا على توافق مع السلطة وتطوعوا حتى لإقناع القبائل بدفع الضرائب(7) و مرافقتها في حملاتها الجبائية(8)، وأحاطتها بكل ما يجري في الأرياف المعادية للسلطة المركزية.

---

(4)- BOYER, Contribution …,p29 – MERAD BOUDIA , op.cit ,p342.
(5)-BOYER, Ibid, pp 30-31.
6)- سعد الله ، شيخ الإسلام ...،ص47.
(7)- ROBIN(N.J.) , "Le bey Mohamed Ben Ali ED-DEBBAH" in **R.A** N°17, 1873,p361.
8)- خنوف ، المرجع السابق، ص 10
(1)-BABES (L.), Saints- tribus et pouvoir politique dans le constantinois sous la domination turque, Université d'Oran, Oran, S.D, P 14.
(7)- SAIDOUNI, Op.Cit, P 397.
(8)- BABES, Op.Cit, P17.

2- الوساطـة :

لقد اكتسى دور الوساطة الذي أسندته السلطة للعلماء خاصة المرابطين أهمية كبرى خصوصا في المناطق الغير خاضعة كمنطقة القبائل[1]، حيث كانوا القوة الوحيدة التي تلجأ إليها لكسب طاعة الرعية[2]، هذا الدور كان يمثل وجه آخر لسياسة السلطة بهذه المناطق التي كان وجودها العسكري بها نادرا[3]، و في مقابل هذا سيطر المرابطون على كل الأحداث التاريخية من القضايا البسيطة إلى أكبر وساطة سياسية[4]، هذا أدى إلى تحول نفوذهم وسلطتهم الروحية إلى سلطة سياسية نافست السلطة المركزية فيما بعد[5] .

لقد سعت السلطة إلى استمالتهم لاستخدام نفوذهم الروحي في الأوساط الشعبية خاصة عند استخلاص الضرائب[6] التي كانت تلقى رفضا كبيرا، و قد استعانت بهم السلطة حتى في الأمور السياسية لهذا اتخذوا نحوهم سياسة أكثر شرعية، حيث أنهم لم يرتبطوا بهم بروابط رسمية قد تهدد مصالحهم بل أحاطوهم بالاحترام، و الحذر منهم، كما و ضعوهم في اهتماماتهم[7]، و قد لجأوا إليهم في الأوقات الصعبة من أجل تجنيد العامة للوقوف مع السلطة خاصة أثناء الغارات الإسبانية على السواحل[8]، فأثناء "حملة أوريلي"(Oreilly) عام 1775م نادى مرابطو منطقة القبائل للجهاد ضد الإسبان، و هذا بطلب من الداي نفسه[9]، وحتى أثناء ثورة الإنكشارية[10]،كان الباشوات يستعينون بالعلماء مثلما فعل الداي شعبان بعد عودته .

من حملته على تونس عام 1694م، بعد ما نصب أحمد شاكر عليها، والذي ثار عليه الجند و عزلوه ، فأراد الداي الرجوع لمحاربتهم، لكن الجند ببايلك الشرق رفضوا[11]، و قرروا التوجه نحوه بدل تونس، و لما بلغه قرارهم بعث إليهم القاضي والمفتيين الحنفي، و المالكي، و باشة الوقت[12]*، لكن"دلفان" (Delphin) يذكر أن الداي بعث لهم المفتي حسين بن رجب شاوش، و المفتي المالكي سيدي محمد بن سيدي السعيد والقاضيين المالكي سيدي محمد بن الحاج، و الحنفي سيدي محمد الزيتوني التونسي، لكن هذا لم ينفعه في شيء لأن وقت وصولهم إلى المعسكر وصلت رسالة من إنكشارية الشرق إلى انكشارية الجزائر تضمنت إستحسان العلماء

---

(1)- MAHE, Op.Cit, P 49.
(2)-FILALI, Op.Cit, P 130.

6)- سبنسر وليام، المرجع السابق،ص 105.

(4)- ROBIN, La grande Kabylie…, P 17.
(5)- BABES, Op.Cit, P 17.
(6)- BEL, La religion…, P 352.
(7)- GSELL, Op.Cit, P 175.

11)-سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1،ص 417.

(9)- LIOREL, Op.Cit, P 139.
(10)- DELPHIN, Op.Cit, P 206.

(11) ابن ميمون، المصدر السابق، ص 25-
(12) سعد الله، من أخبار الداي شعبان...ص122.
* ممثل السلطان العثماني المبعوث من اسطانبول حتى 1711م أين جمع بين لقب الباشا و الداي.

في نزع السلطة من الداي شعبان خوجة،[1] رغم فتحه الخزينة بالقصبة و توزيعه المال عليهم لتهدئتهم[2] لكن تم خنقه من طرف خليفته الحاج أحمد عام 1109هـ/1695م[3].

و حتى لما ثار صالح باي لجأت السلطة إلى العلماء، حيث نجد أن عائلة الفكون تنكرت له رغم مساندتها له سابقا، و الدليل موقف الشيخ عبد الرحمن بن الفكون الذي كان وسيطا للسلطة من أجل القبض على صالح باي، الذي اتهم الشيخ بالغدر فرد عليه هذا الأخير بأن "الغدر سبق منك و فيك، و لا في أهل البلد."[4]

و الشيء نفسه حدث مع الباي بوكابوس الذي رفض السير في الحملة الموجهة ضد تونس، ولما عزم على إهلاك المدينة بعدماعلم بقرارعقابه من طرف الداي،تدخل العلماء الذين توسلوا إليه من أجل العدول على قراره، و قد نجحوا في تلك المهمة، حيث سلم نفسه لهم ليتم قتله على يد الآغاالذي قطع رأسه وسلخه وحشاه بالقطن ثم بعثه إلى مدينة الجزائر[5].

أما بالمناطق الغير خاضعة والبعيدة عن مركزالسلطة، كمنطقةالقبائل فقد عمل مرابطوها كوسطاء بين رجال السلطة، والمتمردين سواء من حيث إرشادهم في المنطقة أو كمفاوضين في المسائل الصعبة[6]، وأكبر عائلة مرابطية حظيت بهذا الدور هي عائلة آل مقران التي تمتعت بمكانة مرموقة لدى الأتراك، وقد أسند لها هذا الدور بموجب مراسيم أو فرمانات يحررها الدايات كالوثيقة التي حررها الداي مصطفى سنة 1702م حيث أضاف إليها بموجب هذا المرسوم جزء من قبيلة بني مسعود كحبوس، و مما جاء فيها "لقد أنبنا إلى والده أمور الدنيا ببجاية" فما هي هذه الأمور، هي الوساطة و التفاوض،[7] في الظروف الصعبة التي تحدث بين القبائل و السلطة، كما في القضايا الدبلوماسية فهذا الدور غالبا ما كان يوفق فيه المرابط.

و نذكر في هذا السياق حادثة شهيرة وقعت في 23أكتوبر 1720م عندما رست على السواحل بين بجاية، و جيجل سفينته على متنها زوجة القنصل الفرنسي بأسبانيا و ابنتها التي تبلغ الرابعة عشر من عمرها في طريقهما إلى السويد،[8] و قد قيدت الفتاة إلى الجبال من طرف القبائل، و لم تنجح المحلة التي أرسلها الداي لتحريرها[9]، بعدما تقدم القنصل

(1) DELPHIN, Op.cit, P 206.
(2) GALIBERT (L), l'Algérie ancienne et moderne, Gallimard, Paris, 1844, p 234.
(7) DELPHIN, Op.Cit, p 206.
(4)- العطار، المصدر السابق، ص 74-75 سعيدوني، دراسات و أبحاث...العهد العثماني-ص73- شعيب ، المرجع السابق، ص 269.
(5)- مسلم بن عبد القادر ، المصدر السابق، ص 103.
(6) MERAD BOUDIA, Op.Cit, B 234.
(7) -BOYER, Contribution…, p 30.
(8) -FILALI, Op.Cit, P 125.
(9) -BOYER, Contribution…, p 30.

الفرنسي"دي سالي" (Dussalul) (1719-1724م) للداي محمد بن حسان بطلب من أجل تحريرها[1]، و لم يتم تحريرها إلا بعد تدخل مرابط بالمنطقة حيث قدم للمختطفين مبلغا من المال[2].

كان دور المرابط كوسيط مدركا لدى الكل و حتى الأجانب و نلمس هذا من خلال الرسالة التي بعث بها القنصل الفرنسي "جان أنتوان دي فاليار" Jean AntoIne de Valliére(1763-1773م) بعثها إلى المسؤول عن الشركة التجارية الفرنسية بالقل و هذا على إثر أحداث جاء فيها:" أنه لا خطر على الفرنسيين بها لأنني اطلعت على رسالتين للداي، واحدة بعثها لآغا الحامية و الثانية للمرابط الذي له تأثير على الناس"[3]، يقصد هنا مرابط آل مقران الذي كان همزة وصل بين السلطة و الأهالي بالمنطقة مثلما اعتمد العثمانيون على المرابطين كوسطاء بينهم و بين الأهالي اعتمدوا عليهم حتى لإثارة العداوة بين القبائل، و حتى لإخضاعها ،ففي سنة 1220هـ/1805م توسط سيدي علي مبارك بالقليعة بطلب من أحمد باشا(1805-1808م)، و هذا من أجل الحصول على خضوع منطقة موزاية، كما ساهم ابنه سيدي محمد بن علي مبارك بإقناع قبائل بني صالح بإنهاء ثورتهم ضد جنود آغا العرب و هذا مقابل غرامة مالية تقدر ب: 900 بوجو أي ما يعادل 16200 فرنك[4].و حتى الباي محمد الدباح وسط مرابطي أولاد سيدي علي أو موسى في ربط علاقات مع قبيلة معاتقة، و هذا من أجل أن تزوده في حملاته ضد قبائل قشتولة و بني صدقة.[5]

بالإضافة إلى هذه المهمات، كانت السلطة توكل للمرابطين مهمة إخماد الثورات فأثناء ثورة ابن الأحرش جند أولاد مقران القبائل المجاورة كأولاد عبد الجبارو توجة للدفاع عن بجاية ضد ابن الأحراش[6]، و نفس مرابطي العائلة أوكلت لهم مهمة إخضاع القبائل التي ثارت عام 1813م حسب مرسي[7]، و حتى ببايلك الشرق نجد مرابط يدعى الشليحي الذي بنى له الباي بوحنك زاوية هو الآخر عمل لمدة على تهدئة الأوضاع لصالح السلطة[8].

هذا و حتى يؤمن الأتراك مواقعهم على السواحل أبرموا علاقات تجارية مع القبائل وهذا بمساعدة المرابطين[9]، ومما يبرز لنا دور المرابطين كوسطاء ليس في التفاوض مع القبائل

([1]) -FILALI, Op.Cit, P 125.
([2]) -FERAUD, Histoire des villes…, Gigilli, pp 172,173.
([3]) -FILALI, Op.Cit, p 126.
([4]) -SAIDOUNI, Op.Cit, p 402.
([5]) -ROBIN, Le Bey Mohammed…, p 367.
([6]) -FERAUD, Histoire des villes…Bougie, p 215- LIOREL, Op.Cit, p 140.
(2)- MERCIER, Histoire des Constantine, p339
([8]) -BOYER, Contribution…, p 38.
(4)-FERAUD, Histoire des villes.., bougie, p197—FERAUD, Exploitation des forets …, p381

فقط أثناء الإضطرابات بل تعدى دورهم حتى المساهمة في المجال الاقتصادي، اضافة الى دورهم في حماية الحاميات أثناء تنقلاتها بمنطقة القبائل،[1] فاعتماد السلطة على حماية المرابطين كان إجراء ضروريا ،حيث كانت الحاميات التي لايرافقها مرابط تسلك طريق البحر[2]، وفي هذا الشأن يقول حمدان خوجة : "كانت الحامية التركية التي تتجه كل سنة إلى حصن بجاية مجبرة على أن تكون مرفوقة برجل من المرابطين".[3]

و مما سبق يمكن القول أن دور الوساطة الذي أسند للمرابطين كان عبارة عن نوع من التحالف مع السلطة المركزية يتبادل فيه الخدمات[4]، بحيث دورهم هذا كان متوقفا على رفاهيتهم المادية، و هذا بمساعدة الحكام الذين فتحوا لهم الطريق نحو الربح والمناصب المهمة[5]، رغم أن دورهم هذا لم يكن موفقا دائما ففي كثير من الأحيان يخفقون في مسعاهم، و هو الشيء الذي حدث بمازونة حيث فشل المرابطون و الشرفاء في إرجاع السلم إلى المنطقة رغم محاولاتهم المتكررة للتدخل من أجل فض النزاع بالمدينة، و هذا راجع إلى ترسخ كره الأتراك لدى الأهالي[6].

3- **"العلماء " كمبعوثين و مفاوضين:**

لم يقتصر دور العلماء و المرابطين على الوساطة بين الأهالي و السلطة فقط، فأشهرهم وذوي النفوذ القوي أوكلت لهم مهمات سياسية خارجية، فغالبا ما كانوا يرسلون كمبعوثين سياسيين عند نشوب الحرب[7]، خاصة بين الجزائر و المغرب[8] التي كانت المشاكل والصراعات دائمة بينهما و كان للعلماء دور بارز في الصلح بين الطرفين، ففي الناحية الشرقية نجد مرابطي بني ناصر لعبوا دورا هاما في إستقرار العلاقات بين تونس وقسنطينة[9].

هذا وغالبا ما كان هذا الصلح يتم بمباركة المرابطين، و هو ما حدث عام 1692م لما أعلن السلطان المغربي مولاي اسماعيل الحرب على الجزائر عهد الداي شعبان الذي كان منشغلا بالحرب ضد فرنسا،و لما علم بزحف الجيش المغربي جهز جيشا و زحف به حتى

---

(5)-FERAUD, Exploitation …, p234-

(2)- حمدان خوجة ،المصدر السابق ،ص112 - ROBIN, la grande kabyle …,p57

(3)-حمدان خوجة ،نفسه ،ص89.

(4)- قداش ،المرجع السابق ،ص10.

(9) -RAYMOND, op.cit, p82.

(10) -BELHAMISSI , op.cit, p47

(1)- FILALI , op.cit, p127.

(8)- بلحميسي مولاي ،إرشاد الحيران في أمر الداي شعبان **دراسات تاريخية**، عدد 2، 1986، ص 49، 50.

(3)- BABES,op.cit,p18.

وصل إلى مدينة فاس، هنا طلب السلطان المغربي الأمان و العفو، فأرسل ابنه عبد الملك لعقد الصلح، و قد كان أول من استقبله بالجزائر المرابطون و هذا قبل توجهه إلى الديوان، و لما تم الصلح بينهما باركه المرابطون[1]، و حتى الخلافات التي كانت تحدث بين الجزائر، و تونس كان الصلح بينهما غالبا ما يتم بتدخل العلماء، فلما أراد الداي علي باشا(1809-1816م) عقد الصلح مع تونس أرسل إليهم الحاج يوسف من كبار الترك والعلامة الشيخ علي بن النيقرو و الباش كاتب و قد وفقوا في مسعاهم[2].

و حتى عند أسر السفن كانت توكل مهمة التفاوض للكتاب الثلاث من أجل تسريحها، وقد كانت تدفع المبالغ التالية للسفينة الكبيرة التي لها ساريتين يدفع 50 بوجو (90فرنك) أما السفينة الصغيرة التي لها سارية واحدة يدفع 25بوجو (45 فرنك) من أجل استعادتها[3].

لم يستعان بالعلماء كمفاوضين فقط بل كسفراء و مبعوثين، و ممثلين للسلطة فأشهر العلماء المقربين و الذين نالوا شرف السفارة، الفقيه محمد ابن العنابي* الذي كلفه الداي أحمد باشا (1805-1808م)، بالكتابة لباي تونس رغم وجود كتاب خاصين فيقول الزهار:" أن الباشا أمر الفقيه محمد بن العنابي قاضي الحنفية أن يكتب كتابا إلى محمود باشا"[4]، و قد وعد الزهار بذكر الرسالة لكنه لم يفعل، كما فوضه الداي عمر باشا (1815-1817م) في سفارة إلى السلطان المغربي سليمان، و هذا طلبا للمساعدة من أجل إعانته عسكريا

لتجديد جيشه وأسطوله البحري، و هذا بعد القصف الأمريكي لمدينة الجزائر عام 1816م*، و قد أورد الزهار هذا في مذكراته حيث قال:" أن الباشا كتب إلى السلطان كتابا بعثه مع السيد الحاج محمد بن العنابي قاضي السادة المالكية رسولا[5].". و قد نجح في سفارته و هذا دليل على أنه كان عالما و دبلوماسيا ناجحا[6]، بحيث تعد سفارته إلى المغرب من أشهر السفارات التي قام بها[7].

---

(1) -FILALI, Op.Cit, P 127.
(2)- الزهار، المصدر السابق، ص 138.
(3) -TACHRIFFAT: P 47.
* هو محمد بن محمود بن محمد بن حسين العنابي فقيه حنفي و قاضي و كاتب و له(1775- 1850م) من أسرة مثقفة كان لها تأثير في السياسة.
(4)- الزهار، المصدر السابق،ص97 - سعد الله، المفتي الجزائري إبن العنابي رائد التجديد الإسلامي 1775 -1850 ،ش.و..ن.ت، الجزائر، 1976، ص26 .
* أنظر حول هذه الحملة التميمي(ع.ج)، "منشورات تركية غير منشورة لضرب مدينة الجزائر1816" في **R.O.M.M.**.N°05-(1968) 115-133.
(5)- الزهار المصدر السابق، ص 130.
(6)- سعد الله، المفتي الجزائري...، ص 23.
(7)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1 ، ص 398.

و لنفس السبب أرسله الداي إلى اسطنبول عام 1817م[1]، كما أن من أشهر العلماء الذين تولوا السفارة لدى الحكام العلامة أحمد بن هطال التلمساني الذي شغل عدة مناصب سياسية في بايلك الغرب حيث عمل كمستشار للباي محمد الكبير، و كاتبه الخاص والمبعوث له في عدة قضايا، و مهام خارجية،حيث بعثه الباي عند فتحه لوهران رفقة قاضي المحلة ابن سحنون، مصحوبا بالهدايا للسلطان المغربي من أجل السماح لهم بشراء الأسلحة من الإنجليز و قد توجها الاثنان نحو جبل طارق حيث وجدا قنطارين من البارود، اشتراها الباي من الإنجليز[2]، و في هذا الإطار هذا يقول ابن سحنون:"ثم وجه لملك المغرب هدية مع قاضي محلته، و كاتبه و هو الأديب الماهر محبنا السيد أحمد بن هطال أبقاه الله... أمرهما بشراء ما يجدانه يباع في ذلك و ذهب كاتبه إلى جبل طارق فبقي مدة إلى أن رجع إليه بمائتي قنطار و خمسين من البارود"[3]، فابن هطال عمل مستشارا و كاتبا للباي، ومحارب و دبلوماسي[4].

إن استعمال الحكام للعلماء في السفارة، و المفاوضات لم يكن لعدم وجود كفاءات في الجهاز الإداري خاصة في الإنكشارية و الطائفة، بل كان يعود لثقتهم الكبيرة في العلماء وثقافتهم و حنكتهم في تسيير الأمور لذا نجد من العلماء من عمل مستشارا لدى الحكام الذين كانوا غالبا ما يستشرونهم خاصة في الأمور التي تهم الأهالي، فالباي محمد الكبير استشار العلماء في أمر الذين تعاونوا مع الأسبان، فأفتوا له بالعفو عنهم حتى لا يذهبوا إلى الأسبان، فبعث لهم كتابا في هذا لكن طلبوا منه أن يبعث لهم الأمان مع بعض المرابطين فأرسل لهم قاضي البلد عبد الله بن حواء و أحمد بن سحنون خطيب المسجد الكبير، و السيد محمد بن فريحة، فمنهم من رافق وفد العلماء، و منهم من رفض عرض الباي[5].

و حتى لما تمردت بعض القبائل ببايلك الغرب فإن الداي حسن باشا استفتى العلماء الذين استباحوا دمائهم، و أموالهم التي شهدوا بأن جلها مأخوذ من الحرابة، و السلب للقوافل المارة بأراضيهم[6]، كما استفتاهم الباشا في أمر الذين يقيمون قرب حصون العدو و لم يحاربوه، كبني عامر و قد أفتوا بإباحة أخذ أموالهم[7].

بالإضافة إلى هذا هناك من العلماء أوكلت لهم مسؤولية نفقات الخزينة التي كانت توكل إلى الكتاب ذوي الكلمة المسموعة، و النفوذ العلمي، و يرجع هذا إلى عدم ثقة النظام في

---

(1) -TACHRIFFAT, p 78.

(2)- سعد الله، أبحاث و أراء...، ج3، ص 198.

(3)- ابن سحنون، المصدر السابق، ص 247—إبن هطال، المصدر السابق، ص 15،16–– شعيب، المرجع السابق، ص 177 - سعيدوني، من التراث التاريخي...، ص448 .

(4)- سعد الله، أبحاث و أراء...،ج1، ص358.

(5)- ابن سحنون، المصدر السابق، ص 427،428—شعيب، المرجع السابق، ص 186.

(6)- ابن سحنون، نفسه، ص 149.

(7) -الجامعي، المصدر السابق، ص 86

الموظفين ذوي الصلاحيات المالية خشية حدوث تلاعب في ودائع الخزينة و حسابات الدولة(1).

جـ - منـح الإقطـاعـات:

في إطار الإمتيازات التي منحت للعلماء، و بالخصوص المرابطين بالمناطق الريفية، كان الحكام يمنحون أحيانا الأراضي بدل الأجور و الترضيات(2) بحيث قام الحكام بربط علاقات معهم حيث تمنحهم إقطاع مقابل ضمان حرية المرور و جعلت منهم ممثلين للبايلك لدى الأهالي بالمناطق الجبلية حيث يكون تمركزها بين القبائل الموالية و المستقلة فتمنح لها إمتيازات على أي مكان تضمن فيه الموالات للسلطة التركية(3).

و قد كانت هذه الإقطاعات تمنح بواسطة فرمانات يصدرها الدايات أو حتى البايات أنفسهم، فنجد عام 1682م الداي الحاج محمد(1671-1682)م منح للمرابط سيدي محمد بن عبد القادر من آل مقران ملكية بقبيلة برباشة و اعتبرت كحبوس للعائلة و هذا عن طريق مرسوم جاء فيه ما يلي:"مرسوم 1682م: تعيين مرابط ببجاية.

أما بعد فإن حامله المعظم الأجل السيد المولى الأعلى البركة السيد عبد القادر ابن المرحوم الولي القطب الناصح الشيخ البركة، سيدي محمد أمقران نفعنا الله ببركاته و أفاض علينا، أنعمنا عليه بكافة عرش برباشة الذي هما على ثلاث فرقات، فرقة يقال لها أولاد عبد الله، و الفرقة الثانية تسمى بيري، و الفرقة الثالثة التي تجمع الجميع يقال لها برباشة، يكون الجميع زاوية من جميع زواياه، و يكون كلهم حبس عليه و على أعقاب أعقابه ينتفع بمقرهم و زكاتهم له و رفعنا عليه يد باي المحال هذه الناحية الشرقية، و عما لهم.

أصدره المعظم الأرفع مولانا الدولاتلي الحاج محمد باشا، أواسط جمادى الثانية من عام 1093 هجري- جوان 1682م"(4).

و قد حظيت هذه الأسرة بهذا الامتياز لتأثيرها الكبير على المنطقة و سيطرتها على عدة قبائل، لهذا نجد أن هذه الهبة كانت تجدد باستمرار عن طريق فرمانات إلى غاية 1702م، أضاف لها الداي مصطفى أهشي أرض أخرى ببني مسعود كما جدد بموجب هذا المرسوم للمرابط سيدي عبد القادر بن سيدي محمد أمقران الإمتيازات التي كانت لوالده(5).

---

(1) -سعيدوني، النظام المالي، ص 171.

(2) -سعيدوني، أبحاث و دراسات...، العهد العثماني، ص 117.

(3) -SAIDOUNI, Op.Cit, P 399.

(4) -FERAUD, Histoire des villes…, Gigilli, P183. -FERAUD, Exploitaion, P 387.

(5) -BOYER, Contribution…, P 30.

أما عائلة الفكون و التي كانت تتمتع بنفوذ كبير أدبي و اقتصادي هي الأخرى كانت تتصرف في الأراضي التي تقيم عليها قبيلة أولاد جبارة، و منحها البايات كذلك أراضي عرفت " بمتاع عزل الجبل " لها و لبعض شيوخ الزوايا و المرابطين المقيمين بقسنطينة كأولاد بن تشيكو و أولاد بشتارزي الذين كانوا في أول أمرهم ذوي نفوذ أدبي و مكانة علمية(1).

هذا الإمتياز لم يقتصر على مرابطي المنطقة الشرقية فقط، بل كذلك منطقة القبائل نجد بها الباي بوحنك هو الآخر منح قطعة أرض للمرابط الشيخ الشليحي بأولاد عبد النور(2)، أما بمنطقة القبائل و التي كانت أكثر المناطق تمردا على السلطة التركية التي سعت بكل الوسائل لاسمالتها حيث منحت مرابطي آيت إيراثن يدعى سيدي سكلاوي ملكية بسهل سباو(3)، و حتى زاوية سيدي منصور* خصصت لها أرض كوقف لتمويل رجال الزاوية(4).

إن هذا الإمتياز لم يكن يمنح لكل المرابطين، بل كان يمنح للفئة الأكثر تأثير و نفوذ، و هذا حتى تسهل للسلطة تسيير أمورها بالمنطقة، أو حتى بدافع الخوف من تأليب الأهالي عليها، بسبب نفوذها الكبير مثال ذلك: منح الداي للشيخ محمد بن عبد الرحمن "بوقبرين" أرض واسعة بالحامة، بعدما ضاع صيته و كثر أتباعه(5)، فهذه الهبة التي منحت للشيخ كانت بدافع التخوّف من نفوذه خاصة بعدما لاحظ الحكام الإلتفاف الكبير حوله من طرف الإتباع، خاصة حاف قشتولة الذي يعد أكبر حاف من القبائل معادي للسلطة، و الذي كان تابعا للشيخ، و قد قاموا بمنح شيوخ القادرية كذلك أراضي(6) و هذا نتيجة لانتشارها و كثرة أتباعها خاصة و أن أكبر مراكزها و زوايا كانت قريبة من المغرب الأقصى.

د- الإعفاء من الضرائب :

لقد كان إجراء الإعفاء من الضرائب، يتم إما بدافع ضمان السلم في المنطقة أو بدافع ضمان السير الحسن لعملية جباية الضرائب و تسليمها أو لضمان ولاء السكان، لهذا لما فرضت الدولة الضرائب على سكان الجزائر أعفت منها المرابطين(7)، و سمحت لهم بإقامة ولائم الحضرات لجلب الأتباع تجنبا لحدوث اضطرا بات قد تواجه السلطة، فيقفون إلى جانبها،

---

(1)-موساوي القشاعي فلة، النظام الضريبي ، ص 156.
(2) -العطار، المرجع السابق، ص 61.
(3) -ROBIN, La grande Kabylie…, P 29.
* سيدي منصور بن محمد بن سليم بنيت زاوية في ق.17م.
(6)- DEVOULX, Les édifices…, P 200.
(5)- نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص 180.
(6) -DEPONT/COPPOLANI, Op.Cit, p 246.
(7) -BOUABBA, Op.Cit, p 47.

و هذا حماية لهم و لأنفسهم في نفس الوقت، لهذا فإنّ ما حصلت عليه عائلة الفكون خاصة ببايلك الشرق ليس إستثناء، بل هو إستراتيجية من سياسة الأتراك مع رجال الدين[1].

هذه الإعفاءات غالبا ما كانت على شكل فرمانات سواء من الباشوات أو البايات منها ما أشار إليه" فيرو" (Feraud) بوجود وثيقتين تم إصدارهما من طرف حسين خوجة، و محمد بكداش يسقطان فيها الضرائب على مرابطي أولاد سيدي عبد الواحد، و بني سيدي الميهوب بجيجل، كما منح لهم حرية التجارة دون دفع الرسوم الجمركية، و الشيء نفسه كان لمرابطي أولاد سيدي العربي، أولاد سيدي التواتي، أولاد سيدي الجودي و أولاد سيدي قاسم بن أم هاني[2]، لكن الملاحظ هو عدم ذكره لهذه الوثائق التي أشار إليها.كما يذكر الدكتورسعد الله وجود وثائق أخرى أعفيت بموجبها عدة عائلات مرابطية من دفع الضرائب كعائلة سيدي عيسى بن عبد المؤمن و مرابطي أولاد سيدي علي بن محمد[3].

و من الوثائق التي تثبت هذا وثيقة محررة عام 1235هـ -1822م من طرف الداي حسين أعفى فيها بعض العلماء و المرابطين من المطالب المخزنية جاء فيها:" فقد اتفق أمرنا الرشيد... على أننا قد أنعمنا على السادات الأبرار، و العلماء الأخيار، الفقيه الأجل التقي الأفضل، التالي كتاب الله عز وجل سيدي محمد بن زينب، و سيدي العربي، و سيدي الهواري، و سيدي عابد، و كافة أولاد سيدي الحاج عبد الوهاب... و حررناهم، أي رفعنا عنهم أمر المطالب المخزنية قليلها و جليلها عليهم و على أعقابهم و أعقاب أعقابهم"[4].

بالإضافة إلى هذا نجد عدة زوايا و أضرحة بقسنطينة أعفيت من دفع الضرائب كزاوية سيدي عبد الرحمن الأخضري في بنطيوس التي نصت الوثائق على ضرورة احترام الناس لعائلته و نسله، و كان هذا بختم بايات قسنطينة و قد نالت هذا الامتياز بعد 114سنة من وفاة مؤسسها الأخضري[5]. كما أن الباي بوكمية حسين كلياني باي(1713-1736م) هذا الأخير عمل على ربط علاقات مع الزوايا و الطرق الصوفية، فأعفاها من الضرائب و هذا مقابل ضمان تسليم الضرائب عينا أو نقدا، و كذلك تحقيق السلم في المنطقة[6].

إن كان إجراء الإعفاء من الضرائب يتم إما لضمان السلم أو لضمان تسليم الضرائب و جبايتها فهناك من الحكام من قام بهذا الإجراء إيمانا بكرامات المرابطين مثلما فعل الباي بوحنك الذي بنى بيتا للمرابط يدعى الشليحي عرف باسمه، كما بنى له زاوية، و منحه أرضي

---

(1)- سعد الله، شيخ الإسلام....، ص 79

(2) -FERAUD, "Histoire des villes…Gegilli", pp 174, 175.

(3) -سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 470.

(4) -المكتبة الوطنية ، قسم المخطوطات، المجموعة 3206 ملف 02 ، ويقة رقم 52- انظر الملاحق .

(5)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص 470.

(6) -GAID, Chronique., pp 29.30.

بأولاد عبد النور و أعفاه من الضرائب، و هذا و حسب ما أورده" العطار" راجع إلى واقعة حدثت له مع المرابط بعدما كان لا يؤمن بكرامات الأولياء[1]*.

لكن عملية الإعفاء من دفع الضرائب أحيانا تكون شكلية أو جزئية و هو ما اعتمد مع أولاد سيدي الشيخ بالصحراء، الذين كانوا لا يدفعون سوى ستة فرنك على كل حمولة جمل[2]، رغم أنها لم تكن تمنح لهم الوجود الفعلي على أراضيها، و ربما يرجع هذا الإجراء لكونهم تابعون للطريقة القادرية التي يحميها السلطان العثماني، أو لأن لها نفوذ كبير على المنطقة.

هـ - المصاهرة:

لقد سمحت المصاهرة بين بعض الأتراك و ممثلي الجماعات المحلية النافذة بالريف خاصة العائلات الكبرى الإقطاعية و المرابطية بظهور روابط و تلاحم بين الطرفين[3].

هذه المصاهرة سمحت للحكام ببسط نفوذ البايلك، و إحلال الأمن خاصة في المناطق التي تقطنها قبائل شديدة المراس، فهذه المصاهرة كانت وجه آخر لسياسة الحكام للتقرب من فئة من فئات المجتمع التي لها وزنها و تأثيرها على المجتمع، وهكذا وجدت عدة مصاهرات بين الحكام و العلماء من ذلك ما ذكر في سجلات المحاكم الشرعية في إحدى الوثائق التي تشير إلى زواج الداي شعبان من نفيسة بنت العلامة محمد بن عبد المؤمن[4]*. كما أنّ الداي حسن باشا (1791-1798م) كان صهرا لباش كاتب الحاج عمر الذي عزله حفيده الداي مصطفى باشا بسبب رفض إبنة أخت الباش كاتب الزواج به[5]، و هو نفسه الذي تزوج من أسرة ابن القاضي ليشد أزره بهذه المصاهرة[6]، أما الداي حسين فكان متزوجا بإحدى حفيدات سيدي أحمد بن يوسف الملياني[7] الذي كان أول من ربط العثمانيون علاقات مباشرة معه، منذ بداية تواجدهم على السواحل الجزائرية.

أما بشرشال المرابط سيدي مالك البركاني الذي له نفوذ على المناطق المحيطة بشرشال كبني منصور، ريغة بني مناد، فقد تزوج من إبنة قائد شرشال، و هذا بعدما هدده بإثارة بني منصور ضده عندما رفض طلبه في البداية و هنا تدخل آغا العرب بالمنطقة المدعو " يحيى" و أعطى الأمان للبركاني كما عينه شيخا علىبني منصور و زوجه من ابنة القائد[8].

---

(1) -شعيب ، المرجع السابق ، ص 61. * أنظر الكرامة كاملة

(2) -MERAD BOUDIA, Op.cit, p 365.
(3) -FERAUD, Histoire des villes…Bougie, pp 88.89.

(4)- م.ش علبة 4، وثيقة 17. * أنظر الملاحق
(5)- الزهار، المصدر السابق، ص 71.
(6)- نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص 97.
(7)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 470.

(8) -GUIN, Op.Cit, pp 456.457.

وبيايلك الشرق فأشهر المصاهرات كانت مع عائلة آل مقران، فحسب ما أورده فيرو فإن الباي علي(1710-1713م) زوج بناته الثلاثة لشيوخ قبيلة آل مقران[1]، و التي تعد من أكبر القبائل المخزنية و المرابطية ببجاية و ما يحيط بها، لكن "مرسي" (Mercier) لا يذكر إلا ابنة واحدة و تدعى"تركية" التي تزوجت بالابن البكر لآل مقران[2]، و حتى الباي حسين بوحنك (1746-1753م) هو نفسه صاهر عائلة آل مقران المسيطرة على بجاية[3]، هذه المصاهرة سمحت له بضمان الأمن في هذه المنطقة و كل المناطق التي تدين بالولاء لهذه العائلة المرابطية.

و حتى أكبر و أشهر الحكام صاهر عائلات مثقفة أو مرابطية كصالح باي الذي تصاهر مع عائلة إبن جلول وهي أكبر عائلة توارثت خطة القضاء الحنفي، و كتابة العدل بقسنطينة في عهده و بعده و الأرجح أنه زوج ابنته للعائلة و لم يتزوج منها[4].

و بالتالي فالمصاهرة كانت وسيلة اعتمدها الحكام لكسب العلماء خاصة الذين يبرزون على الساحة، كالشيخ محمد بن دالة المولود عام 1780م، و لما ضاع صيته ووصلت أخباره باي قسنطينة من تقوى و إصلاحيين المتخاصمين عرض عليه وظيفة دينية لكنه أبى، فألح عليه الباي كثيرا حتى وصل إلى مصاهرته[5].

و الشيء نفسه حدث بمنطقة القبائل، و التي كانت أكثر المناطق توترا نجد بها الباي محمد الذباح* عرف خلفاء إمارة كوكو ذات النفوذ القوي بمنطقة القبائل، خاصة قبائل سيباو العليا، وواد الحمام[6]، و قد تزوج هذا الباي من ابنة رئيس العائلة في تلك الفترة سي عمار بوكتوش[7]**، و هي من خلفاء ابن القاضي[8]***،هذه المصاهرة سمحت له ببسط نفوذه على كل المنطقة الموالية لخلفاء إمارة كوكو[9]، و ضمن حياد القبائل الموالية لأحفاد ابن القاضي، كبني جناد، و آيت ايراثن، لكن "بويي" (Boyer) يذكر أن صلة الباي محمد الذباح بهذه العائلة كانت عن طريق أمه[10].

([1]) -FERAUD, Histoire des villes …, Bougie, p 293.
([2]) -MERCIER, Histoire de Constantine…, p 244.
([3])- الزبيري، مدخل إلى تاريخ المغرب-..، ص 26—VAYSSETTE, Histoire deConstantine…, p 286-
([4])- قشي، المرجع السابق، ص 151
(9) - بوعزيز،أعلام الفكر.....،ص138.
(1) -ROBIN, Ibid, p 62.
*عين قائد على برج سيباو عام 1737م خلفا لعمه حسين عثمان خوجة و سمي بالسفاح لتنفيذه حكم الإعدام في 200 شخص ذبحهم بيده أنظر ROBIN(N.J), La grande Kabylie…
([2])- فرج، المرجع السابق، ص34. -
** تعني كلمة بوكتوش بالأمازيغية الرجل ذو الرمح
([8]) -BOULIFA, Op.Cit, P 245.
*** هم زعماء إمارة كوكو التي تعود أصولها إلى القاضي الشهير أبو العباس الغبريني، قاضي قضاة بجاية عهد الحفصيين، أنظر حول هذا ابن خلدون ،تاريخ البربر، ج3.
([9])- فرج، المرجع السابق، ص 35.
([10] -BOYER, Introduction à une histoire…, pp 20,21.

أما في بايلك الغرب فالباي محمد المقلش و بعد تأكده من تورط المغرب في حرب درقاوة عمد إلى الدهاء و السياسة حيث تصاهر مع الشيخ قدور بن الصحراوي، و هو من القبائل الموالية للدرقاوي، كما أرسل إلى هذه القبائل الحبوب أثناء المجاعة التي إجتاحت تلمسان[1]. كما أنه صاهر قبيلة الحشم و هي أكبر قبيلة ساندت الدرقاوي و كان هذا بإشارة من العلامة الأخضري المهاجي على الباي حتى يتمكن من القضاء على الثورة الدرقاوية[2].

و بهذا كانت المصاهرة هي إحدى مظاهر التقارب بين الحكام و العلماء، خاصة المرابطين منهم، هذه المصاهرة التي لجأ إليها الحكام من أجل كسب ولاء رجال الدين وبالتالي ضمان الأمن و الاستقرار في المناطق التي لهم نفوذ عليها.

و- __المراسلات و الزيارات:__

لقد اشتهر بعض الحكام بتقربهم من العلماء و غالبا ما كان هذا للحاجة القصوى فكانوا يتبادلون الرسائل و من أشهر من تبادل الرسائل مع العلماء محمد بكداش الذي تراسل مع أحمد ساسي البوني ذو السمعة الدينية و العلمية بعنابة، و حتى خارجها[3]، و قد مزج الباشا في رسالته بين النثر و الشعر و أشاد فيها بخصال أحمد البوني و عائلته في العلم والولاية، كما طلب منه النصح و الدعاء و قد جاء فيها:".... مولانا المحب الأمثل الأعز الأكمل كنز العلوم السنية، و جوهرة الألفاظ الذهبية...مولانا و سيدنا و وسيلتنا إلى ربنا الأمجد...فريدة العصر سيدي الشيخ الحاج أحمد:

أحبتنا نلتم من الفضل رتبــة   و كم كلت الأحبار و الله دونها

فجودوا إذا ما الليل أرخى سدوله   بهمتكم نصحا لنا تبذ لونهــا

...و أنتم و أيما الله دار العلم و الولاية... أخذتم نهج القوم عن أسلافكم

فإن قيل لي من ذا الذي قد وضعته   أقول دعوني هذا الخل أحمـــد

و نجل لقطب قد تحقق مجــده   أبو قاسم* لا زال و الله يحمـد.[4]

و حسب الدكتور سعد الله فهذه الرسالة كانت حرّرت لغرض سياسي، و هو جلب طاعة الرعية[5]، و قد بادله البوني الرسائل كذلك عدد فيها من جانبه خصال الباشا من عدل و كرم

(1)- الجيلالي، المرجع السابق، ص 291.
(2) -ابن سحنون، المصدر السابق، ص 46.
(3)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 413.412.
* قاسم بن محمد البوني، والد أحمد البوني أخذ عنه محمد بكداش الصوفية
(4)- أنظر الرسالة كاملة ابن ميمون، المصدر السابق، ص 227.226ـــسعد الله ، أربع رسائل...، ص 26،- و ما بعدهاـــقنان، المرجع السابق، ص 156-155
(5)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 413

و علم و نفوذ و وصفه بالشريف العارف الظريف الكيس...و قد شكا فيها كذلك أحوال عنابة، و خراب مساجدها و ضياع حبوسها.

فقال عنها:

حبسها قد أسرفا   ناظره فأشرفا[1] (فنى و هلك)

كما أسدى له فيها النصح و أوصاه بالإعتماد على الله، و استشارة العقلاء، كما ذكر له سوء أحواله خاصة حاجته إلى المال:

مطالبي كثيرة   فطشكم غزيرة[2]

كما أن الباشا راسل ابن الفكون أثناء تمرد صالح باي، و كذلك أثناء فتنة ابن الأحرش، و كانت هذه الرسالة تحمل عبارات الإحترام و الثناء على ابن الفكون الذي دافع عن المدينة (قسنطينة) في أثناء غياب الباي جاء فيها:" ... إلى العالم الأشهر، الحبر الأنور، مأوى القليلين... العارف بجميع العلوم، و الفنون سيدي الشيخ بن الفكون السلام على مقامكم الرفيع، و شخصكم الرائق البديع،... أما بعد فرانا نستكثروا (كذا) خيرك من شأن وقوفك و صيانتك البلاد و نصحك و حمايتك العباد... إذ خيرك معنا سابق فبالأحرى أن يكون بالزيادة لاحق... و ما أنت إلا حبيبنا و صديقنا..."[3]

أما في الرسالة الثانية و التي وجهها الباشا إلى العلماء أولا ثم إلى ناس قسنطينة، أوصاهم فيها بالتعاون مع الشيخ بن الفكون للدفاع عن المدينة جاء فيها:".. نوصيكم أن تكون حالا واحدة مع السيد الشيخ بن الفكون فإنه عصبتكم في مهامكم و مرشدكم في نوائبكم..."[4].

أما الرسالة الثالثة و التي كانت موجهة بالدرجة الأولى إلى الشيخ ابن الفكون والعلماء و التي أهدر فيها الباشا دم الإنكشارية التي ساعدت الباي احمد شاوش القبائلي على التمرد سنة 1808م، و قد جاء فيها ما يلي:" الحمد لله جوابنا هذا يتصل بيد أحبابنا وأولادنا أولهم سيدي الشيخ بن الفكون ثم العلماء ثم كبار الديوان ثم ناس البلاد..."[5].

من هذه الرسالة خاصة نلمس الأهمية التي يوليها الحكام للعلماء بحيث أن خطاب الباشا يوجه دائما لهم أولا ثم إلى رجال الديوان، و هذا لإدراكه المكانة التي يحظون بها لدى الأهالي لمدى نفوذهم و تأثيرهم عليهم و كذلك لقدرتهم على تغيير و التحكم في مسرى الأمور.

([1])- ابن ميمون، المصدر السابق، ص 228ـــسعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص 414ـــسعد الله أبو القاسم: تجارب في الأدب و الرحلة، م.و.ك ، 1974 - الجزائر، ص 90،91.

([2])- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 415 ..

([3])- العنتري، فريدة مؤنسة...، ص 72.

([4])- نفسه، ص 73.

([5])- نفسه، ص 77.

في حين نجد رسالتين أوردهما الأستاذ قنان: الأولى كانت من الشيخ محمد بن عبد الكريم الفكون موجهة للداي حسين، و الثانية هي الأخرى موجهة للداي حسين من طرف الشيخ مصطفى بن عبد الرحمان لكن الملاحظ على هاتين الرسالتين هو عدم ذكر سبب واضح لها فالأولى كانت كرد على ما وصل إلى مسامع الباشا من أخبار و شكاوى حيث كان الشيخ ابن الفكون ينفي فيما أن يكون وصل إلى مسامعه ما وصل الباشا حيث يقول فيها:" ...هذا و قد بلغنا ما بلغكم الله المنى... كتابكم و فهمنا ما تضمنه الأشراف خطابكم ما شوش العقول و حير الأفكار ارق الشريفة أسماعكم من الأخبار مستشرفين لما لدى في الأسرار فالذي يصل مقام سيدنا أدام الله عزه... إني لم أطلع من شقة بأذني و لم يشتك به أحد لي و لم يتحقق بطريق من طرق العلمادي و لو علمنا ذاك يقينا لوجب عليتا الإعلام، إن كتمان الشهادة من أعظم الآثام..."[1]

أما الرسالة الثانية و التي حرّرت من طرف الشيخ مصطفى بن عبد الرحمن هي الأخرى غامضة نوعا ما، فهو يذكر فيها اغتصاب المحصنات، و لم يبين نوع هذه المحصنات جاء فيها:" ...غير أن ما ذكرته من اغتصاب المحصنات الخ لم يكن شيء من ذلك ثابت عندي... و لم يقم قائم بين يدي يطلب حقا منع منه".[2]

من خلال هاتين الرسالتين التي كانتا تحملان كل عبارات التعظيم و التبجيل للداي، نستخلص أن العلماء و خاصة المتعاونين مع السلطة كانوا عبارة عن أعين للباشا حول كل ما يدور في الحياة اليومية للناس و كل ما يدور في الأقاليم.

أما بخصوص الزيارات فإن عائلة الغبريني بشرشال و التي حظيت بمكانة مرموقة لدى الأتراك الذين كانوا يزورون مرابطيها[3]، حيث أنّ الباي المقلش الذي نكل بالعلماء أثناء الثورة الدرقاوية، زار الغبريني في طريق عودته إلى وهران بعدما قدم الدنوش، و هي كدلالة على الصداقة[4]، و هذا بعد رفض هذا المرابط المدعو الحاج بن عودة الغبريني تقديم المساعدة لإبن الشريف الدرقاوي[5]، كما أن هذا المرابط رد له الزيارة في معسكره بوهران[6].

و بهذا و نتيجة لعقد البايلك لعلاقات وطيدة مع أكبر العائلات المرابطية فشل الدرقاوي في استمالة عائلة الغبريني، التي رفض مرابطها مساعدته لعدم ثقته به، و لهذا كانت جهوده

([1])- قنان جمال، نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830، م.و، للطباعة، 1987، ص 277.
([2]) -نفسه، ص 278.
([3]) -BOYER, Contribution…, p 31.
([4]) -GUIN, Op.Cit, p 451.
([5]) -SAIDOUNI, Op.Cit, pp 402.403.
([6]) -GUIN, Op.Cit. p 452.

دون جدوى خاصة بشرشال[1]، فالمراسلات و الزيارات بين الحكام و العلماء كانت هي الأخرى وجه من الأوجه التي تبرز التحالف بين الطرفين.

الفصل السادس: الحكام ومساهمتهم في الحياة الثقافية:

أ- بناء المراكز الثقافية و المساهمة في الوقف:

لقد تجلى احترام العثمانيين و تقديرهم للعلماء و محاولة التقرب منهم في بناءهم للعديد من الزوايا و المساجد في كل من المدن و القرى و أوقفوا عليها أملاكهم اعتمادا منهم على منطق التضامن الإسلامي و هذا دليل على محاولتهم خلق إطار للتواصل مع الأهالي عن طريق السلطة الروحية[2]، و قد اشتركوا حكاما و جنودا و كراغلة في إقامة هذه المؤسسات[3]، و تأمين الموارد لصيانتها و الإنفاق على إقامة الشعائر الدينية فيها[4]، بحبس ثرواتهم على المشاريع الدينية[5].

و بالبرغم من اهتماماتهم الحربية، إلا أن عقيدتهم الدينية تجلت في بنائهم المساجد والمدارس و كذلك الأوقاف[6]، و هذا كجزء من عملهم لخدمة المجتمعات الإسلامية، وكذلك لجلب موالاة الرعية، أو ربما للشهرة[7]، بحيث لا نكاد نجد حاكما بقي مدة طويلة في الحكم إلا وبنى مسجدا أو زاوية أو حبس لها وقفا[8]، و نذكر هنا على سبيل المثال الداي بابا حسن (1682-1683م) بنى جامع كتشاوة و أوقف له أماكن و عقارات كثيرة، كما عين به سبعة و أربعون موظفا و حدد مرتباتهم[9]، فأغلب المساجد التي أسست بمدينة الجزائر مثلا شيدت ما بين القرنين 17 و 18م*، كما أن أغلبها بنيّ على أنقاض مراكز دينية سابقة كالجامع الجديد الذي بنى مكان المدرسة البوعنابية، و جامع علي باشا الذي أسس عام 1758م مكان زاوية سيدي لكحل التي شيدت 1669م[10]، إضافة إلى هذا هناك من عمل على تجديد المساجد كمحمد باشا الذي جدد مسجد السيدة[11].

---

(1) -SAIDOUNI, Op.Cit, p 403.
(2)- قداش، المرجع السابق، ص 10، 11.
(3) -سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص 192.
(4) -MARCIER (G.), L'architecture musulmane d'occident, Paris- Picard. 2 Vol, 1926/27, p 425
(5) -جوليان، المرجع السابق، ص 376.
(6)- شعيب، المرجع السابق، ص 211.
(7)- بوعزيز، أوضاع المؤسسات الدينية، ص 23.
(8)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص 233.
(9)- نفسه، ص 236.
* حيث أن عدد الأوقاف قبل عام 1750م كان يصل إلى 159 وقفا ثم ارتفع عام 1841 إلى 227 م، فهل هذا يعني أنه في المرحلة الأولى لم يكونوا في حاجة إلى أسلوب الترضية نظرا لوجود الإحساس المشترك؟- DEVOULX, Les édifices…
(10) -TALL, Op.Cit, p 195. —KLEIN, Op.Cit, p 132.
(11)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص 233.

ونفس الظاهرة في البوادي، حيث ساهم رجال السلطة بدورهم في بناء المراكز الدينية، فنجد الباي علي (1710-1715م) شجع الزوايا و فتح المدارس[1] كما بنى الباي بوحنك الجامع الأصفر عام 1743م، حيث كان يدرس فيه نحو ثمانية مدرسين[2]، كما أذن ببناء مدرسة قربه[3].

اما ببايلك الغرب فأشهرهم الباي محمد الكبير الذي أصلح مساجد معسكر و بنى مشاهد الأولياء، كضريح الولي محمد بن عودة، و الولي أحمد بن يوسف الملياني[4]، كما بنى للعالم الفقيه محمد علي أبو طالب المازوني بعد الفتح الثاني لوهران و لطلبة مدرسة فقهية بمازونة، كما أهداه جزء من صحيح مسلم[5].

ومن أجل كسب تأييد رجال الدين سعى بعض الحكام إلى أخذ نذور على أنفسهم مثلما فعل الباي حسين بن صالح عام 1807م، حيث أخذ على نفسه نذرا تعهد فيه ببناء دار الولي سيدي علي، و كذلك دار سيدي محمد بن سيدي سعيد، و إصلاح مسجده[6]، و هذا حتى يضمن تأييد السكان له في حملاته على الجهات الشرقية لبايلك قسنطينة[7]، في حين وجد من قام بهذا وفاءا منه للمرابطين الذين ساعدوه، كالآغا يحيى بن مصطفى الذي بنى مسجد جمعة الصهاريج[8]، و الباي محمد الذباح الذي بنى في القرن 18م قبة ضريح المرابط سيدي علي أوموسى[9] من ماله الخاص بقيمة مليونين ريال (5000 فرنك)، وهذا جزءا على مساعدة مرابطي أولاد علي بن موسى له في ربط علاقات مع قبيلة معاتقة التي تزوده في حملاته ضد قبيلة قشتولة و بني صدقة[10].

و قد كانت النتيجة المترتبة على هذه السياسة ازدياد عدد الزوايا في غالبية مناطق الإيالة، فقد أحصى" الورثلاني" حوالي 50 زاوية بزواوة و نحو 20 زاوية بمدينة بجاية وضواحيها[11].

و بما أن العثمانيون رأوا في الرابطة الدينية، عاملا قويا لبسط نفوذهم و تدعيم مكانتهم لدى الأهالي، هذا الأمر دفعهم إلى تحبيس أملاكهم إما تقوى وورعا أو من أجل الخلود والذكر

([1])-GAID, Chronique…, p 29.
([2])- شعيب، المرجع السابق، ص 211.
([3]) -GAID, Chronique…, p 33.
([4]) -ابن سحنون، المصدر السابق، ص 133
([5])- نفسه، ص 78.
([6]) -FERAUD, "Un vœu de Hossein Bey de Constantine, 1807".In- **R.A** N°7,1863, pp 91.92.
([7]) -سعيدوني، الوقف و مكانته.، ص 59.
([8]) -ROBIN, la grande Kabylie, p 57.
([9]) -DELPECHE, La zawia de sidi Ali…, p 86
([10]) -ROBIN, la grande Kabylie…p64.
-ROBIN, "Le Bey Mohammed Ben Ali-ED-DEBBAH", p 369.
([11]) -الورتلاني، المصدر السابق، ص 58

الحسن[1] أو تقربا للمرابطين و كسب تأييد السكان[2]، و بهذا كان الوقف خير وسيلة لتأكيد نفوذهم، و بسط حكمهم، و تعزيز الرابطة الروحية مع السكان[3] خاصة مع فئة العلماء و المرابطين حتى لا تؤثر عليهم الحركات المعادية[4].

ففي هذه الفترة لا نكاد نجد حاكما إلا و بنى مركزا دينيا أو ثقافيا سواء كان مسجدا أو مدرسة أو زاوية إلا و أوقف عليه حبوسا من ماله الخاص، فمثلا الداي بابا حسن (1682-1685م) لما بنى جامع كتشاوة أوقف عليه أملاكا و عقارات كثيرة[5]و دعمه حتى بالكتب كما أوقف عليه مصحفه الذي أهداه له أحد سلاطين آل عثمان عام 1684م، والشيء نفسه يقال عن الباشا ميزومرطو عندما بنى مسجده أوقف عليه أراضي و دكاكين و سوق وحتى الداي محمد بكداش لما أسس زاوية الأشر ف أوقف لها حبوسا[6] و هذا من أجل التقرب منهم.

و بناء على هذا العامل الروحي التضامني هناك من كان يوقف جزء من أملاكه وثروته[7] مساهمة منه في تمويل و بناء المراكز الدينية، و توظيف المدرسين و توفير السكن للطلبة[8]، لهذا فمنهم من كان يشتري الكتب و يوقفها على الطلبة كالباي محمد الكبير الذي كان يشتري المخطوطات النفسية ليحبسها على المدارس و علماء المساجد[9]، فأبوراس الناصري وحده حبس عليه بايات وهران مكتبة سميت " مكتبة المذاهب الأربعة[10]".

و لهذا فإن إدراك العثمانيون للأهمية التي يمكن أن يتركها الوقف في الأوساط الشعبية كونه وسيلة للتضامن، و دعم الحياة الثقافية من جهة و هو وسيلة لتأكيد نفوذهم واستمرار حكمهم[11]، لهذا نجد تزايد الأوقاف خلال القرن 18م خاصة بمدينة الجزائر، كأوقاف زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي التي قدرت عشية الاحتلال بـ 82 وقفا[12]، وقد عمد الأتراك إلى تنظيمها[13]، و هذا بإنشاء هيئة تسهر على رعايتها و هي " المجلس العلمي "[14]. و أشهر من سعى إلى هذا الإجراء صالح باي الذي ضبطها في دفاتر رسمية و عين لها موظفين خاصين للسهر عليها[15]*.

---

(1) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 233.
(2) سعيدوني، الوقف و مكانته...، ص 59 - سعيدوني، النظام المالي، ص 144.
(3) سعيدوني، دراسات و أبحاث.... العهد العثماني، ص152.
(4) سعيدوني، النظام المالي، ص 144.
(5) العقاد صلاح، المغرب العربي في التاريخ الحديث و المعاصر، ط1، منشأة المعارف، مصر، 1962، ص 281.
(6) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 235.
(7) سعيدوني ، النظام المالي، ص 144.
(8) العسلي، الجزائر و الحملات الصليبية...، ص 166.
(9) ابن هطال، المصدر السابق، ص 26.
(10) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 297.
(11) سعيدوني، دراسات و أبحاث.... العهد العثماني، ص 152.
(12) سعيدوني، الوقف و مكانته ...، ص 60.
(13) FERAUD, Les anciens établissements …, p 125.
(14) الجيلالي، المرجع السابق، ص 207.
(15) FERAUD, Les anciens établissements…, p 126

*أنظر الملاحق

فالوقف في العهد العثماني لم يكن موردا هاما لرعاية و دعم الثقافة فقط بل كان كذلك وسيلة استعملها الحكام لجلب مرابطي القبائل[1].

و من أشهر الحكام الذين برز دورهم في تدعيم الحياة الثقافية سواء من خلال إنشاء المراكز الدينية أو صيانتها أو حتى من خلال الوقف، صالح باي و الباي محمد الكبير الذي كان أكثر الحكام إهتماما بالثقافة و كذلك محمد بكداش.

ب- <u>أشهر الحكام المشجعين للثقافة:</u>

1- <u>الداي محمد بكداش **</u>. (1707-1710م)

هو محمد بن أبي الحسين نور الدين علي بن محمد، عربي الأصل ينتمي إلى آل البيت، سماه والده بكداش تيمنا بشيخ البكداشية[2]، لأنه متصوف أخذ الصوفية على الشيخ قاسم بن محمد البوني والد أحمد قاسم البوني الذي كانت له مراسلات معه[3].

نشأ محمد بكداش نشأة علمية دينية[4]، فكان يدرس العلم و ينظم الشعر بالعربية ويخطب بها، و يتقرب للعلماء كثيرا[5]، لذا وصفه كل من كتب عنه بعالم الأمراء و أمير العلماء[6] من هذا ما أورده أحمد توفيق المدني نقلا عن كتاب " الشهب المحرقة " لأبي زيد عبد الرحمن التلمساني، أن محمد بكداش عالم فقيه مشارك في عدة فنون من المعارف والعلوم، ماهر في علم اللسان[7] فهو حسب ما قاله أحمد توفيق المدني من كبار العلماء والأدباء[8].

بعد قدومه إلى الجزائر من أناضوليا (1086هـ-1674م) التحق أول الأمر بالجندية، بعدها ترقى في عدة مناصب حكومية كحامل راية العسكر و موظف لتقسيم الخبز على الجند، ليترقى سنة(1117هـ-1705م)، و يصبح دفتر دار (كاتب عام) ثم عين دايا على الجزائر 1119هجري-1707م[9]كما أنه كذلك تصدى للإقراء مرارا[10]، و تولى خطابة بعض مساجد مدينة الجزائر عام 1104هـ- 1692م[11]، لكن حساده و شوا به لدى الباشا الذي نفاه إلى

([1]) MERAD BOUDIA, Op.Cit, p 342.

** تعني كلمة "بكداش" بالتركية الحجر القاسي

([2]) الجيلالي، المرجع السابق، ص 207.

([3]) سعد الله، أربع رسائل....، ص 16.

([4]) الجيلالي، المرجع السابق، ص 207.

([5]) سعد الله، أربع رسائل...، ص 16.

([6]) الجيلالي، المرجع السابق، ص 207.

([7]) المدني، حرب ثلاثمائة سنة....، ص 453.

([8]) المدني، عثمان باشا....، ص455 .

([9]) سعد الله، أربع رسائل...، ص 16.

([10]) المدني، حرب ثلاثمائة سنة..، ص 453- الجامعي، المصدر السابق، ص 50.

([11]) الجيلالي، المرجع السابق، ص 208- المدني، نفسه، ص 453.

طرابلس الغرب ثم إلى تونس[1]، ولما تولى الحكم أحاط نفسه بالعلماء، و الشعراء، و الأدباء بمدينة الجزائر[2]، كما كانت له صلة مع عائلة البوني، و كذا أغلب علماء قسنطينة و تلمسان[3]، وربما لهذه الأسباب ظهر التفاف الناس الكبير حوله و توحدهم هم و العلماء بهدف الجهاد، خاصة بعدما شاع عنه عزمه على الجهاد[4]، و قد وصف مؤرخ معاصر له هذا فقال:" جاء إليه الناس من كل فج عميق... و كان طلبة العلم و حملة القرآن هم أشد الناس مسارعة لإجابة دعوة السلطان إلى الجهاد المبارك[5]، فعمله على استرجاع وهران رفعه في أعين العلماء و العامة[6].

و يتجلى دوره في الثقافة أكثر من خلال تأسيسه لزاوية الأشراف التي خصص أجور للقائمين عليها من مدرس، إمام، مؤذن، حزابين، كما عين لها وكيلا لرعاية شؤونها[7]، كما كانت للداي بكداش مراسلات مع العلماء كأحمد بن قاسم البوني الذي كافأه بعدما هنأه على انتصاره[8].

و بالرغم من تقربه من العلماء و مجالستهم، فهذا لم يمنعه من قتل ولدي المفتي الشهير سعيد قدوره، و لم يسلم هو كذلك من القتل بعدما عجز عن دفع أجور الجند، و هذا بسبب تأخر باي قسنطينة في دفع الدنوش[9].

2- __صالح باي (1771-1792م)__:

لقد حكم بايلك قسنطينة كغيره من مقاطعات الجزائر أواخر العهد العثماني حكاما منهم من تميز بحسن السلوك، و كفاءة التسيير، فحاول المحافظة على مصالح الدولة والتكفل برعاية السكان، و التخفيف من شقائهم، مما اتخذه من إجراءات ملائمة و ما أقره من تنظيمات مفيدة مثل صالح باي، الذي دفعه إخلاصه إلى مواجهة مصاريف الإنشاء العمومية بأمواله الخاصة.

يعد صالح باي من أشهر بايات قسنطينة، عرف بسداد الرأي و حسن التسيير والاعتناء بشؤون الرعية[10]، و قد قال عنه العنتري:" كان رجلا عاقلا، سيرته مليحة، وسياسته مستحسنة حميدة، يسمع كلام الشاكين، و ينصر المظلومين، يحب عمل الخير ويرتضيه و

(1) الجيلالي، نفسه، ص 209.
(2) المدني، حرب ثلاثمائة سنة، ص 455.
(3) سعد الله، أربع رسائل...، ص 19.
(4) العسلي، الجزائر و الحملات الصليبية، ص 119.
(5) ابن ميمون، المصدر السابق، ص 120
(6) سعد الله، أربع رسائل...، ص 19.
(7) DEVOULX, Les édifices, PP 160.161
(8) ابن ميمون، المصدر السابق، ص 87، سعد الله، أربع رسائل...، ص 20.
(9) الجيلالي، المرجع السابق، ص 218.
(10) GAID, Chronique…, p 42.

يسعى في صلاح العباد، و يعتني بأمورهم، أجرى الصدقات على الفقراء... فنال من الخيرات ما لم ينله أحد من البايات قبله و لا بعده[1]."

ازدهرت الحياة الفكرية في عهده خاصة بقسنطينة، و يرجع هذا إلى تشجيعه لرجال الفكر، و إنشائه للمؤسسات التعليمية[2]، من مساجد و مدارس في عنابة و قسنطينة لدراسة النحو و الفقه و التوحيد و تفسير القرآن، فقد أنشأ بمدينة قسنطينة مدرسة سيدي لخضر قرب المسجد المسمى بهذا الإسم، كما شيد مدرسة الكتاني عام 1190هـ-1776م لتعليم مختلف العلوم[3]، و تسمى بالمدرسة " الصالحية " و هي ملاصقة لمسجد الكتاني المدفون به، و قد لقي عمله هذا رضى الناس خاصة العلماء فأشد بعضهم شكرا و تخليدا و مدحا له.

طاب الزمان لمن يوالى نفعـه   للمسلمين وزاد في علياه

ملك يوم الصالحات يعد لـه   فاختار آخرته على دنياه

أحيا دروس العلم بعد درسها   و بنى لها دار أزكى مبناه

أعني مدرسة لاحت أشعة نور   ها لم و هي الدرفي معناه

جاءت بها نفس المعظم صالح   ذلك المجاهد يبتغي مولاه

فإله يرزقه السعادة دايما (كذا)   و ينيله يوم القيامة معناه

قد بين التاريخ في قولنـ ـ ـا   فجرا المجاهد بالهنا مبناه[4].

و قد اختار لها مشايخ للتدريس من خواص العلماء، و أجرى لهم العطايا و هذا التدريس التفسير، الحديث، الفقه، الأصول، النحو، المنطق، و قد تخرج منها عدة علماء[5].

أنفق صالح باي أموالا طائلة على مسجد سيدي الكتاني، و مدرسته التي أوقف عليها أوقافا[6] منها عدد هاما من الكتب[7]، و وضع لها مدرسين و ثمانية طلبة و وكيل[8] بها خمسة غرف واحدة للمدرسين و أربعة للطلبة،و تخصيص منح للطلبة و تجهيزها بكل المرافق[9]، و قد استحدث نظاما دقيقا ليسمح للمدارس بتأدية وظيفتها الثقافية، و كان هذا النظام مفروضا على الطلبة و المدرسين و من القوانين التي وضعها:

-لا يقبل في المدرسة إلا من حفظ القرآن عن ظهر قلب.

---

(1) العنتري، فريدة منسية...، ص 68.69.

(2) مجهول، تاريخ بايات قسنطينة،حقيق. حساني مختار، منشورات، حلب الجزائر، 1999، ص 5.

MERCIER, Histoire de Constantine…, p 293.

(3) نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص 213.

(4) "حدوث مدرسة الكتاني"، **جريدة المبشر**، .... (1961، رقم م ر، ميكروفيلم، 20 ص. ج 6.

(5) نفسه، ص6.

(6) شعيب، المرجع السابق، ص.240.

(7) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص 294..

(8) MERCIER, Histoire de Constantine…, p 254.

(9) VAYSSETTE, Histoire de Constantine…, p 358.

-يشترط فيه أن لا يكون متزوج حتى يتفرغ للدراسة فقط.

-كما لا يسمح للطلبة بالمبيت خارج المدرسة إلا للضرورة القصوى.

-أما العطلة فكانت محدودة من 20 إلى 30 يوم و إذا لم يلتحق بعدها الطالب مباشرة يطرد ليعوض بطالب آخر[1].

و نستخلص من هذه القوانين جانب كبير من الحكمة في تسيير أمور التعليم لأنه استعان بمشورة الشيخ عبد القادر الراشدي، المفتي الحنفي، و شعبان بن جلول قاضي الحنفية و العباسي قاضي المالكية[2]، وهذا ما دفع" فايسات" (Vayssette) إلى القول أن:" النظام المنتهج في عهد صالح على مستوى المؤسسات التعليمية، لا يقل أهمية من حيث النوعية إذا قارناه بالتعليم الموجود في ثانويات فرنسا..."[3].

كمانجده كذلك أهدى مجموعة من الكتب و المخطوطات العربية و التركية تحمل خاتمه إلى المكتبات و مدارس و مساجد قسنطينة من بينها مكتبة السيد حمودة بن الفكون التي كانت تحتوي على 2500 مجلد، و كذلك مكتبة البشتارزي التي كانت تضم 500 مجلد[4].

كان صالح باي يهدف من خلال هذه المبادرات إلى نشر التعليم بين الناس، و إعداد علماء أكفاء لتولي أمور ثقافية دينية و إدارية، إضافة إلى سعيه للحفاظ على علوم الدين من الضياع.

من جهة أخرى قد أظهر احتراما و معاملة حسنة للعلماء و المرابطين فأجزل لهم العطايا، و أسقط عنهم المطالب المخزية، و منحهم إقطاعات و كدليل على معاملته الحسنة لهم، وثيقة حررها بنفسه جاء فيها:

" ليعلم من يقف على أمرنا أننا أنعمنا على السيد بدر الدين، و أخيه المسعود ولدي محي الدين أولاد الشيخ البركة سيدي الجودي، و جنودنا لهم على مقتضى ما بيدهم من أوامر إخواننا السابقين، لا قائد، لا تركي، و لا شيخ و لا متولى من عمال، فلا ينتهك حرمتهم..."، إمضاء صالح باي أواسط رجب 1185هـ[5]، أن ثبوت صالح باي في الحكم و لمدة طويلة كان نتيجة تعامله مع الأسر النافذة في بايلكه[6].

---

(1) نور الدين عبد القادر ،المرجع السابق ،ص 214.

(2) GAID, Chronique…, p 42.

(3) VAYSSETTE, Histoire des derniers…, p 93.

(4) LALOE (F.), "A propos des manuscrits arabes de Constantine", in **R.A** N°66 1925, pp 106,107.

(5) سلسلة Z21 ، العهد العثماني،.. علبة 1، وثيقة رقم 53.-سعيدوني، دراسات و أبحاث، الأرشيف الوطني الفرنسي، نقلا عن قشي، المرجع السابق، ص73 FERAUD , Histoire des villes …Gigilli, p187.

(6) سعيدوني : النظام المالي ...،ص50

و بما أن صالح باي كان يتميز بقدرات إدارية عالية في التسيير، و هو شيء نادرا ما نجده عند حكام الإيالة، فقد تميز بالإدارة المحكمة للأمور الدينية فركز جهوده على تنظيم أوقافها و حمايتها، حيث أمر بتسجيل الأملاك الوقفية في سجل كبير و هو ما تبينه وثيقة أمضاها صالح باي عام 1185 هـ، جاء فيها:" و لما وقع التقصير من وكلاء مساجد قسنطينة، و لم يكن لهم اعتناء بشأنها و فرطوا في ذلك غاية التفريط[1]."

من خلال الوثيقة ندرك أنه قام بإصلاحات في الأوقاف، فوضع أربع سجلات فيها كل الأوقاف، واحد عند صاحب بيت المال، و الثاني عند شيخ البلد، و الثالث و الرابع عند القاضيين الحنفي و المالكي، كما وضع لها قانونا ليحاسب فيه الوكلاء كل ستة أشهر، والغائض يتفقده العلماء المنعقد بهم المجلس العلمي و صاحب بيت المال كل سنة[2].

لكن و بالرغم ما قدمه للثقافة إلا أن تحوله في سياسته مع العلماء و المرابطين خاصة بعد تراجعه عن الإعفاءات التي استفادت منها الزوايا و هذا لحاجته المتزايدة للمال من أجل الإنجازات العمرانية ببايلكه، و هناك من يرى أن سبب هذا التغيير في علاقته مع العلماء يرجع إلى بنائه للمدرسة الكتانية التي نافست الزوايا منهجا و سمعـة[3]، لهذا يقول "تروملي" (Trumelet)**:** "أن دعمه للثقافة ولد له عداوة خاصة مع رجال الدين[4]"،وهو يقصد هنا شيوخ الزوايا و المرابطين.

و بهذا يمكن القول أن سياسته المالية المتشددة و قوة إجراءاتها نفرت منه الناس، فاستنكر شيوخ الزوايا طريقة حكمه كسيدي أحمد الزواوي و سيدي محمد الغراب[5]، وحتى الشيخ ابن الفكون رفع عنه حمايته[6]، لما حاصره الجند، ابن الفكون الذي وعده بمكاتبة الباشا ليعفو عنه لكن لما قبض عليه الجند اتهم صالح باي الشيخ بالغدر، فرد عليه هذا الأخير :"الغدر سبق منك، و فيك و لا في أهل البلد"[7]،و قد تم خنقه بعد 20 سنة من الحكم و الإنجازات العمرانية و الثقافية، إلا أن هذا لم يمنع السلطة من إزاحته لأنها تخوفت منه، و وجدت في اعتدائه على قافلة مرابطي سيدي بو عبيد كذريعة ضده[8]، و قد ترك مقتله أثرا عميقا في نفوس القسنطنيين و ما المرثية التي نضمت بعد موته إلا دليل على تمسكهم به.

---

(1) FERAUD, Les anciens établissements…, p 123.
(2) Ibid, P 124.
(3) قشى، المرجع السابق، ص 106،107.
(4) TRUMELET, L'Algérie légendaire, p 25
(5) أبو عمران الشيخ و آخرون، معجم مشاهير المغاربة، ، ص 314.
TRUMELET, L’Algérie légendaire, p27.
(6) سعيدوني، دراسات و أبحاث....، العهد العثماني، ص 73.
(7) العطار، المصدر السابق، ص 74، 75
(8) MERCIER, Histoire de Constantine…, p 257.

قالـ ـ ـوا الـ ـ ـعرب قالـ ـ ـ ـو
ما نعطـ ـ ـوا صالح   و لا مالـ ـوا
قالـ ـ ـوا العـ ـ ـرب هيهـ ـ ـات
سيـ ـدي صالـ ـح بـ ـاي البايـ ـ ـات
و لا تقاتله حتى يطيحوا الرقاب على الرقاب[1]

لكن و بالرغم ما قام به صالح باي من إصلاحات في فائدة العلم و العلماء إلا أن عداوة العلماء له في أواخر عهده انقلبت ضده، و لكن ما قام به لا يرتقي ،حسب صالح فركوس إلى ما قام به الباي محمد الكبير[2].

3- الباي محمد الكبير :

كانت الحياة الثقافية ببايلك الغرب قبل وصول الباي محمد الكبير إلى الحكم تتسم بالجهود و التحجر، و هذا راجع إلى اهتمام الناس بالتجارة خاصة لأنها تضمن لهم العيش الجيد[3]، و كان هذا هو حال كل أقطار الوطن خلال القرنين الأولين للوجود العثماني، رغم أنه قبل مجيء الأتراك كانت معظم المدن الجزائرية خاصة تلمسان مسرحا للإشعاعات الثقافية، و تزخر بمراكز دينية و تعليمية امتد إشعاعها على أرجاء القطر الجزائري، وحتى خارجه[4].

لكن بعد دخول الإسبان كاد العلم أن يندثر، فمثلا مدينة وهران طيلة مدة الاحتلال الأسباني عاشت عزلة و فراغ ثقافي لأن الأسبان عملوا على طمس معالمها العلمية والثقافية لكنها استعادت مكانتها الثقافية بعد عودتها لحضيرة الوطن، و جعلها عاصمة البايلك[5]، كما أنه و حسب شهادة الأسير الأسباني"ثيدنا"(Thedenat) *، فإن انتشار الأمية كان مريعا بمعسكر رغم كونها عاصمة البايلك[6]، و يرجع هذا إلى نقص التعليم و وسائل تشجيعه وتنشيطه سواء معنويا أو ماديا، و قد وجد هذا في الباي محمد الكبير[7]. الذي كان بارعا بإدارة شؤون بايلكه[8]، و كذا بتحريره لوهران عام 1792م من الاحتلال الإسباني، كما ازدهرت الحياة

---

(1) سعيدوني، ورقات...، ص 124 — قشي، المرجع السابق، ص 109 و ما بعدها.
(2) فركوس، الباي محمد الكبير...ص 21.
(3) ابن سحنون، المرجع السابق، ص 5 13.
(4) فركوس، الباي محمد الكبير، ص 16،17.
(5) الناصري، عجائب الأسفار...، ص 150،151 .
* أسير اسباني اشتراه الباي محمد الكبير ب 100 سكة لإتقانه الكتابة و القراءة و بقي في بلاطه مدة أربع سنوات
(6) EMERIT (M.)," Les aventures de Thedenat "In **R.A ,N°** 92, (1948), p 181.
(7) ابن سحنون، المصدر السابق، ص 133.
(8) GEORGUOS, Notice sur le Bey…, p 405.

الفكرية في عهده لتقربه من العلماء و بناءه المؤسسات التعليمية، و اختيار كبار العلماء للتدريس[1].

و يبرز دوره الكبير في تشجيع الثقافة و بعثها من جديد بإنشائه المدارس و المساجد خاصة، فبنى مدرسة بمعسكر و أخرى بوهران و ثالثة بمازونة، أشهرها المدرسة المحمدية التي بناها بمدينة معسكر نسبة إليه، و هي المدرسة التي قال عنها ابن سحنون: "التي كاد العلم أن يتفجر من جوانبها"[2]، و قد جهزها بكافة الوسائل الضرورية من مكتبة وقاعة للمطالعة، وكل المرافق الضرورية، كما عين لها أساتذة أكفاء للتعليم[3]، كالعلامة الطاهر بن حواء قاضي قضاة معسكر و العلامة السيد عبد الله بن حواء قاضي البلد وخطيب المسجد الكبير، وهما من أسرة تمتاز بالعلم و المعرفة و عين مديرا لها الشيخ محمد بن عبد الله الجلالي، رئيس الرباط بوهران حيث قال ابن سحنون "و يرشدهم ويوجههم إلى مناصب مختلفة"[4]، كما وضع لها نظام داخلي لتسييرها و ألحقها بمسجده ورتب لها المدرسين و النظار[5]، و زودها بمكتبة تحوي نفائس المخطوطات، و هذا بأمواله الخاصة[6].

و بهذا و بفضل إصلاحاته عرفت معسكر التعليم من خلال إصلاحاته العديدة على مستوى تنظيم التدريس ليتخرج من هذه المدارس عدد هام من الطلبة و العلماء[7].

إن أعماله الحضارية لم تقتصر على مدينة معسكر بصفتها عاصمة البايلك بل مد مشاريعه الثقافية إلى العاصمة الثانية وهران، التي بنى بها مسجد يعد من أكبر مساجد المدينة[8]، إضافة إلى ما استفادت منه المدن التي سبق ذكرها من إصلاحات الباي وإنجازاته، استفادت مدينة تلمسان هي الأخرى من إصلاحاته الحضارية[9].

و لتلبية حاجيات موظفي هذه المراكز حبس عليها الباي مخبزة و حدائق و بساتين، هذه الأوقاف لم تستفد منها فقط هذه المؤسسات بل حتى العلماء، حيث خصص لهم رواتب منها، وفي هذا يقول ابن سحنون "أنه رتب للمدرسين في الجوامع بوظائف يأخذونها من الأحباس...."[10].

(1) ابن سحنون، المصدر السابق، ص 135.
(2) ابن سحنون، المصدر السابق، ص 127.
(3) نفسه، ص 135 - سعيدوني، دراسات و أبحاث.... العهد العثماني، ص 249.
(4) ابن سحنون، نفسه، ص 137..1100
(5) نفسه، ص 135.
(6) سعيدوني، أبحاث و دراسات... العهد العثماني، ص 244.
(7) EMERIT, L'Algérie a l'époque…, P 92
(8) LESPES (R.), Oran, Etude géographique et l'histoire urbaine, Felix.Alain, Paris, S.D, p 96.
(9) GEOGUOS, Notice sur le Bey…, N°02, pp 409,410.
(10) ابن سحنون، المصدر السابق، ص 135.

لقد عمل الباي محمد الكبير على استمالة العلماء و تقريبهم، حيث كانت جلساته لا تخلوا من العلماء و الأدباء و الشعراء، و مجالسه تظم العديد منهم خاصة في المناسبات وقد عبر ابن سحنون عن هذا ،فقال :" في الأعياد فإنه كان يضم فيها أهل الوظائف كالخطباء والأئمة والمؤذنين و المؤدبين و المدرسين،[1] إضافة إلى الهدايا و المنح التي يقدمها لهم في المناسبات و الأعياد.[2]

لقد اهتم الباي بتدوين الأحداث التاريخية خاصة تاريخ وهران و بايلك الغرب بتشجيعه للعلماء و الكتاب و إجزاء له العطايا لهم، فكان يأمر بنسخ الكتب الثمينة والمخطوطات النادرة[3]، حيث كان يجمع في قصره الناسخين ذوي الخط الجيد[4] فيختار الماهرين منهم لنسخ الكتب المهمة و لا يهمه الثمن المدفوع من أجل مخطوط ثمين[5]، فقد منح ابن سحنون 100دينار ذهب بعد تلخيصه لكتاب الأغاني و 50 دينار ذهب على جمعه لكتاب الطب" القاموس" إضافة إلى منحه هدايا أخرى[6].

و بما أن فترته تميزت بتعبئة الناس ضد الإسبان، هذا الأمر ضاعف حماس الكتاب على تقييد المعارك و الأحداث خاصة التي وقعت في عهده[7]، فإنه منح للحاج محمد القرومي 100 محبوب ذهبا و ألبسة تساوي 50 محبوبا ذهبا عندما مدحه بقصيدتين الأولى عندما شيد المسجد الكبير و الثانية لما دخل مدينة الأغواط و ضواحيها[8].

لقد شجع الباي الكتاب على التأليف و في شتى المعارف، حتى أنه كان يقترح المواضيع أحيانا، فكلف كاتبه مصطفى بن عبد الله (ابن زرقة) بتدوين أحداث الجهاد عند فتح وهران الثاني، فألف "الرحلة القمرية في الأخبار المحمدية"[9]، كما أمر ابن رقية التلمساني بتدوين أحداث حملة "أوريلي" (Oreilly) على الجزائر عام (1189هـ -1775م)، فألف "الزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة"[10]، و قد أشار ابن سحنون إلى هذا بقوله "و كم تأليف نشأ بأمره".[11]

---

(1) ابن سحنون، نفسه، ص 143.
(2) ابن هطال، المصدر السابق، ص 26.
(3) ابن سحنون، المصدر السابق، ص 146.
(4) المدني، محمد عثمان باشا....، ص 141 -GEORGUOS, Op.Cit, p 414
(5) GEORGUOS, Ibid, p 414.
(6) ابن سحنون، المصدر السابق، ص 145.
(7) ابن سحنون، المصدر السابق، ص 185.
(8) ابن هطال، المصدر السابق، ص 26 المدني، محمد عثمان، ....، ص 141.
(9) ابن هطال، نفسه، ص 26 ابن سحنون، المصدر السابق، ص 147.
(10) فركوس، الباي محمد الكبير، ص 25.
(11) ابن سحنون، المصدر السابق ، ص 145.

و تشجيعا منه للحركة العلمية قام بإرسال بعثات علمية للشرق خاصة الأزهر، وكان يمدهم سنويا بإعانات[1]، و هذا دليل على رغبته في تكوين علماء ذوي مستوى عال، و لم يقتصر اهتمامه و تكريمه لعلماء الجزائر فقط، بل تجاوزت علاقاته الثقافية الحدود الجغرافية للبلاد، حيث كان يرسل الهدايا للعلماء المشهورين مثل العالم المصري الشهير أبو الفيض المرتضى الزبيدي صاحب "تاج العروس في شرح القاموس"[2]، كما أكرم العالم المغربي الزياني (1743-1833م) صاحب "الترجمانة الكبرى" عندما نزل بوهران[3]، فربما يكون هذا من باب الاحترام أو من أجل جلبهم إلى حضيرة بايلكه للاستفادة من علمهم.

وكان الباي محمد الكبير يستشير العلماء في القضايا الهامة، و ينزل عند رغبتهم[4]، بحيث عفى عن المتعاونين مع الأسبان، و هذا بإشارة من العلماء[5]، و حتى لما دخل مدينة الأغواط و فرض ضريبة على أهلها، طلب منه العلماء إسقاطها لعجز الأهالي عن دفعها، فعوضها بضريبة أخرى، كما منح سوار فضة لكل امرأة.[6]

و من شدة احترامه للعلماء كان لا يسيء إلى الأهالي أثناء حملاته إذا تقدم العلماء كوفد عنهم، فكان يفرض عليهم الضريبة السنوية فقط[7]، ولما أراد دخول مدينة الأغواط خاف من عاقبة ما سيحدثه جنده خاصة بالعلماء فكتب لهم كتابا يحذرهم من الإساءة لهم، "وسأل الله أن لا يحصل هلاك واحد منهم على يديه"، كما بعث لهم كتابا أعطى لهم الأمان و طلب منهم مغادرة المدينة و عدم الاختلاط بقومها الظالمين حيث جاء فيه: "... إلى كافة علماء بني الأغواط... إن بلغكم كتابي هذا أخرجوا عيالكم و أولادكم من هذه القرية الظلمة أهلها... و عليكم آمان الله، و لا تختلطوا بالقوم... فإن قبلتم النصيحة فاحذروا الفضيحة وإن أبيتم فإثم أولادكم عليكم..."[8].

إن عمله مع علماء الأغواط ما هو إلا دليل على حرصه على سلامة العلماء لأنه كان يدرك مكانتهم في المجتمع، لذا و لما اشتكى سكان وهران من الطلبة و طالبوا منه إخراجهم من المدينة، حزن عليهم حتى أشار عليه الآغا قدور الكبير بن إسماعيل البحثاوي بعدم طردهم من المدينة، بل مساعدتهم و حسب المصادر فإنه دفع لهم مالا كثيرا قصد التبرك بهم، كما أمرهم بأن يشتغلوا بالقراءة و الكتابة و يكفوا عن إذاءة الناس و قال لهم " فما في المدينة من يحبكم

---

(1) نفسه، ص 146-147.
(2) نفسه، ص 149 — سعد الله، أبحاث و أراء...، ج1، ص 85.
(3) بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة، ص 21.
(4) ابن هطال، المصدر السابق، ص 25 — ابن سحنون، المصدر السابق، ص 427 — الزياني، المصدر السابق، ص 205.
(5) ابن هطال، نفسه، ص 25 - ابن العطار، المصدر السابق ص 186.
(6) GEORGUOS, "Expedition de Mohamed El Kebir", in **R.A**, N°3, 1858, p 187.
(7) ابن هطال، المصدر السابق، ص 72،73.
(8) نفسه، ص 61،62.

إلا ثلاثة أنا و الآغا و النساء.[1]" و حتى لما أحي رباط وهران كان يزور الطلبة كل أسبوع، و يقدم لكل مدرس خمسة سلطاني، كما أنه بنى لهم بالرباط خباء يجتمعون فيه لقراءة صحيح البخاري[2].

من هنا يمكن القول أن إصلاحات الباي كانت أكبر حافز للنهوض بالحياة الثقافية، رغم أن الريف لم يتأثر بحركته الثقافية، و ظل أبناؤه يتلقون تعليمهم من زوايا المرابطين، و شيوخ الطرق، و حسب الزياني فإن اهتمامه بالثقافة يرجع إلى شخصيته المثقفة، حيث أنه كان فصيحا يحب المطالعة[3]، التي كان يتفرغ لها أوقات راحته[4]، كما كان يحب المجالس والمناظرات العلمية، و يمارس الطب بنفسه[5] حتى لقب بطبيب الفقراء[6].

و بهذا يكون تشجيعه للثقافة نابع من استنارته، و تشبعه بالمعارف، رغم أن هناك من يرى أن الهدف من وراء تشجيعه للثقافة هو كسب العلماء إلى جانبه لتدعيم مركزه في الحكم، فعرف كيف يجلبهم و جعلهم يتهافتون عليه بالثناء، و تخليد مناقبه لأنه كان ذو تفكير سياسي بعيد النظر[7]، خاصة عندما أحي الرباطات الطلابية[8]، التي كان يؤمر عليها العلماء، مثل رباط وهران الذي أثر عليه الشيخ الجيلالي مدير المدرسة المحمدية هذا الرباط الذي ذكره ابن سحنون بقوله:

مؤمرا شيخنا الجيلالي محمد الأحق بالإجلال

و قد ساعده على إدارة كل من قاضي القضاة الطاهر بن حواء و كاتبه الخاص مصطفى ابن زرفة[9]، فجمع المرابطون فيه بين التعليم و الجهاد.

و حسب الأستاذ سعد الله فإن الباي محمد الكبير لما عين الشيخ الجلالي على رأس الرباط كان يهدف إلى التخلص منه مثلما تخلص من ابن حواء باستشهاده، و هذا لأن الشيخ الجلالي عالم بارز و له مكانته في الوسط الاجتماعي[10].

مهما تكن غاية الباي محمد الكبير من وراء أعمالهو تحقيقاته الثقافية، إلا أنه ساهم بقسط كبير في إحياء العلوم، و بعث الحركة الثقافية من جديد في بايلك الغرب، كما أنه و بفضل تشجيعا ته للعلماء على التأليف، أنشأ ما يسمى "بالأدب المحلي".

---

(1) الزياني، المصدر السابق، ص 205 – الآغا المزاري، المصدر السابق، ص 296.
(2) ابن سحنون، المصدر السابق، ص 276.
(3) ابن سحنون، المصدر السابق، ص 146.
(4) نفسه، ص 205.
(5) نفسه، ص 205.206.
(6) المدني محمد بن عثمان باشا...، ص 142 – GEORGUOS, Expédition…., p 415
(7) فركوس، المرجع السابق ، ص 26.
(8) نفسه، ص 28.
(9) ابن سحنون، المصدر السابق، ص 241 – البوعبدلي، الرباط، و الفداء....، ص 27.
(10) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص 426.

إذا تتبعنا كل ما كان يقدمه الحكام للعلماء من احترام و هدايا و امتيازات، هذا يجعلنا نفسر ذلك بالرجوع إلى عقيدتهم الدينية المتجذرة فيهم و التي ترسخت في قلوبهم منذ كانوا باسطانبول، لكن من جهة أخرى إذا نظرنا إليهم بكونهم غرباء عن هذه البلاد، و أن العلماء هم المسيرين للأهالي، ندرك أن عملهم اتجاه العلماء ما هو إلا سياسة يقصدون من ورائها الاستيلاء على قلوب الرعية التي تقدر رجال الثقافة و تحترمهم، فالبعض يرى أن العثمانيين لم تكن لهم ميول دينية و لا ثقافية، لهذا لم يهتموا بتطوير الثقافة، و ما اهتمامهم الضئيل بأمور الدين إلا لانعكاساتها على الحكم و الإستقرار بالبلاد، حيث اتبعوا سياسة معينة لإدراكهم لمدى تأثير العلماء على العامة، خاصة المرابطين فسعوا لدعمهم أو على الأقل الحصول على حيادهم[1].

وحسب ما أورده "بودان" (Bodin) فإنه حتى انضمام الحكام للطريقة ليس إلا للحصول على الدعم و لمراقبتها[2]. و نجد الأستاذ سعيدوني يعتبر حتى الهدايا المرسلة إلى الحرمين الشريفين كانت بغرض كسب الشعور الديني و رضى الأهالي[3] حتى أن بعضهم وحسب حمدان خوجة يتظاهر بالتدين من أجل كسب تأييد العلماء و من ورائه كسب ولاء الأهالي، وهذا من خلال إقامتهم للصلاة حتى يظهروا أمام الناس أنهم صالحون[4]، و قد ذكر "بوبي" (Boyer) أن الداي نفسه كان يوقف أعماله و يذهب للصلاة رفقة العيان حتى يتفادى انتقاد العلماء، لأنهم هم الذين يمثلون الرأي العام، و تأثيرهم كبير على السكان[5].

لكن و رغم هذا لا يمكن أن نستهين بما قدمه العثمانيون للثقافة بالجزائر و لو بطريقة غير مباشرة، من خلال أعمال فردية تطوعية سواء كانت لأغراض سياسية أو ثقافية بحتة،و في هذا الصدد، إتخذ بعض العلماء موقفا محايدا و اعتزل السياسة نهائيا، ومنهم من عارض السلطة في هذه الفترة التي اتسمت بالتحالف عموما وفقا لأهداف معينة.

فمنذ بداية عهد الدايات كانت معارضة بعض العلماء للحكام، فلم يسلموا من نقدهم، ومنهم من تمرد عليهم، حيث يذكر "تواتي" أنه عام 1675م ثار العلماء ضد السلطة بتلمسان، و حسب قوله أن هذه الثورة لم تكن ضده السلطة في ذاتها، بل لعدم تطبيق الشريعة[6] القاضية

([1]) BEL (A.), Histoire et historiens de l'Algérie, Alcan, Paris, pp 194.195.
([2]) BODIN (M.), "Note sur sidi M'hammed Ben chaâ, patron de Beni Zeroual d'Algérie", in **B.S.G.A.O,** N°51, 1930, p 38.
([3]) سعيدوني: النظام المالي، ص 121.
([4]) حمدان خوجة: المصدر السابق، ص 145.
([5]) BOYER, La vie quotidienne…, P 73.
([6]) TOUATI, Op.Cit, pp 117.118

بالتضامن و العدل و المساواة لهذا "شو" (Shaw) يقول أن تصرفات الحكام الغير عادلة كانت تدفع الأهالي إلى الثورة ضدهم[1].

و في سنة 1728م تعرض الداي كردي عبدي باشا (1724-1732م) هو الآخر إلى مؤامرة من المفتي الحنفي و بمساعدة آغا العسكر[2]، و بقسنطينة تمردت القبائل سنة 1181 هـ/1767م، تحت إمرة المرابط سيدي أحمد السعدي على رأس أربعين ألف مقاتل، و أثناء هذا التمرد تم قتل القائد التركي و ألف و مائتي جندي و ثلاثة آلاف مقاتل محلي إضافة إلى إلحاقه خسائر كبيرة بالمخزن، و لم تخمد هذه الثورة إلا أثناء عهد صالح باي بعدما دامت سبع سنوات[3].

و رغم أن الحكام كانوا يستغلون نفوذهم للضغط على القضاة للحصول على أحكام توافق أهوائهم و يرضخ القضاة خوفا من قتلهم[4]، لكن هذه التصرفات ليست قاعدة عامة، فحسب ما ذكره "حموش" أن هناك وثائق تشير إلى حالات بينت مقاومة القضاة للضغوط الممارسة عليهم من خلال محاولة تراجع الحكام عن قرارات التحبيس لأملاكهم منها سبعة عهد مصطفى باشا، و ثلاثة عهد علي باشا، و واحدة عهد إبراهيم باشا، حيث كان نظار الأحباس يقدمون شكاوى ضد الحكام مثال ذلك تراجع مصطفى باشا عن الحبس ،حيث حبس حانوت للعطر على نفسه ثم على عقبة ثم على ساقية ماء، و هذا 04 ديسمبر1799م، لكن لما عرضت القضية على القاضي حكم بعدم إمكانية التراجع معتمدا على فتوى العلماء[5].

كما كان كذلك خلال هذه الفترة العالم الأديب أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي* الذي لم يكن راضيا بسياسة الأتراك فهاجر إلى المغرب و عاش في بلاط العلاويين و ألف قصيدة في ذم الأتراك بتلمسان و اتهمهم و من ولاهم من العلماء بتهم شنيعة، و لم يكتف بهذا بل حرض الملك مولاي إسماعيل على محاربة الأتراك، و مما جاء في قصيدته ضد الأتراك ما يلي :

أمن قادر بالله يحمي تلمسانـ ـ ـا   فإن بها من قوم ياجوج إخوانـ ـا
بنى السد ذو القرنين للناس رحمة   فياليته من شوكة الترك هنانـ ـ ـا
سمعنا حديثا صادق النقل ربـ ـه   بأن لجنس الترك في الأرض إخوانا
فما دب فوق الأرض كاترك مجرم   و لا ولدت حواء كالترك إنسانـ ـا

(1) Dr.SHAW, Op.Cit, p 156.
(2) DE GRAMMONT, Op.Cit, p 156.
(3) ألتر عبد العزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة علي عامر،ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989، ص 527.
(4) Dr.SHAW, Op.Cit, p166.
(5) حموش مصطفى، المدينة و السلطة في الإسلام، نموذج الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار البشائر، دمشق 1999، ص 96.97.
* توفي سنة 1675م.

عثوا و استغزوا المسلمين من القرى   و قد عبدوا حمر الدنانير أوثانـ ـا

أما ما قاله في العلماء الموالين لهم:

فمنهم قرين السوء مفتي بلادهم   تود العباد للترك كانوا ولا كانـ ـا
فقل لابن(...) في الضلالة أئمة   تدبر لحاك الله ما قال مولانـ ـ ـا
فإن أمير الترك فرعون قائـ ـم   و أنت جليس السوء في زي هامانا
أتهدم دار العلم في خانك الـ ذي   تبيت و تضحى فيه ويحك سكرانا
فأنت لسان الترك و السيف لافظ   تسر و يمضى السيف قولك إعلانا
لقد كنت حبرا بالمدينة صالحـ ـا   فصرت بها أخا القراميط حمدانا
قتلت فحول العلم صبرا و لم تزل   على عهد المعلوم في الزيغ هامانا
ألم تعلم أن الله بالترك قـ ـ ـادر   و أسرع بطش منك لو كنت يقظانا[1]

و قد اشتدت معارضة العلماء للسلطة خاصة أواخر عهد الدايات بعد استرجاع وهران، و تقلصت موارد الخزينة البحرية، و تحول الحكام بأنظارهم نحو الموارد الداخلية، كل هذه الظروف أدت إلى القطيعة في العلاقات بين الطرفين، حيث تحولت السلطة من أسلوب اللين إلى أسلوب الترهيب[2]، و هذا ما نراه في القسم الثالث.

<u>الفصل السابع:</u> نتائج التقارب بين السلطة و العلماء

لقد حصد العثمانيون ثمرة هذا التقارب على المستوى السياسي ، هذا بنجاح تيار الدعاية الذي قام به العلماء، خاصة رجال الطرق الصوفية، حيث تجسدت في نظرة الاحترام والتقدير التي بدأ الأهالي ينظرون بها إلى هؤلاء المنقذين الجدد و كذا في المؤازرة التي وجدوها في أغلب أنحاء البلاد، كما تجسدت أيضا في فترة الاستقرار و الهدوء الذي تمتعت بها السلطة العثمانية خاصة في مراحلها الأولى، بالرغم من أن هذه السياسة التي اعتمدها العثمانيون، وإن لم يحالفها النجاح دائما، قد أفرزت أوضاع اقتصادية و اجتماعية مميزة نلخصها في النقاط التالية:

1- <u>تقرب العلماء من السلطة :</u>

بما أنه لم يكن في وسع السلطة الاستغناء عن العلماء في مجالات الحكم كالإدارة وضمان ولاء الأهالي خاصة[3]، و هذا لأنهم يمثلون الرأي العام و كذلك لثقة الناس فيهم أكثر

(1) الزياني، دليل الحيران، ص 56،57) ابن سحنون، المصدر السابق، ص 253،254.
(2) SHUVAL, Op.Cit, p121.
(3) حركات، التيارات السياسية....، ص 95،96.

من رجال السياسة، قدرهم العثمانيون و تقربوا منهم و خشوا بأسهم، و بالمقابل فإن العلماء كانوا هم في حاجة إلى الحكام سواء كانوا دايات أو بايات، طمعا في المال والوظيف أو للتأييد ضد منافس[1]، لهذا نجدهم يتقربون من السلطة و رجالها[2] بشتى الوسائل خاصة بالشعر، حيث وجد من العلماء من مدح الحكام سواء عند توليهم للحكم أو عند انتصاراتهم، و قد بالغوا في مدحهم هذا.

و أشهر من مدحه العلماء الداي محمد بكداش الذي نسب له النسب الشريف خاصة وأن الادعاء بالشرف كان شائعا في العهد العثماني بحيث لم يوجد عالما أو صالحا إلا واقترن اسمه بعبارة "الشريف" أو "الحسني"، و هي صفة اشترك فيها علماء و صلحاء البوادي، والحواضر، و حتى الباشوات، لذا محمد البوني، و عبد الرحمان الجامعي إدّعيا حسب الدكتور سعد الله بشرف محمد بكداش و انه من بني هاشم[3]، حيث ذكر أحمد البوني هذا في قصيدته الأولى التي ذكر له فيها سبب وشاية حساده به و نفيه من طرف الداي حسين خوجة الشريف جاء فيها:

يا طالبا للفضل   و الجود ثم العدل
و العلم و الرياسة   و الحلم و الكياسة
اعمد إلى الظريف   بكداش الشريف[4]

كما أنّه مدحه بقصيدة أخرى جاء فيها:

فقيه لوذعي ألمعي   جميل الوجه يلقي بابتسام
ذكي الفهم ذو نسب شريف   لطه ينتمي خير الأنام[5]

و قد كافأه الداي محمد بكداش على هاتين القصيدتين اللتين وصفه فيهما بالعلم والعدل والكرم و بالشرف و بالظريف والكيس، كافأه حسب ابن ميمون " بمنقوش من صفحة القمر وأعطاه فوق ما طلب[6].

أما عبد الرحمن الجامعي فقال عنه:

لقد فتك بالقلب فتك البواتير   عيون الظباء الآنسات الجـ ـآذر*
كما أنني لم أرض مدحي مالكا   سواه، ولاعادت عليه ضمائـ ـري

---
(1) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 410.
(2) الزياني، دليل الحيران، ص 201.
(3) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 241.
(4) ابن ميمون، المصدر السابق، ص 28.
(5) نفسه، ص 133. المقامة الرابعة، أنظر القصيدة كاملة.
(6) نفسه، ص 135.
* الجآذر، ج.جوذر ، ولد البقر الوحش.

شريف زكا أصلا و فرعا محتدا   إلى هاشم ينمي (كذا) كبير الأكابر[1]

كما أن يحيى بن أحمد بن أبي القاسم بن أبي راشد بعث له بقصيدة مهنئا إياه بتوليه الحكم جاء فيها:

ملك تفرد بالكمال و لم يكن   لكماله في السالفين مثـال
خضعت لسطوته الملوك و سلمت   لجلاله الأمراء و الأقيال**[2]

أما أبو عبد الله محمد بن أحمد البوني الذي مدحه هو الآخر بقصيدة بعدما أجبره على الإفتاء و كان هو زاهدا عن أمور الدنيا جاء فيها:

هو الأمير محمد ذوا المجد والأ   سرار و الآلاء و الإحسـ ـان
الأعظم و الأعلى الأعـ ـز الأ   رفع الشاني الذي ما مثله من ثان
جمع التقى و العلم فيه بلاخفا   فاقصده صاح تجده بالبرهـان[3]

في حين نجد من العلماء من لجأ إلى مدحه حتى يطلب منه حاجته أو يذكره بها.
مثل خطب مصطفى بن عبد الله البوني الذي خاطبه قائلا:

يا سيدي محمد   بكداش نجل الأمجد
وعدتني بما أحب   من أملي و مقصدي
أين الذي وعدتني   ياسيدي و سندي[4]

ووجد بعض العلماء ممن كان ميالا للسياسة فيمدح حاكما و يذم آخر مثل المفتي الحنفي ابن علي* الذي أشاد ببكداش في الفتح الأول لوهران في قصيدة اعتذر له فيها عن تأخره على تهنئته، كما أنه لام من سبق الداي بكداش من الحكام على تقاعسهم و اتهمهم بالرشوة و الفساد و حب المال قال فيها:

إني و إن أجحفت أول مرة   على خوض هذا البحر و الغير عائم
فما هي إلا هيبة الملك قلما   على مثلها في الناس يقدم قـ ـ ـادم
كل رئيس يرتجى لخطوبهـ ـ ـ ـا   تشاغل في لذاته و هو نائـ ـ ـ ـ ـ ـم
و رب أمير أزعم السير نحوهـ ـا   فيرجع لما كاثرته الدراهـ ـ ـ ـ ـم
رضوا بالرش في الدين حيث تخلفوا   و قد رسخت في الأرض تلك الأراقم[5]

---

(1) ابن ميمون، نفسه، ص 178، و ما بعدها.
(2) نفسه، ص 153، 154.
** الأقيال، ج قيل يعني الرئيس (الملك)
(3) نفسه، ص 175، 176.
(4) نفسه، ص 153-238. أنظر حول الذين مدحوا الداي بكداش في المقامة الثامنة، ص 234.
* هو من الأعلاج، قدمت أسرته إلى الجزائر في القرن (16م)، ولد 1090هـ/1678م، تولى القضاء و الإفتاء الحنفي
(5) أشعار جزائرية...، ص 204. سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 29، 30.

و أشهر من كان يذم بعض الحكام و يمدح آخرين ابن ميمون الذي نجده يذم الداي مصطفى أهجشي، حيث وصفه بالطاغية، و بالموازاة مدح الداي حسين خوجة الشريف[1]، فحسب الدكتور سعد الله فإنه شاعر بلاط رسمي يتقرب من السلطة بلا تذلل، و ينسب لهم الشرف بدون حق[2]، و لا يلصق بهم الجهاد و هو أمر حق فيهم[3]، فنجده ينتصر للسلطة ضد الثوار حيث كتب قصيدة هنأ فيها ابن الداي عبدي باشا (1724-1732م) بعد انتصاره على متمرد بوهران يدعى "بوزيد" جاء فيها:

بشرى كما انبلج الصباح البادي　　　بقدوم مولانا ضحى الميـ ـلاد

قولوا لبوزيد رئيسهم الـ ـذي　　　قد تجلى في الأبراق و الأرعاد[4]

كما أنه أعلن زواج الباشا إبراهيم (1732-1745م) و هذا ليس من شأنه حيث يقول ابن حمادوش:"بعث به إلى قاضي القضاة ليشهره، فتلقاه قاضي المواريث شيخنا ابن ميمون وأخذه و أعلنه و ليس من شأنه ذلك لكن أراد تقربا بذلك..."[5].

و أهم تقارب بين السلطة والعلماء ظهرفي بايلك الغرب أيام عهد الداي محمد الكبير، حيث حيث أن ابن هطال التلمساني الذي شغل عدة مناصب في البايلك، والذي رافق الباي في رحلته إلى الجنوب الصحراوي ألف كتابه"رحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي" خدمة للباي بدليل قوله:" أردت أن أذكر منه نبذة اخدم بها قامع المبغضين و مدوخ المارقين من جمع الله له خصال الشرف و المجد"[6].

فهذا الباي كرّس معظم شعراء البايلك و كتابه إنتاجهم لتخليد مآثر الباي و ذكر خصاله مقابل ما كان يقدمه لهم من عطايا و هبات[7]، و حتى منهم من أهدى له مؤلفات كإبن سحنون الذي أهداه كتابه "عقود المحاسن" و كذلك كتاب "شرح العقيقة"، كما قدم له رئيس الرباط أثناء الفتح الثاني لوهران العلامة سيدي مصطفى بن عبد الله بن حواء تقريرا للأحاديث الخاصة بالجهاد[8]، كما قصده الكثير من العلماء و الأدباء بعد فتح وهران لتهنئته[9].

فمعظم مؤرخي هذه الفترة كانوا موالين للأتراك أو موظفين عندهم، و بالتالي فهم يصورون القضايا التي ترضي الحكام كابن سحنون و ابن ميمون الناصر[10]، فمثلا نجد

---

(1) ابن ميمون، المصدر السابق، ص 13.
(2) سعد الله،" قصيدة خطية لإبن ميمون"، **الثقافة**، عدد 15،1973م، ص 25.
(3) ابن سحنون، المصدر السابق، ص 216.
(4) نفسه، ص 216 - سعد الله، "قصيدة خطبة"....، ص 42.
(5) ابن حمادوش، المصدر السابق، ص 237.
(6) ابن هطال، المصدر السابق، ص 37.
(7) ابن سحنون ، المصدر السابق، ص 130،131.
(8) نفسه، ص 128- GEORGUOS, Op.Cit, p 414.
(9) الزياني المصدر السابق ، ص 201.
(10) ابن سحنون، المصدر السابق، ص 37.

المؤلفات حول الثورة الدرقاوية تحدثت بإسهاب عنها إما للطعن فيها أو لإظهار شجاعة الأتراك و أصحاب هذه المؤلفات عادة هم من المقربين من السلطة.[1]

لم يكن الشعر أو النثر أو إسداء الخدمات الوسيلة الوحيدة لتقرب العلماء من السلطة بل كان منهم من اتخذ من التنبؤات وسيلة للتقرب من الحكام، مثلما فعل محمد القرومي، الذي بعث إلى الداي محمد بكداش على لسان ابنه على أنه رآه في منامه بأنه فاتح وهران و هو إمام المسلمين[2].

2- ساهمت علاقة التحالف بين الطرفين في إخماد العديد من التمردات و الحركات المعادية للسلطة حيث اضطر شاكر باي ، و أحمد بن فرحات بالشرق الجزائري إلى اللجوء إلى المرابطين لمساعدتهم بعد تزايد عداء القبائل ضدهما، و هذا كان مقابل أموال وهدايا، وإصدار مراسيم الإعتراف بمكانتهم و نفوذهم، و هذا ما جعل الزوايا و الأسر الكبيرة طرفا فعالا و مؤثرا في الأحداث و وسيلة فعالة في فرض نفوذ البايلك في المناطق البعيدة و إن كان هذا الخضوع في حقيقته شكلي لأن العديد من العائلات و المرابطين وشيوخ الزوايا فشلوا في القضاء أو في وضع حد لحركات التمرد ضد السلطة إلا بعد تدخل فرق المحلة لفرض نفوذ البايلك.

3- ساعدت فئة العلماء خاصة شيوخ الزوايا و المرابطين بالأرياف على مد نفوذ البايلك على أقسام شاسعة من البلاد فبالشرق امتدت هيمنة السلطة على عدة جهات كالأوراس و الهضاب و وصل حتى الصحراء و هذا بفضل عدة أسر مرابطية كأسرة أولاد مقران وأولاد بوضياف و أولاد بوعزيز وأولاد عبد النور وغيرهم، وحتى صالح باي لم يستطيع الثبوت لمدة طويلة في الحكم إلا بعد تعامله مع الأسر النافذة في بايلكه[3]، هذه المساعدة التي قدموها للبايلك فرضت على السلطة انتهاج سياسة تقارب وترضية معها،مقابل بسط نفوذ السلطة كما مثل هذا التحالف بالنسبة للعالم خاصة المرابط الظهور والبروز أكثر أمام الأهالي كقوة حقيقية.

4- عملت هذه العلاقة على ربط الأرياف و المناطق الغير خاضعة بالإدارة المركزية و هذا عن طريق تكوين روابط متينة بين السلطة والعلماء وخاصة شيوخ الزوايا والمرابطين منهم،وهذاعن طريق مصاهرة بعض الأتراك للعائلات النافذة الإقطاعية و المرابطية[4]،بحيث

([1]) بلحميسي،"الثورة على الأتراك"، ص 47.

([2]) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص204.

([3])- سعيدوني، النظام المالي، ص 61.
MAHÉ, Op.cit, p 50

([4]) -FERAUD, Le Sahara de Constantine, pp 88,89.

أن هذا التزاوج بين الطرفين قد أعطى ثماره،وهذا من خلال كسب السلطة إلى جانبها عدة قبائل كانت معادية لها في الأول، و هذا مثلما حدث خاصة في بايلك الشرق و منطقة القبائل.

5- إن النتيجة المترتبة على هذه السياسة تجسدت في ازدياد عدد الزوايا و المساجد والأوقاف، كما برزت حركة صوفية مرابطية واسعة النطاق و تحكمت في كل الأوضاع اليومية، و هيمنتها هذه سمحت للقائمين عليها بممارسة القضاء الذي كان أحد الأساليب الرئيسية لإشراكهم في دواليب السياسة[1].

6- إن علاقة السلطة بهذه الأطراف أعطى لها طابعا إقطاعيا اعتمد على العائلات الكبرى صاحبة الإمتيازات على حساب التجمعات الريفية فنتج عن هذا ظهور إقطاع ديني وعلمي متوارث[2]،وهذا من خلال الإمتيازات التي منحت لهذه الأطراف المتعاملة مع السلطة، فتركز قسم من الثروات بالأرياف بأيديهم، حيث قدمت لها السلطة صلاحيات واسعة كإستخلاص الضرائب،و تحصيل المغارم،إضافة إلى التسهيلات المقدمة لها فيما يخص حيازة الأرض من شراء ومصاهرة، حتى أصبحت مراكز الزوايا ومقرات الشيوخ والعائلات الكبرى ، وغيرهم من المتعاملين مع البايلك شبه مخازن للثروات وأماكن لتكديس المحاصيل الزراعية، و بهذا أصبحت هذه المراكز و الأطراف من طرق صوفية و زوايا مرابطين قوة مالية و فكرية و اجتماعية بإمكانها زعزعة السلطة، و جعلها في خطر مثلما حدث في الفترة الأخيرة أو مرحلة القطيعة،و نتيجة لقوة هذه الطرق الصوفية أجبرت العثمانيين على التفاوض و التفاعل معها القوة بالقوة[3].

7- إن استغلال العثمانيين للمرابطين من أجل بسط نفوذهم على الأهالي و ضمان تبعيتهم لهم كان عائقا دون قيام وحدة وطنية[4]، و هو الأمر الذي حرص العثمانيون على عدم تحقيقه طوال مدة تواجدهم بالجزائر منتهجين في هذا سياسة التفرقة بين القبائل، و هذا بتقسيمها إلى قبائل متعاونة مخزنية أو مرابطية لها إمتيازات و قبائل غير متعاونة معهم تدفع الضرائب و تتعرض لتعسفات الجند خاصة أثناء الحملات.

و في الأخير يمكن القول و بالرغم من أن الظروف الداخلية للجزائر كانت كلها في صالح العثمانيين لتشكيل حكومة ذات صبغة وطنية بإمكانها الصمود أمام الأخطار الخارجية و الداخلية، لكنهم لم يستغلوا الأوضاع لصالحهم بل وضعوا وسائل من شأنها أن تزيد التباعد

---

*أنظر حول هذا الفصل الأول.

(1) -FILALI, Op.Cit, p12- GAID,Chronique…., p123.

(2) -GAID, Ibid, p122.

(3) DEPPONT/ COPOLANI, Op.cit, p258.

(4) الفيلالي، المرجع السابق، ص 29.

بين فئات المجتمع[1]، بحيث لم يكن يربط بينها سوى جمع الضرائب التي عمقت الهوى خاصة في الفترة الأخيرة.

ففكرة التضامن الإسلامي التي اعتمدها العثمانيون لترسيخ نفوذهم لدى مختلف الأوساط الشعبية بالتقرب إلى المرابطين و شيوخ الزوايا بمصاهرتهم و منحهم الإمتيازات، إلا أنهم أخفقوا في خلق إطار طبيعي للإتصال بالرعية، فسرعان ما شكلوا ارستقراطية جديدة ذات نظرة مغلقة مبنية على أصول عنصرية احتكرت لوحدهاالمناصب الدينية والعلمية والسياسية والإجتماعية.

وبهذا يمكن القول أن مرحلة التحالف التي جمعت بين الطرفين مثلتها إشتراك المصالح التي شكلت ائتلاف فعلي بين السلطة السياسية والسلطة الدينية[2].

---

(1) خير محمد فارس ،المرجع السابق ،ص206.

(2) MERAD MOUDIA, Op.cit, p340.

القســـم الثالث

التوتر و القطيعة بين العلماء و السلطة

الفصل الثامن: أسباب التوتر و القطيعة

الفصل التاسع: مظاهر التوتر و القطيعة

الفصل العاشر: نتائج و انعكاسات القطيعة علماء/ سلطة

الفصل الثامن: أسباب التوتر و القطيعة.

إن دراسة علاقة الحكام العثمانيين بالعلماء فترة الدايات خاصة إبتداءا من عام 1792م تاريخ إسترجاع مدينة وهران من الإسبان، بعد زمن دام قرابة ثلاثة قرون تكتسي أهمية بالغة لأنها تساعد على فهم الإظطرابات التي شهدتها البلاد و التي لعب فيها العلماء خاصة رؤساء الطرق دورا هاما.

فالتحالف الطبيعي الذي سبقت الإشارة إليه لم يتواصل الى نهاية الوجود العثماني بالجزائر، إذ طرأت عليه تغيرات جذرية حالت دون إستمرار الإعتماد على العلماء خاصة في الوساطة بينهم و بين السكان، هذا العنصر الذي إعتمدوا عليه منذ بداية تواجد هم بالجزائر تحول بدوره إلى أداة تحريض للسكان ضد السلطة العثمانية وهنا نتساءل حول الأسباب التي دفعت بالعلماء الى الإنتقال من صف المدافعين و المساندين للحكام إلى صف المحرضين للسكان .

وقد حاولنا تفسير هذه الأسباب فيمايلي:

1- السياسة الضريبية التي إنتهجها العثمانيون إبتداء من القرن 18م .

2- تطور الزاوية.

3- علاقة الحكام بالرعية

4- الإنسحاب النهائي للإسبان من وهران 1792م.

لقد لعبت عدة عوامل دورا في تأزم العلاقة بين السلطة و العلماء خاصة رجال الطرق الصوفية.

1- السياسة الضريبية:

لعل أول تغيير يلمسه الدارس لهذه الفترة هو تقهقر القرصنة الذي ترتب عنه ضعف في موارد الدولة، و بالتالي في مداخيل الخزينة .

هذا التغيير كان نتيجة تغير الظروف الدولية و إنقلاب موازين القوى،فقلت الموارد البحرية الجزائرية التي لم تجد مصدرا ثابتا يمول الخزينة[1]، حيث أن القرصنة كانت تمثل نصف مداخيل الخزينة، من الغنائم و الرسوم المفروضة على الدول الأوربية من أجل حق ممارسة الملاحة في البحر الأبيض المتوسط[2]، فحتى القرن الثامن عشر القوة المالية

---

(1)-سعيدوني /بوعبدلي، المرجع السابق ،ص 38

(2) –DE GRAMMONT,Op.cit, p186.

للجزائر كانت ناتجة من الغزو البحري[1] الذي كان مفتاح التحالف المرابطي العثماني الذي بدأ يتناقص مع بداية القرن الثامن عشر، حيث بدأت السلطة تثقل كاهل السكان بالضرائب[2].

فخلال هذا القرن قلت غنائم البحربحوالي مئة ألف فرنك فرنسي كما تقلص عدد السفن من 24 سفينة سنة 1724م إلى ثمانية مراكب صغيرة وغليوطتين صغيرتين عام 1788م[3]، وحسب "بويي" (Boyer) فإن القوة المالية للجزائر بدأت في التقلص إبتداء من عام 1750م، وقد دام هذا التقهقر إلى بداية القرن 19م[4].

و نتيجة لهذا التقلص و الإنخفاض في الموارد البحرية، توجه إهتمام الحكام نحو الداخل و ذلك لتوفير إحتياجاتهم المالية[5] و طالب الدايات من البايات بمصادر بديلة، فلم يجد هؤلاء إلا مضاعفة الضرائب وإخضاع القبائل الخارجة عن سلطته[6]، وهذا ما يؤكده "إبن هطال" الذي ذكر أن السبب الرئيسي لتوجه الباي محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي هو إخضاع القبائل في جهة القبلة التي لم تنلها يد السلطة، وقد أشار إلى هذا بقوله :"رأى أنها ذات بلدان كثيرة، وأعراب راحلة و مقيمة غزيرة إلا أنها لم تنلها أيدي السلطنة ولم يكن منها للملك مصلحة و لا منفعة معينة ."[7]

و بما أن علاقة السلطة العثمانية بالقوى الإجتماعية خاصة بالريف الجزائري تمثلت أساسا في التعامل بين مجموعتين إحداهما حاكمة و الأخرى محكومة إنطلاقا من النظام الضريبي و ما يتصف به من سياسة جبائية مجحفة*، فإنه وحسب "فيرو" (Feraud) فإن العثمانيين كانوا حرصين على الإنتفاع بنظام جبائي عملوا من خلاله على الإستحواذ على أكبر فائدة ممكنة من الأموال حيث قال :"أينما ذهب التركـي فإن الأرض تصبح جدباء لمدة مائة سنة"[8]لهذا قال عنهم الجبرتـي"العثمانيـون عبيد الدرهم والدينـار"[9] أما العالم الأديب سعيد المنداسي ،فقد قال عنهم هو الآخر في قصيدة هجاهم فيها :

---

(1) -BOYER ,Introduction …p302.
(2) -MERAD BOUDIA, op.Cit, p 342.

(3)-جوليان، المرجع السابق ،ص289،290

(4) -BOYER, Introduction, p302.

(5)- -مؤنس حسن ،تاريخ المغرب وحضارته ،ص360-سعيدوني،"تدعيم الحكم التركي بالجزائر"،**الأصالة،**عدد 32، 1976، ص50.

(6) -BOYER , Contribution …,p37 -MERAD BOUDIA,p.Cit, p342.

(7)-إ بن هطال ،المصدر السابق، ص36،37 .

* لمزيد من الإيضاح حول علاقة الحكام بالمحكومين في الأرياف أثناء التواجد العثماني، راجع موساوي القشاعي فلة ، الريف القسنطيني اقتصادياواجتماعيا، أواخر العهد العثماني (1792-1837)، دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث والمعاصر،جامعة الجزائر،1982.

(8)-FERAUD, Le Sahara de constantine,A.Jourdan, Alger, 1887, p80.

(1)-الجبرتي،المصدر السابق ،ج1،ص114.

عبثوا و إستفزوا المسلمين من القرى   و قد عبدوا حمر الدنانير أوثانا[1]

لهذا ولما شحت موارد القرصنة طالب الدايات حكام الأقاليم بموارد بديلة لتغطية العجز المالي،فما كان من هؤلاء إلا مضاعفة الضرائب التي كانت تختلف بإختلاف المناطق، فالضرائب المجباة من سكان المدن غير الضرائب المجباة من سكان الريف، وتأتي على رأسها الرسوم المفروضة على الدكاكين و المقدرة شهريا بثلاثين سنتيما ،أما المدن التي بها حاميات تركية فرضت عليها ضريبة دار السلطان* التي تقدم إلى شيخ البلد عند إستبدال الحامية الموجودة بالمدينة، كما فرضت ضريبة على التجار وعلى البضائع التي تدخل السوق وتسمى"المكوس"[2].

لكن ما يهمنا أكثر هي الضرائب التي كانت تجبى على سكان الأرياف، لما لها من صلة مباشرة بالثورات التي تجلت فيها مرحلة القطيعة بين السلطة و العلماء بوضوح.

فبالإضافة الى الضرائب الشرعية من عشور وزكاة وخراج **وحكور*** تأتي "اللزمة" وهي ضريبة إستثنائية يدفعها الأهالي للمساهمةفي نفقات الجيش في حالة الخطر، كما أدخل العثمانيون ضريبة أخرى تدعى "الغرامة" التي تدفعها قبائل الرعية [3]وهي التي تسببت في تمرد القبائل، و حسب ما ذكره الأستاذ "سعيدوني" فكل منطقة كانت تفرض عليها ضريبة خاصة حسب طبيعتها و أحوالها المناخية ففي الصحراء فرضت المعونة و العسةو في الهضاب العليا فرضت عليها الغرامة والمعونة أما التل فرضت على سكانه ضريبة العشور[4]،كما فرضت ضريبة على كل محراث يجره ثوران ما مقداره حمولة بعير من القمح وآخر من الشعير[5].

كما أستحدثت ضرائب أخرى كانت تقدمها القبائل عند مرور المحلات على أراضيها فصل الربيع و تسمى "الضيفة "[6]اما ضيفة الباي "والتي يحددها هو بنفسه، كانت تختلف من قبيلة لأخرى[7] .

---

(2)-إبن سحنون ،المصدر السابق ،ص56- الزياني ،المرجع السابق ،ص420 .

* ضريبة دار السلطان " تسمى كذلك ضريبة خير الدين تتراوح ما بين 150 إلى 300 ريال بوجو.

(3)-FEDERMAN/ AUCAPITAINE, op.cit, p 313 - EESTERHAZY, op.cit, p279.

** الخراج: تدفع على الأراضي لغير المسلمين و قد طبقها العثمانيون بالجزائر.

*** الحكور: حق ايجار يدفعه الفلاح مقابل استثماره لأراضي الدولة.

(4) -FEDERMAN/AUCAPITAINE , Ibid ,p 120

(5)-سعيدوني ، النظام المالي ... ، هامش ص 118.

(5)-وشن، المرجع السابق، ص92.

(1)-FEDERMAN/AUCAPITAINE, Op.cit, p 122 - BOUABA, op.cit. p44.

(2) FEDERMAN/AUCAPITAINE, Ibid, p211.

إضافة إلى العوائد التي تقدمها قبائل الرعية مرتين في السنة، أما القبائل الرحل ففرضت عليهم ضريبة تدعى "الحصة" كما هناك ضريبة يقدمها أهل التيطري لزوجة الباي و المقدرة سنويا ب170 بوجو و تسمى" عزلة زوجة الباي "[1].

ونتيجة لهذه السياسة الضريبية كان "دي غرامو" (De Grammont):"يقول أن كل مادة منتجة قابلة للدفع لم تفلت من نظام الضرائب المطبق في الإيالة"[2]، لكن هذا التنوع الضريبي الذي شهدته الإيالة مع نهاية القرن 18م و إعتمدت السلطة على موارده إعتمادا كليا من دون الإعتماد على مصادر أخرى، حيث لم تهتم بتنمية مرافق الدولة الإقتصادية، فكل الموارد يذهب لصالح المؤسسة العسكرية وموظفيها.

و بالتالي كانت عملية جباية الضرائب غالبا ما تتم تحت الضغط و الإرهاب[3]، وفي هذا السياق يقول الزهار "...هكذا وضع الأوائل الجباية على المنهج الشرعي والأواخر صاروا يخرجون المحلات لإستخلاص المغارم و الظلمات ونهب أموال المسلمين و ما وقع هذا حتى صار الناس فجارا و الأمراء ظالمين."[4]

أما إبن سحنون فيقول "وفرضوا على الناس المغارم شتاءا وصيفا و عينوا للجند عطاء مخصوصا وضربوا عليهم البعوث تخرج كل سنة أواسط أفريل إلى عمال الجباية فمنها من يرجع إلى الجزائر بعد أربعة أشهر ومنها من يرجع بعد سنة"[5].

وكل ما كان يجمعه البايات كان يقدم في شكل دنوش يقدمها البايات كل ثلاث سنوات أما خلفاؤهم فكل ستة أشهر ،عند زيارتهم لمدينة الجزائر،وكان معظمها عبارة عن ترضيات أو رشاوي للداي وكبار القادة بمدينة الجزائر لشراء ذممهم ،فهذه الدنوش هي التي كانت تتحكم في مصير البايات ،لأنهم بواسطتها يكسبون ثقة الداي، لذا كانوا يتسابقون في نهب أقاليمهم بجمع أكبر قدر ممكن من الأموال و الهدايا قبل القدوم إلى مدينة الجزائر.*

وحسب "شالر" فإن هذه الزيارات كانت تكلف كل باي ثلاثمائة ألف دولار والجزء الأكبر منه كان يقدم كرشوة للضباط و الموظفين الكبار[6]، ويذكر لنا "الزهار" نماذج من هذه

(3) -Ibid, p 211.
(4)- DE GRAMMONT, Op.cit, p210.

(5) -الغالي، االثورات الشعبية ...،ص168.

(6)-الزهار،لمصدر السابق،ص35.

(7)-إبن سحنون ،المصدر السابق ،ص442.

* حول السياسة الجبائية المفروضة على الجزائر منذ التاريخ العتيق إلى الإحتلال الفرنسي راجع:
- MOUSSAOUI- EL KECHAI (F), "Approche historique de la fiscalité en Algérie", communication présentée lors du colloque international sur le developpement local, Université de Tizi- Ouzou (Mai 1992).

1)-شالر ،المصدر السابق ،ص46.

الدنوش التي يحملها باي الغرب" ...يسبقون امام الموكب أربعين بغلة على كل بغلة ألفا ريال صغيرة فتكون جملة ذلك ثمانين ألف ريال، و أربعين فرسا من الخيل المسومة، وأقفاصا فيها السباع والنمرة و بقر الوحش، وغير ذلك من الحيوانات"**، كما يذكر ان هدية الداي وحده كانت كالتالي:"أما الدراهم فنحو العشرين ألف دورو ومن المصوغ مقدار نصف ذلك وأربعة من الخيل العتاق و نحو 30 عبدا كبار و 20 عبدا صغيرا من عبيد السودان وحياك القرمز صنعة تلمسان وحياك الحرير المحببة صنعة فاس و البلاغي والرواحي بالذهب و الشترامبيات بالذهب،ونحو 20 قنطار من الشمع ،ومثل ذلك من العسل ومثله من السمن والجوز"[1]

و لما يدفع البايات هذه المبالغ الضخمة وبعد رجوعهم إلى أقاليمهم يشرعون في النهب، وشن الغارات على الفلاحين الذين يدفعون ثمن رفاهية الداي و حاشيته، فحسب "كاتكارت" فإنه لم يكن يمضي وقت حتى يسترجعوا ما قدموه للسلطة بالجزائر وعلى رأسها الداي[2]،لهذا فإن أحد البايات ،وردا على لوم أحد أفراد حاشيته على كثرة الضرائب فأجابه "إن حكام الجزائر أخذوا كل ثروتي ولهذا تراني أخرب البلاد"[3]، أما الباي حسن وحسب ماجاء في دليل الحيران قوله "إن أهل الجزائر أكلوني لذا تراني آكل الرعية..."[4]، كما يذكر الورتيلاني أن العثمانيين لما دخلوا بسكرة أضروا بأهلها واجحفوا بهم في الخراج، لذا إجتمعت عليهم غارات العرب من الخارج، وظلم الأتراك من الداخل.[5]

لقد عرف بايلك الشرق أيضا فرض الضرائب الجائزة على السكان و خاصة بعد الفترة التي أعقبت موت صالح باي [6]، فالباي أحمد الطوبال (1808-1811م) الذي فرض على السكان غرامة تقدر بمائة ألف سلطاني وبعضهم يدفع أربعمائة ألف سلطاني وهذا من أجل تقديم الدنوش وهو الأمر الذي أحدث تذمرا لدى السكان.[7]

كما ينقل لنا أحد المرافقين للباي محمد الكبير في حملاته صورة حية عما كان يؤخذ من السكان عند الحملات" ... فدخلها من غير حصار عليها، ولا قتال فإنتهت جميع ما فيها من القماش و السمن وغير ذلك مما ترغب النفوس، وقد وجد فيها من القمح والشعير ما لا

** -انظر حول ماكان يقدمه البايات للداي وحاشيته ،الزهار ،المصدر السابق ،ص 35 وما بعدها.

2) –الزهار،المصدر السابق ،ص 39،40.

3) –كاتكارت ،المصدرلسابق ،ص 117.

4) –المزاري،المصدر السابق ،ص 102.

5) - الزياني،المصر السابق ،ص241.

6) -الورتيلاني،المصدر االسابق ،ص88،89.

1) -مجهول، تاريخ بايات قسنطينة، ص5.

(2)- VAYSSETTE, Histoire de Constantine …p489.

يحصى عدده إلا الله تعالى فحملت منه الناس (يقصد الجند) الشيء الكثير وكانت الحصيلة خمسمائة ريال بوجو، ومائة خادم ومائتين وخمسين جملا، وكان ذلك عام 1195هـ...."،[1]

أما بمدينة الأغواط فقدم له أهلها العبيد وخمسة الاف ريال بوجو ومائتين وخمسين بعيرا ومائتي ثوب وأربعة جياد مقابل سلامتهم.[2]

وقد كانت حصيلة حملة الباي محمد الكبير نحو الجنوب 67000 راس غنم وماعز، و 500 جمل، و 633 بغل، و720 بقرة، ووقوع 60 شخصا في الأسر أغلبهم نساء، و بيعت هذه الغنائم ووزعت على قبائل المخزن و اليولداش، كما خلفت الحملات العسكرية خسائر فادحة على السكان كحرق المحاصيل ونهب الأملاك،[3] و في هذا الإطار يذكر المزاري أن الباي حسن أكثر من العقوبة المالية "الخطية " ضد الرعية،[4] ويوجد في التراث الشعبي وصفا دقيقا لما عاناه الجزائري من ثقل الضرائب:

المسلم في فم الحيا   يعطي الجزية

و الكفر يقوي يعرش

ديننا ضعف ولي فديا   لأهل العديا

الأسعار أغلات وحتى   امطار الصيف أرفاقوا

الحرث راه اصعب نبته   اليابس والحجر يكثروا[5]

وأمام هذه الأعمال التعسفية وإستنزاف طاقة الأهالي، خاصة الفلاحين أكثر المتضررين اللذين وجدوا في التجار الأجانب بديلا لهم لبضاعتهم بأسعار باهضة حتى تمكنهم من دفع الضرائب المفروضة عليهم وسد حاجياتهم،[6] وغالبا ماكانوا يهربون الجلود والصوف والشموع والزيتون والحبوب بعيدا عن أعين الحكام من أجل القيام بالمبادلات التجارية حتى لا تقع تحت طائلة الضرائب.[7]

ومنهم من كان يفر نحو الجبال حتى لا تصلهم ايدي السلطة،[8] أو نحو الجنوب خاصة في المواسيم الزراعية القليلة المحاصيل الفلاحية، لكن الحكام عمدوا الى وسيلة تمنع

---

3)- إبن هطال ،المصدر السابق ،ص 56.

(4) إبن هطال ، نفسه ،ص62.   - GEOGUOS, Expéidition .N°03, p188.

(5)- EMERIT,"Les aventures …." pp39.

6)- المزاري ،المصدر السابق ،ص350.

(7)- COUR (A.)," Constantine en 1802 d'aprés une chanson populaire du cheik Belkacem-Erahmouni" in **R.A** N° 59, 1919, p229.

1)- الزبيري ،التجارة الخارجية ...ص113.

2)- الميلي ،المرجع السابق ،ص308.

3)- شالر،المصدر السابق ،ص59.

الفلاحين من الفرار، وهذا بمباغتتهم أثناء جني المحصول فيرغمونهم على الدفع، وإن لم يدفعوا يلجؤون إلى عملية أكثر تعسفا، وهي مصادرة قطعان الماشية ليعاد بيعها لهم.(1)

وقد استمر الحكام في فرض الضرائب حتى بعد إنتهاء ثورة درقاوة ،فإن الباي حسن واصل إستخلاص الضرائب المجحفة من الأهالي، رغم المجاعة، و الوباء الذي ضرب بايلك الغرب، (2) لهذا قال عنه المزاري أنه إستنزف قبائل الرعية.(3)

إن إهتمام الأتراك بالمناطق الداخلية بعد نقص موارد القرصنة أثار ضدهم تمرد السكان الناس، وكانت أعنف هذه الثورات، الثورات الدينية،(4) التي جاءت كرد فعل على السياسة الجبائية التعسفية التي انهكت الأهالي خاصة بعد تضاؤل دور العلماء في التوفيق بين متطلبات الحكام المالية، وبين السكان المتأثرين بنفوذهم الروحي.(5)

خاصة و أن العثمانيين لم يبذلوا جهدا لربط علاقات متينة مع الأهالي فالذي ربطهم بالرعية كان الجانب المالي ،لهذا ركزوا طيلة وجودهم في الجزائر على تطوير الجهاز الجبائي، وتخصيص مصادره للمحافظة على الأمن والإستقراروضمان مصالحهم وإمتيازاتهم، لكن سياستهم ألبت ضدهم السكان وعلى رأسهم العلماء ،بالرغم من محاولة بعض الحكام التخفيف من الضرائب بهدف كسب القبائل الثائرة فمثلا ميلة خفضت الضرائب التي كانت تقدم لقائدها من 7485 ريال بوجو إلى 1060 ريال بوجو(6) إلا أن االتمردات تواصلت مما قضى تدريجيا على كيان الدولة.

و بالتالي فإن توجه أنظار الحكام نحو الداخل من أجل إيجاد مصادر دخل بديلة كان له نتائج وخيمة، لأن تحولهم لم يكن يعتمد على سياسة مدروسة تعمل على عدم الإضرار بكل الأطراف(7).

2- تطور الزاوية:

إن التطور الذي شهدته الطرق الصوفية التي فرضت نفسها على الساحة السياسية والإجتماعية والإقتصادية منذ القرن 18م والقرن 19م على وجه الخصوص كان عاملا من

---

(4)- FEDERMAN/AUCPITAINE,Op.cit,p351.
(5)- BOYER, Contribution ,p111
(6) –المزاري ،المصدر السابق :ص30
(7)- GHALEM,Op.cit, p27.
8)- سعيدوني ، النظام المالي ،ص60.
(6) - سعيدوني،" معجم تاريخي للأماكن والبلدان الجزائرية" **بحوث** عدد 1995 ،ص26.
(7)- الغالي، الحياة السياسية، ص 165.

عوامل تأزم العلاقة بين السلطة و العلماء، خاصة بعد ما أصبحت مركزا فكريا وقوة روحية لجمع سكان الأرياف[1].

عملت هذه الطرق على دمج العنصر البربري مع العنصر العربي كما انه وبفضلها تم صهر القبائل في وحدات إجتماعية،[2] لهذا نجحت في تكوين عالم ريفي منفصل عن نفوذ البايلك عالم بإمكانه معاجة أموره المختلفة سواءا كانت دينية أوإجتماعية أوإقتصادية.[3]

و أمام الأوضاع المتأزمة التي مرت بها الإيالة من مجاعة أوبئة وتقهقر الإقتصاد، عملت الزوايا على مواجهة الأزمة، وإستغل القائمون عليها الظروف، وتنصبوا كحاملي الراية الشرعية الإجتماعية و السياسية،[4] هذا النفوذ الروحي وحتى السياسي الذي إكتسبه المرابطين و شيوخ الزوايا كان مدعما من طرف السلطة العثمانية، و هو ماسمح لهم بتنمية املاكهم وظهورهم كطبقة أرستقراطية في المجتمع،[5] حرص النظام على إستمرارها مدة تزيد عن قرنين ونصف لخدمة مصالحه.

لقد تجلت الحركة الصوفية أواخر العهد العثماني في ثوب جديد حيث كانت تهدف إلى تحقيق تجانس بين القبائل التي إنضمت إليها الواحدة تلوى الأخرى من أجل التخلص من ثقل البايلك، وقد إنضم إليها حتى المرابطون الأحرار وأصبحوا أتباعا لها لا يعملون إلا لصالحها، ولهذا فإن توسع الطريقة الصوفية لم يقتصر على عدد الأتباع بل على مذهبها وتنظيمها، وتكيفها مع الظروف،[6] وهذا ما يفسر الإلتفاف الواسع للناس حولها، فالطريقة الدرقاوية والتي كانت ممثلة ببايلك الشرق في شخص إبن ا لأحرش الذي إستطاع أن يشكل لنفسه منطقة نفوذ واسعة نواحي جيجل ،حيث إلتفت حوله قبائل المنطقة،[7] كما إستطاع التحكم في مصادر الضرائب بها،[8] ونفس الطريقة إستفادت من دعم ومساندة أكبر وأهم القبائل الحربية[9].

فهذه الطرق الصوفية و العائلات المرابطية لم تتوقف على إلحاق الأراضي بها، والسيطرة على القبائل، بل وسعت نفوذها المحلي بمنطقة القبائل من إحدى عشرة كتلة بداية القرن 17م إلى خمسة وثلاثين نهاية الفترة العثمانية، فآل المقراني أسسوا عدة زوايا وألحقوا

---

(1)-SAIDOUNI, Op.cit, p307.

(2)- العقاد، المغرب العربي في التاريخ...،ص30.

(3) - SAIDOUNI, Op.cit, p31.

(4) -FILALI, Op.cit, p138.

(5) -الفيلالي ، المرجع السابق ،ص 29.

(6) -FILALI, p.cit, p137.

(7) -BOYER, Contribution, p41.

(8) -FILALI, Op.cit, p139.

(9) -BOYER, Contribution, p46.

بها العديد من القبائل على حد فرضوا حكمهم على خمسة و ثلاثين قبيلة وسبعة وعشرين زاوية، حتى أصبحت تشكل إمارة تقع بين دار السلطان غربا، وقسنطينة شرقا و الحضنة جنوبا، ووصل عدد جنودها بداية القرن 18م حوالي 8000 جندي مشاة و3000 فارس، كما أن قبائل الحشم كرست جهودها الحربية لخدمة هذه العائلة،[1] التي قدمت عدة خدمات للعثمانيين، حتى أنها ساعدتهم ضد إبن الأحرش لكنها ثارت على الباي عمر آغا الذي رفض دفع الرسوم مقابل مروره على أراضيها.[2]

كما أن جيرانهم بجرجرة مرابطو أولاد علي الشريف كان بإمكانهم تكوين جيش ب4800 بندقية،[3] أما زوايا الجنوب الصحراوي والتي كانت ذات النفوذ الكبير تحول بعضها إلى مدن كعين ماضي تماسين، وطولقة،[4] وهي زوايا تابعة للطريقة التيجانية التي وبالرغم من حداثتها تحكمت في طرق ومحطات القوافل و راقبت تسويق التمر بين بسكرة وتوقرت والأغواط، بالإضافة إلى جبايتها للضرائب على المناطق الجنوبية الشرقية،[5] ومراقبتها لجزء من التجارة مع طرابلس ولهذا إنضم إليها حتى من الطبقة الحاكمة كمولاي إسماعيل المغربي وباي تونس، والكثير من شيوخ القبائل،[6] من أجل كسب ود زعمائها، وكذلك و من الزوايا التي كانت تنتمي إلى قبائل مرابطية و التي لم تسمح بالوجود الفعلي للعثمانيين على أراضيها كأولاد مختار وبني عباس وأولاد سيدي الشيخ، وهذا رغم المجاملة المتبادلة بينهما.[7]

فهذه الزوايا و الطرق الصوفية وبعد دورها في نشر التعليم والإصلاح بين القبائل، بدأت في توسيع نفوذها على مناطق واسعة، حتى أصبحت عبارة عن دويلات تتمتع بإستقلال ذاتي[8] مشكلة ما يسمى "دولة داخل دولة" إذ وصل بها الحد إلى زعزعة الحكم.[9]

وما ساعد على ذلك هو أن العديد من القبائل و العائلات المرابطية وبعد إسترجاع وهران خرجت بقوة عسكرية مثل عائلة أولعربي التي شكلت جبهة مع القبائل للجهاد ضد الإسبان، وقد وصل نفوذها من دار السلطان حتى بايلك الغرب، فهذه العائلة كانت تمجد

([1]) -FILALI, Op.cit, pp132, 133.
([2]) -KADDACHE, Op.cit, p172.
([3])-FILALI, Op.cit, p200.
([4])-بلحميسي مولاي ، الجزائر من خلال رحلات المغاربة، ص30.
([5])- G.ANDRE, Op,cit, p200.
([6]) FILALI, Op.cit, pp138, 139.
([7]) - جوليان، المرجع السابق، ص351.
([8]) RINN," Le royaume d'Alger sous les derniers Deys" in **RA,** N°41, 1897, p142.
([9]) -RINN, Marabouts et Khouans, p107 – G.ANDRE, Op.cit, p199.

النصر و المجد[1]، و الشيئ نفسه يقال عن عائلة آل مقران التي شكلت بدورها إمارة لها قوة عسكرية معتبرة كما رأينا آنفا، فكل زاوية أو قبيلة مرابطية لم ترق إلى صف الإمارة إلا بفضل عملها الحربي لأنها كانت في بداية أمرها عبارة عن رباطات ضد الأعداء حيث قاد المرابطون الأتباع وجندوا الأهالي للجهاد وأطعموا المجاهدين في زواياهم، وبعد تقلص الجهاد رجع هؤلاء المرابطون إلى زواياهم وإزدادت صلتهم بالأهالي،[2] خاصة وأنهم إكتسبوا قوة عسكرية وتجربة حربية، حتى اصبحوا نهاية القرن 18م قوة مالية وفكرية و عسكرية بإمكانها تشكيل خطر حقيقي على السلطة، وهو ما حدث سنة 1804 بقسنطينة وعام 1805 بوهران[3].

هذا دون أن ننسى تأثير الطرق الصوفية المغربية على الطرق الصوفية بالجزائر ذات الأصول المغريبية[4]، والتي بعد إنفصال طويل بينهما نتيجة للظروف الداخلية للمغرب عادت هذه الأخيرة إلى الواجهة،لبث توجيهات وأراء الشرفاء،التي كانت تلقى صداها بالجزائر،[5] وهو ما حدث بالنسبة لثورة درقاوة.

3-<u>علاقة الحكام بالرعية:</u>

لم يمثل الحكم العثماني كيانا متجانسا ،فأغلبية السكان كانوا مهمشين، فبعض القبائل لا تربطها بالسلطة سوى دفع الضرائب التعسفية،[6] هذه القبائل التي أطلق عليها إسم "الرعية"طبقت عليها قوانين الحرب الإسلامية التي تقع على بلادغيرمسلم بعد فتحه.[7]

وأهم ما ميز الطبقة الحاكمة هو أنها كانت خليطا غير متجانس عرقيا، فقد كانت عبارة عن أجناس مختلفة (أتراك يونانيون، مالطيون...)،[8] لا تربطهم أية صلة أو روابط بالبلاد و لاعادات شعبه وهو الشيء الذي دفعهم إلى إرتكاب فضائح وممارسة الظلم و القسوة إتجاه الرعية.[9]

---

(1) -FILALI, Op.cit, p133.

(2) -سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص267.

(3) - SAIDOUNI, Op.cit, p396.

(4) - BROSSELARD, Op.cit, p08.

(5) –الغالي، الثورات الشعبية، ص152.

(6) -VATIN (J.C.), L’Algérie Politique, Histoire Et Société, Arnault Colin, Paris, 1974, p102.

(7) -سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 211.

(8) - الغالي، الثورات الشعبية، ص93.

(9) –التميمي عبد الجليل، "العرب و الترك في إطار الدولة العثمانية" المجلة التاريخية المغربية عدد 17،18، 1980 ،ص91.

فهدف الدايات كان الإستبداد بالسلطة،وجمع الأموال، وليس الرقي والإزدهارالحضاري،[1] لهذا إرتكزت علاقتهم بالأهالي على أسلوب تسيير إستمدوا تنظيماته الموروثة من التنظيمات العثمانية المرتكزة على:

-إقرار الأمن و الهدوء و الطاعة و لو بإستعمال القوة.

-ضمان إستخلاص الضرائب و لو بطرق تعسفية.

-الحفاظ على وضع إقتصادي إجتماعي يضمن إمتيازات الطبقة الحاكمة. ونفوذ المتعاونين معها على حساب غالبية السكان[2].

وإنطلاقا من هذا المبدأ عمل الحكام على إبقاء الأهالي بعيدين عن أية مساهمة في أمور الدولة، وهو ما حال دون إندماجهم في الأوساط الشعبية، و هذا رغبة منهم في إبقاء هيمنتهم و سيطرتهم على المناصب الحكومية[3].

وحتى مؤسسة الجيش لم يسمح للجزائريين بالإنخراط فيها، وهو مادفع بالقبائل المعادية إلى إعتباره جيش أجنبي[4].

وبسبـب إفتقـارالحكـام إلـى سنـد يؤازرهم أحاطوا أنفسهم بالحذر والخوف من السكان خشيـة أن ينتزعوا منهم السلطـة، فإحتكـروا المناصب والوظائف السامية[5]، وهوماجعل الورتيلاني يقول: "أنهم جعلوا جميع الخطط الشرعية لهم ظلما وعدوانا"[6]، و لهذا وحسب ما ذكره أحد المؤلفين أن التاريخ العثماني واجه تهما عديدة وتأتي منها تهمة "التتريك"، حيث هيمنت اللغة التركية و العنصر التركي على كل الجهاز الإداري و العسكري في البلدان العربية[7].

وحتى قوانيينهم كانت صارمة، وقد أشار "لوجي دوتاسي" إلى أنهم لا يحاكمون أمام الأهالي بل في بيت الآغا،[8] أما "شالر " فقد ذكر أن الإقتصاص من التركي كان يتم سرا، أما إذا كان من الأهالي فيشهر به و يشنق أمام العامة في ساحة عمومية ثم يلقي على سور مرتفعة يلتقطه خطاف حاد من الحـديد حتى يكون عبرة لغيره[9].

([1]) -الغالي العربي،"الحياة السياسية في نيابة الجزائر إبان عصر الدايات ثورة إبن الأحرش الدرقاوي ضد الأتراك في مطلع القرن التاسع عشر"، **دراسات تاريخية**_عدد 23 ،24 1986 ،ص 167 .

([2]) - سعيدوني، الجزائر منطلقات وأفاق، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص 174.

([3]) - الغالي، الثورات الشعبية، ص94.

([4]) – KADDACHE, Op.Cit, p20.

([5]) – شالر ، المصدر السابق ،ص 46-47

[6]–الورثيلاني :المصدر السابق ،ص111.

([7]) -LAUGIER, Op.cit,p247.

([8]) - حموش، المرجع السابق ،ص 81.

([9])- شالر، المصدر السابق، ص48.

كان العثمانيون يرفضون فكرة المساواة مع الأهالي بسبب تفكيرهم الذي يعتقد أنهم ولدوا ليحكموا و يسيروا[1]، وقد وصل ضلمهم وتعسفهم إلى حد مصادرة أملاك الأشخاص،[2] الذين وجدوا أنفسهم مجبرين إلى حبس ممتلكاتهم خوفا من جشع الحكام وطمعهم.[3]

فتعسفهم هذا وصل إلى حد التطاول على الأوقاف و خير دليل ما ذكره "الورثيلاني" عن مدينة بسكرة حينما دخلها الأتراك "إجتمع عليها ظلم الأتراك، وظلم الأعراب، فكانت بينهما كالكرة ...غير أن الأتراك إستولوا عليها إستلاء عظيما، وما كان من المدارس و الأحباس التي توجد في الأمصار هي في أيديهم يأكلون منها وينتفعون بها ..."[4].

و بالتالي كانت سياسة العثمانيين مرتكزة على العداء و التخوف و الإحتقار للسكان والظلم مما جعل "العنتري" يصف تصرفاتهم بأنها "أعمال ناتجة عن تصرفات غير إنسانية" فتميزوا بالإستبداد والقتل و التدمير و تبذير الأموال وإشباع الرغبات و الإهتمام بالمصالح الخاصة وإهمال شؤون الرعايا.[5]

فالمبدأ الذي إعتمدت عليه سياستهم كان الظلم و التنكيل بالرعية لإرغامها على الطاعة والخضوع،[6] فالداي شعبان وحسب ماذكره الدكتورسعد الله و نقلا عن الشيخ "برناز" أنه كان يغتصب أموال الناس تعسفا، رغم أنه كان لا يتخلى عن المصحف أوقات فراغه ويصوم النوافل لذا صح عليه قول الشاعر :

ما رأينا كأمير ظلم الناس و سبح

فهو كالجزار فينا يذكر الله و يذبح[7]

أما الباي "شاكر" و رغم مدته القصيرة في الحكم إلا أنه عرف بالبطش و سفك الدماء و الإستحواذ على ثروات الناس لذا قال عنه العنتري :" شاكر باي رجل بطش تغلب عليه صلابة العجم يسفك الدماء بالباطل ،ويأخذ أرزاق الناس بالغزو لا يبالي بمن هو طايع أو عاصي وفي زمنه إشتهر الترك بالظلم ..."[8]. كما أنه ينتقد الباي محمد علي (1817-

---

(1)- نفسه ،ص 54.

(2) –BOYER, La vie quotidienne, p48.

- سعيدوني ،" مذكرة حول إقليم قسنطينة "،**الأصالة** عدد 84-85، 1980 ،ص102.

(3) - نفسه، ص 50

(4)- الورثيلاني،المصدر السابق، ص 111.

(5)– العنتري، فريدة مؤنسة، ص81.

(6) –VENTURE (De.P), Op.cit, p129.

(7) - سعد الله ،من أخبار الداي شعبان ،ص116.

(8) - العنتري، فريدة مؤنسة، ص83.

1818 م) على أنه "رجل" قليل العقل يظلم الناس ويأخذ أرزاقهم بالباطل ،وكان مشى إلى وطن الصحراء فصدر منه الظلم ،و الجور على ناس ذلك الوطن "[1].

و لنا في الشعر الشعبي شواهد كثيرة تدل على المعاناة و الضغط الذين كانا مسلطين على الرعية فوصفهم المنداسي بقوله :

سمعنا حديثا صادق النقل ربــــه   بأن لجنس الترك في الأرض إخوانا
ولكن وراء السد عم فســـــادهم   وهم أفسدوا في الغرب كفرا تلمسانـا
فما دب فوق الأرض كالترك مجرم   ولا ولدت حواء كالتــرك إنسانــا
و لا ضار مثل الترك للسمع طـارق   ولاوجــد الشيطــان كالترك فتانـا
كأكل الربا من السفاح تناسلـــوا   فلا ماردا إلا ويـــترك شيطانــا[2]

أما مسلم بن عبد القادر و بالرغم من كونه مقربا من الحكام حيث عمل كاتبا عهد الباي حسن فقال عنهم ما يلي:

عاثوا عثوا على الخلق وجاروا   فكانـــوا أكثـر العباد وباروا
فرفع الكـــل الأكـف ودعوا   بمـــا به أجاب الله ورجوا[3]

فبسبب سياستهم المجحفة ضد الأهالي إتسمت العلاقة بينهما بالنفور وعدم الثقة و العداء، لأن الرعية كانت محل إستغلال من طرف الحكام من دفع الضرائب و الغرامات معتمدين في هذا على أسلوبين للسيطرة على الرعية حيث:

-عملوا على التقارب و الترضية و المداهنة مع رجال الطرق و شيوخ الزوايا نتيجة لنفوذهم الروحي على الرعية.

-إعتمدواعلى قبائل المخزن التي مثلت أداة بطش و تأديب لأي محاولة تمرد و إستقلال من طرف الرعية[4].

ومرد هذا إلى إفتقار العثمانيين بالجزائر إلى تصور واضح لسياسة تعمل على كسب السكان و الإندماج معهم ،لكنهم تخوفوا منهم وإحتقروهم وإبتعدوا عنهم وهو مازاد حقد الرعية ضدهم،خاصة بعدما فرضوا عليهم الضرائب الجائرة[5].

([1]) - نفسه، ص86.
([2]) - الزياني، المصدر السابق ،ص293 –إبن سحنون ،المصدر السابق ،ص56.
([3]) - الزياني ، نفسه ،ص273.
([4]) - الغالي ، الثورات الشعبية ،ص57.
([5]) - الزبيري ، التجارة الخارجية ....،ص24.

هذه السياسة حالت دون تحقيق إندماجهم مع الأهالي ،رغم توفر العامل الديني الذي كان يعد المحرك الأساسي في ذلك العصر[1]، كما وأنه كان بإمكانهم تحقيق هذا الإندماج بإستغلالهم للمكانة التي تمتعوا بها بداية تواجدهم بالجزائر لكنهم حالوا دون ذلك بل إنعزلوا عن السكان و أقاموا بينهم حواجز من الوسطاء، جلهم من علماء الدين و رؤساء القبائل و شيوخ الأعراش[2] لمساعدتهم مع الرعية معتبرين أنفسهم السادة لهذا حكموا البلاد بإستبداد[3].

و نتج عن تصرفاتهم أن إزدادوا طمعا و إنتشر السخط بين السكان لعجزهم عن دفع الضرائب فلجأوا إلى الثورات[4].

و بالتالي ففكرة التضامن الإسلامي التي إعتمد ها العثمانيون لبسط نفوذهم في الأوساط الشعبية بالتقرب إلى مرابطيهم و شيوخ الزوايا ،لم تمكنهم من وضع أسس متينة للإحتكاك بالرعية ،لأن هؤلاء سرعان ما شكلوا أرستقراطية ذات أصول طبقية، كما أن الحكام العثمانيون لم يعملوا على دمج التنظيمات الإجتماعية من جماعة ومشيخات ومرابطين في نظام واحد و موحد .

ولهذا كان حكمهم بعيدا عن أحوال الناس حيث قلت ثقة الشعب فيهم لأنهم راعوا مصالحهم وامتيازاتهم بالدرجة الأساسية[5].

و على هذا الأساس فإن هذه السياسة هي التي دفعت الرعية إلى التمرد على النظام، ومع هذا تبقى الميزة الإيجابية للوجود العثماني بالجزائر أنه حافظ على استقلال البلاد بعدما حررها من الخطر المسيحي.

4- **الإنسحاب الإسباني من وهران عام 1792م:**

لقد دخلت الجزائر في الرابطة العثمانية بإسم العقيدة الإسلامية. حيث كان الجهاد البحري هو الدافع لوجودهم على شواطئ شمال إفريقيا ،وكان الوجود الإسباني بالسواحل خاصة بوهران و المرسى الكبير مصدر التحالف بين العثمانيين و الجزائريين،[6] فالغزو

([1]) –الميلي ، المرجع السابق ص 302.

([2]) –LAUGIER, Op.cit, p236 - الزبيري ،التجارة الخارجية ،ص24.

([3]) -Ibid .236.

([4]) -الزبيري ،التجارة الخارجية ،ص25.

([5]) – حليمي، المرجع السابق، ص279 .

([6]) - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص141.

المسيحي سمح للعثمانيين بكسب مجد الجهاد المقدس وهذا الأمر هوالذي جعل المرابطين المعادين لهم يقفون إلى جانبهم للدفاع عن الدين الإسلامي[1].

فعاملا الدين و الجهاد جعل الجزائريين يقبلون تواجد العثمانيين،[2] ليكون لهما الدور الأكبر في تدعيم فكرة التحالف حيث كانوا في نظر الناس و ممثليهم العلماء، "حماة الدين"[3] خاصة وأن صراعهم مع الإسبان إتخذ صبغة دينية، هذا الأمر سمح لهم بكسب تأييد و مساعدة العلماء و لفترة طويلة[4] تميزت بالتحالف، لكن هذا التآزر الذي فرضته المصلحة المشتركة في السنوات الأولى تحول إلى نفور في الفترة الأخيرة، خاصة بعد إنحصار الجهاد الذي عرفت على إثره العلاقات تباعدا، وهذا لإختلاف المصالح[5] خاصة بعد إستعادة وهران التي نزعت من العثمانيين ذلك المجد و النفوذ، فكان إ سترجاعها نقطة تحول بارزة في العلاقات بين السلطة و العلماء خاصة الطرق الصوفية و المرابطين.

فكان تحرير وهران الحلقة الأخيرة التي حافظت على تماسك هذه العلاقة وإستمرارها إلى غاية نهاية القرن 18م لأنها كانت العامل الرئيسي في تحالف الطرفين .

وبإسترجاع المدينة فقد التحالف المرابطي -العثماني دعامته الأساسية و المتمثلة في عامل الجهاد ضد الأسبان، وبإنتهاء هذا الخطر أصبح كل طرف ينظر إلى الآخر بعين الحذر والشك و يتحين الفرصة لإقصائه،[6] لأنه و بعد الإنسحاب النهائي للإسبان من وهران، وبتقهقر القرصنة لم يعد يشغل بال الحكام سوى ترسيخ وجودهم في داخل البلاد[7].

و من هنا كان إسترجاع وهران سنة 1792م الحلقة الأخيرة في التحالف بين العلماء و الحكام، ولتظهر بعدها القطيعة بينها بوضوح لتصل إلى التواجه والتصارع.

الفصل التاسع: مظاهر التوتر و القطيعة.

لقد تميزت سياسة العثمانيين منذ بداية تواجدهم على أرض الجزائر إلى غاية النصف الأول من القرن 17م بعدم التدخل في شؤون السكان الداخلية، مكتفية بالتعامل مع شيوخهم

(1) -BOYER, Contribution …, pp36, 37.

(2) - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص190.

(3)- الغالي، الثورات الشعبية...، ص30.

(4)- سعيدوني/ البوعبدلي، المرجع السابق ،ص37.

(5) -BOYER, Contribution, p17.

(6)- MERAD BOUDIA, Op.cit, p341.

(7)- الغالي، الثورات الشعبية...، ص30.

ومرابطيهم الذين كانوا يقدمون نيابة عن السكان ماكان يفرضه البايلك من ضرائب متنوعة مقابل نيلهم العطايا و الترضيات .

وقد كان إعتماد الدولة في سد حاجياتها على الموارد البحرية من غنائم وأتاوات سببا في تخفيف الضغط على الأهالي ،لكن منذ أواخر القرن 17م إتجهت سياسة الحكام إلى مد نفوذهم نحو الداخل متبعين في هذا أسلوبا يعتمد على القوة، وعلى عدم مراعاة ظروف الأهالي، وتجاهل رأي العلماء(1) الذين لم يتوقفوا على إزعاج السلطة بحجج تاريخية دينية، كونهم حماة الإسلام مدعمين هذا بعيوب السلطة و المشاكل التي أضعفت المجتمع خاصة وأن الجهاد ضد العدوكان قد إنتهى ،فأصبحت الطرق الصوفية المؤسسة للإيالة سابقا منافسا غير مرغوب فيه(2).

ولهذا إتصفت سياسة الأتراك في الفترة الأخيرة بمعاداة العلماء و محاولة إخضاعهم لنفوذهم، وهو العامل الذي أدى إلى حدوث نوع من القطيعة بين الزوايا وأتباعها، وبين الحكام وهذا بعد فترة طويلة عرفت فيها السلطة كيف تكسب تأييد العلماء خاصـة شيوخ الزوايا(3).

و بما أنهم شكلوا خطر اعليها أواخر القرن 17م عملت السلطة على إبعادهم متخذة في هذا عدة إجراءات حتى تحد من نفوذهم(4).

1- القتـــــل:

لم يسلم العلماء من القتل شأنهم شأن بقية الرعية فقد لقي العديد منهم مصرعهم وغالبا ما كانت الوشاية أو تدخلهم في الأمور السياسية سببا في مقتلهم،(5) وحسب "لوجي دوتاسي": فإن الأتراك كانوا يقتلون المرابطين عند تدخلهم في أمور الدولة(6).

وقد كان القتل يعتمد حتى قبل حدوث القطيعة النهائية بين الحكام و العلماء، و التي كانت بإسترجاع مدينة وهران، وخير مثال على هذا قتل الداي محمد بكداش للمفتي أحمد بن سيدي قدورة(7)، وحسب الباحث "شوفال" (Shuval) فإن سبب قتله هو إعتراضه لتولي

---

(1) -سعيدوني /البوعبدلي ،ا لمرجع السابق،ص36.

(2) - FILALI, Op.cit, pp130-131.

(3) –سعيدوني /البوعبدلي ، المرجع السابق ،ص57

(4) –VATIN, Op.cit, p104.

(5) -LEPENE, Op.cit, p145.

(6) -LAUGIER, Op.cit, p92.

(7) - DEVOULX, Les édifices …, p205 - BOYER, Contribution …, p27.
BOYER, La vie quotidienne …, p78. - TOUATI, Op.cit, pp124, 125.
سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص416.

محمد بكداش للسلطة[1]، و يذكر صاحب "تحفة الزائر" بأن الداي محمد بكداش قتل معه أيضا أخوه القاضي علال، الذي تم خنقه في السجن،[2] أما المفتي الحنفي محمد بن مصطفى بن المستي فقد صودرت أملاكه وقتل هو الآخر،[3] و هذا دون أن يذكر سببا وجيها لقتله.

كان الحكام عندما يتخذون قرار قتل أي فقيه أو مرابط، لا تنفع معهم لا توسلات الأهالي و لا تهديدات الأتباع، كما كان حال المرابط سيدي محمد بن أحمد إبن المرابط سيدي إبراهيم الغبريني الذي وبالرغم من توسلات الأهالي و تهديدات أتباعه بالثورة إلا أن قائد شرشال أرسله إلى مدينة الجزائر حيث نفذ فيه حكم الإعدام[4].

أما صالح باي، و بالرغم من أعماله الجليلة التي قدمها للثقافة و الدين و للعلماء، إلا انه أواخر عهده تغيرت سيرته معهم ،وشاع عنه الظلم والعنف، حيث أساء للكثير من المرابطين، ومن بين ضحاياه المرابط سيدي محمد الزاوي المعروف "سيدي محمد الغراب"*، وحسب ما تذكره المصادر أن سبب مقتله هو نقمته على العثمانيين و تأليبه الناس ضد صالح باي الذي قام بشنقه أمام الملأ[5]، و بهذا نجد "فيرو" يقول "أن سياسة الأتراك إرتكزت على قتل كل من يثور ضدهم"[6]، و قد إنطبق هذا على الكثير من العلماء دون مراعاة لمكانتهم، أو حتى للإعتبارات التي وضعها العثمانيون أنفسهم من أجل كسب تأييد العلماء.

هذا الإجراء الذي إعتمده الحكام ضد العلماء إزداد خاصة بعد حدوث الثورات الدينية التي زعزعت الحكم،و التي كانت دليلا واضحا وقاطعا على سوء العلاقة بين السلطة والعلماء. فعندما ثار إبن الأحرش تطوع مرابط يدعى "إبن بريريش" لإرشاد جنود الباي عصمان إلى مكان إبن الأحرش لكن لما قتل العديد من جنود الباي في الطريق إتهمه هذا الأخير بالخيانة ثم قام بقتله[7].

([1]) SHUVAL, Op.cit, p121

([2])- محمد عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص103.

([3]) -سعد الله، تاريخ الجزائري الثقافي ،ج1 ص418.

([4]) - GUIN, Op.cit, pp451 -453.

*حسب الأسطورة فإنه بعد ما قطع الباي رأسه تحول إلى غراب وطارإلى سقف بيت صالح باي كدليل شؤم للباي.

([5]) –MERCIER, Histoire de Constantine, p283- VAYSSETTE, Histoire des derniers, Beys, p124.
-VAYSSETTE, Histoire de Constantine, p369 – BOYER, Contribution …, p38.
- TRUMELET, L'Algérie légendaire, p256. Gaid, Chronique, p41.

قشي، المرجع السابق، ص105.

([6]) -FERAUD, Histoire des villes …Bougie, p192.

([7])- FERAUD," Zebouchi et Osman bey" in **R.A** n° 06, 1862, p 122.

* ولد الشيخ فتح الله بالشام، تقلد عدة مناصب بالجزائر منها كاتب لدى الباشا ومدرس بمدرسة سوق الغزل و مفتيا وناظرا للأوقاف وخطيبا بمسجد سيدي الكتاني بقسنطينة حتى وفاته.

هذا وأحيانا كانت معارضة العلماء للحكام تنتهي بهم في السجن أو القتل و خير مثال على هذا ما حدث للمفتي الحنفي فتح الله* الذي رفض طلب الباي أحمد شاوش القبائلي القاضي بمكاتبة الباشا بمدينة الجزائر، و إعلامه أن إغتصاب هذا الباي للحكم كان بطلب من الأهالي، لكن المفتي رفض طلبه، الأمر الذي تسبب في نفيه إلى عنابة أولا ثم أرسل الباي رجلان فقتلاه في الطريق[1].

أما في عهد شاكر باي (1813-1817م) الذي عرف بالبطش و الإستبداد، فقد تطاول على العلماء حيث قام بخنق الباش كاتب محمد بن المكي الساسي، وهو من عائلة المرابط سيدي علي الحاج بقسنطينة[2]، و قد وصل تجرؤ هذا الباي على العلماء إلى حد تطاوله حتى على المواليين لسلطة البايلك كأسرة آل مقران التي إعتمد عليها البايلك ببجاية وجيجل في تهدئة الأوضاع ،وكسب ولاء الأهالي، إلا أن هذا الباي غدر بهم، حيث قرر سنة 1814م غزو ناحية مجانة التي كانت تقطنها هذه العائلة، ولما وصل إلى سطيف إستدعى آل مقران للحضور الى معسكره ،فقدم إليه إثنى عشررجلا منهم ،لكنه غدر بهم وأعدم ثمانية منهم ،وفرت البقية الى الجبال[3]، ثم أرسل الرؤوس إلى قسنطينة لتعلق على أبواب المدينة لتكون عبرة للعصاة[4]، هذا الحادث أدى إلى تمرد هذه العائلة ضده سنة 1815م، ولم يتم القضاء على هذا التمرد إلا بعد تعزيز قوات البايلك بالحامية العسكرية الموجودة في سطيف و سور الغزلان[5] .

ولنا في علاقة بايات وهران بالعلماء مثل حي عن توتر العلاقة بين السلطة والعلماء من الحسن إلى السيئ ومن التحالف إلى التنافر، فالباي خليل (1185هـ /1772م) كان يكره العلماء والأولياء، و يتوعدهم بالقتل مثلما فعل مع سيدي المداني بن عطاء الله الغريسي و سيدي الحاج بن سعيد الشقروني، وسيدي بوترفاس محمد الساحلي، اللذين توعدهم بالقتل، ولما عاد من سفره قتل الأولان و نجى منه أبو ترفاس.[6]

أما الباي محمد المقلش (1805-1807م) و حسب ما ذكره "فاي" (Fey) فإنه قتل ألفا من أتباع الدرقاوي وبعث برؤوسهم إلى مدينة الجزائر[7]، و قد لقي نفس المصير حيث إتهمه

([1])- العطار ، المصدر السابق ،ص 78 .- شعيب ، المرجع السابق ، ص 272.

([2]) - شعيب،المرجع السابق،ص82.(هامش).

([3]) - FERAUD, Histoire de Constantine, p343.

([4]) - شعيب،المرجع السابق ،ص82 (هامش).

([5]) - الجيلالي ، المرجع السابق ،ص315،316.

(4)-المزاري،المصدر السابق،ص287،288.

([5]) - FEY (H.L.), Histoire d'Oran, pendant et après la domination Espagnole, Adolphe perriere Oran, 1858, p296.

(6) - الجيلالي، المرجع السابق، ص 562.

الداي أحمد باشا بإستغلال حرب درقاوة لمصادرة أملاك الرعية لصالحه و الإنتقام من مشايخ ورجال الدين، و لهذا السبب حكم عليه بالإعدام[1].

ولعل الباي الوحيد الذي عرف بسياسة صريحة إتجاه العلماء هو الباي حسان آخر بايات وهران، فقد كان يقضي على كل من يشك فيه وقد وصل قمعه للعلماء إلى درجة الفضاعة، حيث كان مثلا شنيعا في القسوة والتنكيل بأتباع الدرقاوي ظنا منه أنه الأسلوب المناسب للقضاءعليهمّ،فقد كان يعدم الناس بمجرد وشاوية أوإدعاء عليه موالاته للدرقاوي، وفي هذا الصدد نوردقول"الزياني"حول سياسة الباي حسن: "إتجاه أتباع الدرقاوي" وصار مهما ظفر بأحد من درقاوة بادر إلى الإنتقام منه بأي نوع شاء،ولا يقبل شفاعة شفيع وابتدع قتلا لم يبتدعه أحد من الملوك قبله...فمنهم من كان يأمر بإخراجه إلى السوق ودق أعضائه حيا بالمعاول إلى أن يموت...ومنهم من يأمر بإقتلاع عينه و يتركه أعمى من حينه...ومنهم من يأمر بقطع أعضائه فإن مات وإلا فأجهز عليه فيموت...إلى ذلك من الأنواع المختلفة من المعاقب المختلفة...[2] ، كما قال عنه :" كثر عبث هذا الباي و ظلمه ،و تعديه و إجتراؤه على العلماء و الأولياء فأكثر من سفك الدماء في العباد...[3]، أما المزاري فهو الآخر أشار إلى تعسف هذا الباي و تطاوله على العلماء بقوله :"إن هذا الباي لأمر أراده الله .قد تجرأ على العلماء و الأولياء وكثر ظلمه و سفكه لدماء الأبرياء..." [4].

وقد ذهب ضحية هذا الباي عدد كبير من العلماء و الأولياء من بينهم الشيخ "إبن القندوز" أحد الشيوخ الذين كانوا يدرسون القرآن عندما شن حملة ضد زاوية المرابط،ثم ذهب به إلى مازونة وقتله[5]، وقد كان لهذه الجريمة صدى واسعا وسط تلاميذه حيث رثاه أحدهم بغوثية (قصيدة) جاء في مطلعها :

أرحم شيخي بالقندوز   مريد الشيخ المعزوز
بالقنـ ـدوز المـ ـ زهد   في وسط الطلبة عابد

إلى أن يقول:

يارب عذب حسن   بركت بيت الله تعيان
و الطلبة قعدة تنهان   وإفترقوا في بكريا. [6]

---

(7) - الزياني، المصدر السابق، ص228.

(3) - نفسه،ص239. إبن سحنون، المصدر السابق،ص49

(4) -. المزاري:المصدر السابق،ص352.

(5) -.. نفسه ،ص352

(6) -. إبن سحنون، المصدر السابق،ص49

و بالرغم من إنتهاء ثورة درقاوة إلا أنه لم يسع إلى المصالحة بل إستمر في إبادة العناصر الدينية وشن العديد من الحملات القمعية ضد الطرق الصوفية خاصة ،حيث قام سنة 1821م بقتل الشيخ محمد بن أحمد الصدامي من أولاد بن حليمة بعدما جعل منه أضحوكة[1]، و في نفس السنة قتل كل من بن عبد الله بن حواء التيجاني، و الشيخ فرقان الفليتي من وهران[2].

ولم ينجوا من بطشه سوى محمد بن عبد الله البوشيخي ، المعروف بإبن سحنون، وفي هذا الصدد نذكر قول الشاعر :

مارفقـــوش بالنفوس	يخدموا غير النحوس
ماذا قتلوا من رؤوس	من سادتي الصوفية [3]

2- العزل من الوظائف:

لقد كان العزل إحدى الإجراءات التعسفية التي إتخذها الحكام للتخاص من رجال الدين خاصة ذوي الشهرة الكبيرة منهم وكان الداي يعزل العلماء من منصبهم تبعا لرأي أو شكاوي الأهالي أو بسبب فضائح مختلفة[4]، أو عند حدوث نزاع بين العلماء و غالبا ما كان يميل للمفتي الحنفي و أحيانا يعزل الطرفين.

وقد تصدرت الوشاية أسباب العزل، مثلما حدث للمفتي سيدي محمد بن سعيد قدورة الذي عزله الداي مصطفى أهشجي عام (1090هـ/1706م) بسبب رسالة من حساده للباشا[5]، و في عزله قال إبن المفتي في تقاييده "عزل الشيخ محمد بن سعيد سنة 1090هـ و سبب هذا العزل رسالة من حساده للأمير".[6]

كان الحكام غالبا ما يصدقون الوشاية دون البحث و التقصي عن الحقيقة و ما حدث لأحمد البوني*، و مفتي عنابة خير دليل حيث سعى خصومهما ضد هما لدى الباشا الذي صدق الوشاية و عزل المفتي و أساء إلى البوني الذي إستنجد برسالة بعثها إلى زميله

([1]) - المزاري ،المصدر السابق،ص352. -BOYER,Contribution …,p45

([2]).نفسه،ص352.

([3]) - إبن سحنون ،المصدر السابق،ص52.

- ([4]) -BOYER, La vie quotidienne …, p78

([5]) - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 393 DELPHIN, Op.Cit, p192.

([6])-نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص281

*أحمد قاسم بن محمد البوني ولد بعنابة فقيه مالكي تصدى للإقراء في الأزهر له "الياقوتة المصونة في صلحاء بونة "توارثت أسرته التعليم، والتدريس

مصطفى العنابي بمدينة الجزائر من أجل التدخل لصالحه عند الباشا ومما جاء في الرسالة "ونسب لبعضنا من الكبائر و الفضائح ...و كفاه بث ذلك في كل ميدان، حتى أوصله لمسامع السلطان فلم نشعر إلا و مكاتب واردة علينا من جانب الأمير بعزل صديقنا الشهير من خطة الفتوى مع أنه ذو علم و تقوى، و توالت علينا من يومئذ الكروب...ووصلت شوكتهم إلينا".[1]

و بسبب الوشاية أيضا عزل الباي محمد المقلش العلامة أبوراس الناصري الذي وشى به خصومه هو الآخر واتهموه بالضلوع في حرب درقاوة التي لم يسلم من عواقبها حتى العلماء الموالون للسلطة،[2] ونتيجة لهذا هاجر الناصري إلى المغرب الأقصى ليضع بعدها مؤلفه "درء الشقاوة في حرب درقاوة".[3]

و مثلما كانت الوشاية سببا إعتمده الحكام لعزل العلماء كان لإختلافهم حول القضايا الشرعية و التي غالبا ما تنتهي بمشاداة سببا آخر لعزلهم، حيث يتدخل الباشا للفصل في الأمر وغالبا ماكان ينحاز إلى رأي المفتي الحنفي و خير مثال عل ذلك ماحدث سنة 1706م في المجلس العلمي، حيث حدث خلاف بين المفتي المالكي أحمد بن سيدي سعيد قدورة والمفتي الحنفي محمد النيار، حول قضية سكن المرأة التي أساء إليها زوجها، فترافعا إلى الباشا الذي حضر تناظرهما مع العلماء الذين إنقسموا إلى فريقين كل فريق يؤيد رأيا، وقد تغلب في النهاية فريق المفتي محمد النيار.وقام الداي بعزل المفتي المالكي أحمد بن سيدي سعيد قدورة،[1] وحسب "دوفو"(Devoulx) فإن الداي إنحاز لرأي المفتي الحنفي.[2]

لكن سنة 1811م عزل الداي كلا المفتيين الحنفي سيدي محمد بن العنابي والمالكي سيد علي أمين، وهذا بعد نقاش بينهما داخل المجلس العلمي تبادل فيه الشتائم.[3]

فأخبر القاضي الحنفي الحاج إسماعيل بن السفنجة الباشا الذي قام بعزلها و عوض الأول بسيدي محمد بن راسيل و الثاني عوضه بسيدي محمد بن الحفاف، وقد كان هذا يوم 1شعبان من عام 1226 هـ /1811م[4] و حسب "بويي " فإن عزل كلا المفتيين كان تحت تأثير العلماء.[5]

([1]) -سعد الله، تجارب في الأدب، ص91.

([2])-الجيلالي، المرجع السابق، ص 291. -سعد الله : أبحاث وأراء ...ج1، ص87 . -أبو عمران الشيخ وأخرون ، معجم مشاهير المغاربة، ص464

([3]) –.الجيلالي، نفسه ،ص 291

لقد كان عزل رجال الدين من مناصبهم يتم أحيانا نتيجة دوافع و خلافات شخصية كما هو حال الداي مصطفى أهشي الذي و بالرغم من تعاطفه مع العلماء والصلحاء حسب ما ذكره "الزهار" إلا أنه قام بعزل الحاج عمر باشا كاتب بعدما إعتقلته لمدة أربعين يوما وأطلق سراحه مقابل أربعين ألف محبوب، ويعود سبب قيام الداي مصطفى بهذا العمل الى رفض إبنة أخت الباش كاتب الزواج بالداي بعد تطليقها مكرهة من زوجها المدعو "علي برغل" الذي نفاه الداي(6).

(1)– نور الدين عبد القادر ،المرجع السابق،ص282 - DEVOULX , Les édifices…,p146 SHUVAL,Op.Cit, p120

(2)- DEVOULX,Les édifices …,p146
(3)-TACHRIFFAT, p77 –BOYER, La vie quotidienne, p79. - سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1،ص393-
(4)–TACHRIFAT, Op.cit, p78.
(5) - BOYER, La vie quotidiènne, p79.
(6)-الزهار، المصدر السابق،ص71

و لكن في غالب الأحيان كان العلماء يعزلون دون أسباب مقنعة لعزلهم، و خير مثال حدث للعلامة أحمد الزروق بن عمار خطيب الجامع الكبير الذي كان يملك ثروة معتبرة، ويقوم بترميم ما يصيب الجامع الكبير من أضرار، خاصة السور المحاذي للبحر، الذي كان دائم التعرض للسقوط بسبب مياه البحر، وحسب ما جاء في تقاييد إبن المفتي فإن هذا العلامة كان يعين على رأس الجامع الكبير بهدف إصلاح الأضرار التي تصيب المسجد، وبعد الترميم كان يعزل(1)، كما يذكر لنا "الزهار" أن الداي مصطفى (1797-1805م) عزل الكاتب أحمد خوجة لأنه غضب عليه، ولهذا السبب حرض هذا الأخير الجند ضد الذين قاموا بقتل الداي مصطفى وولوه مكانه(2).

و بالتالي فإن عزل العلماء من مناصبهم غالبا ما كان يخضع لأهواء الحكام، ومن خلال تقاليد إبن المفتي، وما أورده المؤرخون نلاحظ أن بعض رجال الإفتاء من بقي في منصبه مدة طويلة ومنهم من يولي عدة مرات، وما يمكن أن نفسر به هذه الظاهرة هو عدم إستقرار الدايات أنفسهم في الحكم حيث كانوا يعزلون أو يقتلون غالبا ،لذا كان كل داي لا يبقي عما كان قبله. فيعزل من وجده و يعين آخر في مكانه.*

(1) -نور الدين عبد القادر، المرجع السابق ،ص279.
(2) -الزهار ، المصدر السابق ،ص88،89.
*أنظر حول هذا - نور الدين عبد القادر- المرجع السابق (تقاييد ابن المفتي) . و أنظر كذلك TACHRIFFAT
**هو احمد بن مصطفى برناز ،مؤرخ تونسي ،عاصر الداي شعبان .

3- **المصادرة و المضايقة:**

كانت عملية المصادرة و المضايقة إحدى الأساليب التي إتبعها الحكام للبطش بالعلماء خاصة أواخر العهد العثماني، حيث نجد منهم من إتخذ من مصادرة الأملاك وسيلة إجرائية تأديبية ضد رجال الدين.

وحسب ما ذكره الدكتور سعد الله ونقلا عما جاء في"الشهب المحرقة" للشيخ برناز** قوله أن الداي شعبان كان محبا للمال مهينا للعلماء، حيث أهان علماء قسنطينة، وصادر أملاكهم،كما أنه رفض إستقبال وفد العلماء الذي أرسله باي تونس إليه من أجل الصلح، وقد قام الباشا بمصادرة سفينتهم كما أهانهم ومنعهم من الإتصال بالناس[1].

إن الإمتيازات التي كان يمنحها الحكام للعلماء وخاصة المرابطين منهم كانت أحيانا محل قلق للحكام ،فبالإضافة للنفوذ الروحي للمرابطين في الأوساط الشعبية

يضاف إليه نفوذهم المادي و السياسي الذي مِنح لهم بفضل دور الوساطة، هذا الأمر أزعج الحكام و جعلهم يتخذون إجراءات ضدهم إذا رأوا تزايد قوتهم وخير مثال ما فعله الباي أحمد القلي (1756-1771م) مع مرابطي بن ناصرالذين لعبوا دورا بارزا في العلاقات بين تونس و قسنطينة و حتى في ربط السلطة بالأهالي، و بسبب تزايد قوتهم خشي منهم الباي فأقدم على مصادرة كل ثرواتهم[2]، حتى يقوض من نفوذهم، و لا يشكلون خطرا عليه، وحتى صالح باي هو الآخر و رغم إنجازاته الثقافية إلا أنّ سيرته تغيرت معهم وصار يظلم رجال الدين، وفي هذا الصدد يقول العنتري "صار يضلم ناس الزاوية حتى أفضى به ذلك إلى الهلاك و الهاوية"[3]، حيث عمل على الحد من نفوذ شيوخ الطرق بالجنوب و شن حملات ضدها بجبال عمور و بلاد ميزاب، وتقرت[4] و هي زوايا كانت تتمتع بنفوذ كبير و ساطة تكاد تكون مطلقة. [5]

كما هاجم زاوية أولاد سيدي عبيد و طالبهم بدفع ضريبة اللازمة[6]، لكنه فشل في ذلك الأمر الذي دفعه إلى الإعتداء على إحدى قوافلهم و مصادرة الحبوب التي كانت تحملها،

([1])- سعد الله، من اخبار الداي شعبان ، ص112 و بعدها.

([2]) -BABES, Op.cit, p18.

([3]) - العنتري، فريدة مؤنسة، ص78.

([4])- الميلي ، المرجع السابق،ص244.

([5])- المدني، محمد عثمان باشا...،ص135.

([6])-فركوس صالح، الحاج أحمد باي قسنطينة 1826-1850، –ديوان المطبوعات الجامعية، قسنطينة، 1993، ص51.

ولهذا إشتكاه شيخها للداي[1]، ونفس الزاوية إعتدى عليها شاكر باي وصادر ماليهم من أنعام،[2] وهذا بعد فشله هو الآخر في حملته ضد النمامشة سنة 1817م[3].

أما من الناحية الغربية فلم تذكر المصادر سوى ماقام به الباي خليل الذي إظطهد العلماء، خاصة المعادين للسلطة[4]، فقد غزى قرية الشيخ أبوترفاس* وأخذ زاويته، وفرق طلبته[5]، وهي نفس الزاوية التي خربها الباي محمد بن عثمان الرقيق (بوكابوس)، وهذا لكون الشيخ صهرا للدرقاوي.[6]

ومثلما تعرضت أملاك العلماء للمصادرة تعرضوا هم أيضا للمضايقة من طرف الحكام، و التي غالبا ما كانت تحمل الإهانة و الإذلال لهم، و ماقام به الباي محمد الكبير الذي و رغم ميله للعلماء وإيمانه بالأولياء و الصالحين، إلا أنه وحسب ما جاءبه "بويي" (Boyer) فإنه ألقى المسؤولية على مرابطي تاسالة إثر حدوث إظطرابات، الأمر الذي جعله يسخر من أحد مرابطيها بحيث وضعه على ظهر حمار و طاف به داخل معسكر المحلة. [7]

أما الباي حسن فقد تجرأ على العلماء ،و الأولياء و أظهر لهم ظلما و طغيانا كبيرين فقد كان يتبع رجال العلم و الدين فسجن وعذب وقتل وأحدث ما يسمى "بمحاكم" التفتيش،[8] ومن جملة ضحاياه العديد من العلماء الذين أهانهم وأساء إليهم كالشيخ محي الدين والد الأمير عبد القادر .فقد كان الباي يتحين الفرصة للإطاحة به و بأسرته ،وهذا بالرغم من الإحترام الذي أظهره الحكام للشيخ إلا أنهم كانوا يخشونه و الدليل ما قاله هذا الباي لجلسائه عندما جاء الشيخ لتهنئته بإنتصاره على الدرقاوي "نحن لا نخشى من إبن الشريف وأمثاله وإنما نخشى من صولة هذا"[9]، مشيرا إلى الشيخ الذي إنتهى به الأمر إلى فرض الإقامة الجبرية عليه في وهران وكاد يلقى حتفه لولا تدخل بعض الأعيان من المخزن لصالحه[10]، لكن

---

(1) -MERCIER, Histoire de Constantine, p285 -Trumelet, l'Algérie légendaire, p250.
(2) - Ibid, p346.
(3) -DE GRAMMONT, Op.cit, p363.
(4) –ESTERHAZY, Op.cit p187.

*له زاوية مشهورة بنواحي عين الكبيرة بندرومة.

(5) - المزاري ،المصدر السابق ،ص288،287- الزياني ، المصدر السابق ،ص198 - مسلم بن عبد القادر، االمصدر السابق ،ص22

(6) - نفسه ،ص332، 333.

(7) - BOYER, Contribution ,p38.

(8) - إبن سحنون : المصدر السابق ص49.

(9) – الجزائري محمد بن عبد القادر،المصدر السابق ،ص 116- الجيلالي ، المرجع السابق ،ص292.

(10) - المزاري ، المصدر السابق ،ص48 - الجزائري محمد بن عبد القادر : نفسه ،ص 115.

سعد الله ، أبحاث وأراء ...ج1 ،ص176.

هناك من يرى تراجع الباي عن قتله بفضل تدخل زوجة الباي[1]، و ربماهذا ما جعل الأمير عبد القادر يتخذ موقفا من الأتراك بالجزائر فيما بعد*.

4- **النفـــي**:

لقد كان إجراء النفي أخف الضرر بالنسبة للعلماء. فقد طال العديد من العلماء، كالمفتي الحنفي مسلم بن علي** الذي كان أول خطيب بالجامع الجديد، فقد قامت السلطات بنفيه إلى إسطنبول خوفا منه بعدما إجتمع حوله العديد من الناس[2]، أما المفتي المالكي الشيخ المهدي بن صالح، فقد حكم عليه الباشا حسين بن خوجة الشريف وهو تلميذه بالنفي إلى بلاد غير عربية بعدما أهانه وأرغمه على رد كل الهدايا التي قدمت له، لما كان مفتيا لهذا قصده خلق كبير نحو السفينة التي نقل عليها إلى منفاه.[3]

لقد تعرض العديد من العلماء للإهانة، ومن دون سبب يذكر، سوى كون أحدهم له قرابة بمن تمرد على السلطة وهو حال القاضي المالكي محمد بن مالك* الذي نفاه الداي مصطفى باشا عام 1757م إلى القليعة، فقد دفع هو ضريبة تعدي صهره علي خوجة على الخزناجي. ولكن فيما بعد توسط له بعض رجال الدولة فأعيد إلى منصبه للتدريس و في هذا الصدد يذكر الزهار ما قاله رجال الدولة للباشا:"هذا الرجل الذي نفيته من البلاد وهو من اكابر علماء المسلمين، وكان قاضي الإسلام أخرجته لأجل صهره، و فرقت بينه وبين أولاده و بين الطلبة الذين يقرؤون عليه، فعند ذلك سرحه الأمير ورجع للبلاد"[4].

أما الشيخ فتح الله فقد نفاه الباي أحمد شاوش القبائلي لعدم الرضوخ لمطلبه بمكاتبة الباشا بعدما إغتصب الحكم و قتل الباي علي بن يوسف وبعدما أرسل من يقتله في الطريق كما رأينا سابقا[5].

5- **السجـــــن** :

([1]) -العسلي ، الأمير عبد القادر الجزائري (1807-1883)، ط3، دار النفائس، بيروت، 1986، ص 22.
FEY, Op.cit, p308

*انظر حول هذا سعيدوني، "موقف الأمير عبد القادر الجزائر من بقايا السلطة التركية بالجزائر" –**مجلة التاريخ** عدد خاص 1980، أو أنظر العسلي، الأمير عبد القادر الجزائري...

**مسلم افندي بن علي عمل كاتبا و خطيبا بجامع صفر ،كما كان اول خطيب للجامع الجديد ،كان نفيه عام 1674م.

([2]) - نور الدين عبد القادر، المرجع السابق ،ص275 - DEVOULX , les édifices …p144.

([3]) – سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1 ،ص 418.

*هو الحاج محمد بن احمد بن مالك تولى.تولى قضاء المالكية سنة 1210هـ/1795م.

([4]) –الزهار، المصدر السابق ،ص82.

([5]) -العطار، المصدر السابق ص 78. - شعيب، المرجع السابق، ص272.
-VAYSSETTE, Histoire des derniers beys, p135 - GAID, chronique, pp62-63.

كان السجن مصير العديد من العلماء ممن عارض السلطة أو وجّهت له تهمة نتيجة قوة نفوذه، وأحيانا يكون دون وجود سبب و جيه لذلك، أو لتدخله في أمور الدولة كما كان حال الفقية إبن عم الشيخ محمد بن عبد الكريم الفكون الذي تدخل و طلب من الداي شعبان إطلاق سراح بعض الناس بقسنطينة وممن سجنهم في طريقه إلى تونس، وقد قدم له مقابل إطلاق سراحهم خمسمائة ريال ،لكن الداي رفض طلبه و لما عاد من تونس سجنه هو الآخر و لم يقبل الداي شفاعة إبن عمه الذي توسط له، و هذا بالرغم من المكانة التي يتمتع بها الشيخ إبن الفكون.(1)

أما شاكر باي فقد ذكر "مرسي" (Mercier) أنه سجن كل من الباش كاتب محمد إبن المكي الساسي، و القاضي الحنفي محمد بن العشي(2)، أما "فايسات" (Vayssette) فيذكر أنه قام بقتلهما(3)، لكن كلاهما لا يذكرالسبب الذي دفع الباي إلى القيام بهذا العمل.

وفي نفس السياق سجن الداي حسين عند توليه الحكم الحاج مصطفى بن الشيخ بن مالك، وقد عومل بقسوة، و هذا بتهمة إختلاسه أموال الخزينة أيام صهره الداي علي المتوفي و لم يطلق صراحه إلا بعد ما توسط له نقيب الأشراف بطلب من أهله(4).

وحتى المرابطين الذين كانوا محل إحترام من طرف الحكام لم يسلموا من السجن، وخير مثال لذلك ما حدث لمرابط البليدة سيدي محمد بورقعة من بني مناد فقد سجنه القائد التركي بالبليدة حسان الطويل سنة 1825م بتهمة نشر الهلع و الخوف وسط الناس بسبب تنبؤاته بتهديم المدينة، لكن وحسب ما ذكره" تريملي" (Trumelet) فّإن القائد أطلق صراحه بعدما حدثت له معه كرامة.(5)

6- سياسة فرق –تسد:

إن الأزمة الإقتصادية و العسكرية التي عانت منها إيلة الجزائر دفعت السلطة إلى تشجيع روح العداء و إذكاء التنافس بين العلماء و القبائل القوية، و بين العائلات الإقطاعية و الدينية صاحبة النفوذ،وهذا من أجل مد هيمنتها على القبائل الضعيفة، وإستغلالها وخاصة من أجل الحد من عداء الثائرين ضد سلطة البايلك.

---

(1) -سعد الله ، من أخبار الداي شعبان ،ص120-121.

(2) - MERCIER, Histoire de Constantine, p346.

(3) -VAYSSETTE : Histoire des derniers beys …, p93.

(4) - الزهار ، المصدر السابق ،ص142

(5) - TRUMELET, Les Saints de l'Islam…, p346.

فإستغلال العثمانيين للعلماء وخاصة المرابطين لبسط نفوذ هم على الأهالي وكسب ولائهم سمح لهم بإنتهاج سياسة فرق تسد[1] التي تجسدت في إثارة الأحقاد و الضغائن وتعميق الهوة بين القبائل و حتى بين العلماء أنفسهم، وهذا بتحريض طرف ضد الآخر من أجل الإنقضاض على خصومهم بعد عزلهم عن حلفاءهم. [2]

وقد عملت السلطة على توجيه أنظار السكان بالريف و الأتباع نحو أضرحة مرابطي المدن الذين منحتهم هبات وركزت على إظهار أهميتهم حتى أصبحوا زعماء حقيين لأهم المدن مثل سيدي عبد الرحمان الثعالبي بمدينة الجزائر، سيدي علي مبارك بالقليعة، سيدي أحمد الكبير بالبليدة، سيدي محمد الغبريني بشرشال، سيدي بن يوسف بمليانة... و هذا حتى تسهل عليها مراقبتهم، ولنفس السبب نجدها نقلت ضريح سيدي محمد بن عبد الرحمان رئيس الطريقة الرحمانية من آيث إسماعيل إلى الحامة بالجزائر[3]، وحتى المرابط سيدي عبد الرحمان بن شامة و بسبب كثرة أتباعه بالريف خشيت السلطة من هذا الأمر فنقلت ضريحه هو الآخر إلى مدينة شرشال[4]

كما عمد الحكام إلى زرع الخلافات بين علماء المدن المتشددين خاصة بمدينة الجزائر المعادين للمرابطين و شيوخ الزوايا بالريف، وهذا من أجل إبعادهم عنهم، ولهذا إنعدم التكامل في الجانب الديني بين ممثلي الريف، وممثلي المدن الذين أدانوا التعليم بالزوايا الريفية، و حكموا على القائمين عليها بالضلال و ما الفتوى التي أصدرها علماء مدينة الجزائر حول تعليم رئيس طريقة الرحمانية لدليل على نجاح سياسة التفرقة التي إنتهجتها السلطة، و هذا ما سمح لها بتخفيف دور المرابطين المعادين، و إبعادهم عن المدينة حتى لا يهددوا السلطة المركزية[5]، التي تتعمد إثارة الفتن بين رجال الدين من فقهاء ومرابطين و شيوخ الزوايا، وهذا حتى لا يحدث أي إتحاد بينها قد يهدد إستقرارها، لذا كانت تلجأ إلى خلق نزاعات بين القبائل و ما الصراع الذي حدث بين بني صالح وبني مسعود حول الأرض التي شيد عليها ضريح المرابط سيدي محمد الغريب لدليل على سعي السلطة إلى إثارة الفتن بين الأطراف النافذة في المجتمع[6].

([1]) - الفيلالي ، المرجع السابق ،ص 29.

([2]) - RINN, Le royaume d'Alger…, pp125,126

([3]) - SAIDOUNI, Op.cit, p398.

([4]) -BOYER, Contribution …, p40. -RINN, Marabouts et khouans, p454.
-BERQUE, L'interieur …p404 –SAIDOUNI, Op.cit, p398

([5]) -SAIDOUNI, IBID…, p397.

([6]) –Ibid, p398.

وحتى تقرب الحكام من العلماء ولد تنافسا بينهم حول الوظائف الأمر الذي أدى إلى إنتشار الرشوة و الإستهتار و التساهل في أمور الدين و التعدي على الأوقاف والوشاية[1]، التي غالبا ما كانت سببا في عزل و نفي و قتل العلماء، لأن تنافسهم لم يكن يخلو من حدوث نزاعات و خلافات بسبب الحسد طلبا للشهرة أو للوظيف[2]، وحسب الدكتور سعد الله فإن إنحياز الحكام لعلماء الأحناف ولد تنافس بينهم وبين علماء المالكية،هذا التنافس ظهركأنه صراع مذهبي[3]، وقد أشار "تواتي" (Touati) إلى أن المناظرات التي كان يقيمها الحكام بين العلماء كانت بغرض إحداث الشقاق بينهم[4].

و قد أشار الحاج أحمد باي في مذكراته إلى هذا الوضع "وإلى ضرورة سياسة التفرقة مشيرا إلى أن" لحرب هي من عادة الأعراب و أن الذي يريد ان يحكمهم ويسيطر عليهم يتوجب عليه إبقاءها بينهم و أن يحرص على إثارة المشاحنات بين القبائل المختلفة الأصول و الأجناس، لأن حالة السلم فإنها تقرب بين العرب، و تقوي الإتحاد بينهم وتوحدهم حول هدف واحد، وهذه الحالة لا يجب ان يطمئن لها من يريد السيطرة عليهم، قد تاتي ظروف توحدهم، وهو ما يدفعهم للثورة وعلى العكس إذ وجدت الحرب والعداوة بينهم فإن من يريد أن يحكمهم يكون متأكدا من إيجاد حلفاء يساندونه[5]"، و قد طبق هذه السياسة بمساندته للفرع الأصلي لعائلة آل مقران و التي كان يرأسها في عهده أحمد بن بوزيد المقراني الذي خاض صراعا ضد أبناء عمومته أولاد بورنان، و أولاد قندوز و قد ساعد الباي أحمد في ذلك الفرع الرئيسي المتمثل في أولاد بلحاج وأولاد عبد السلام و هذا بإبعاد الفرعيين المنافسين[6]، و ربما يرجع موقف الباي من صراع العائلة إلى تخوفه منها خاصة أنها أصبحت تمثل قوة روحية و إقتصادية وحربية أواخرالقرن 18م.

عن هذه السياسة التي إنتهجتها السلطة و التي كانت تهدف من ورائها إلى منع أي توافق بين القبائل التي كانت الطرق الصوفية تلعب دورا بارزا في حياتها اليومية .وهذا تفاديا لإتحادها وظهور لديها نزعة الروح الوطنية، و ما ساعد على إثارة هذه المنازعات التنافر الذي كان بين العلماء و بين الطرق الصوفية.

([1]) –سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1،ص404.

([2]) - نور الدين عبد القادر، المرجع السابق ،ص281.

([3]) - سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1،ص 404.

([4]) –TOUATI , Op.cit ,p210.

([5])- AHMED BEY, "Les mémoires d’Ahmed bey, dernier bey de Constantine" in **R.A,** N°93, 1949, Edité et commenté par Emerit, pp88.89.

([6]) -RINN, Histoire de l’insurrection de 1871 en Algérie.A.Jourdan.Alger, 1891, p14-16.

فركوس ،الحاج أحمد باي ...ص58.. *.ينتمي للطريقة الرحمانية

و بالإضافة إلى هذه الإجراءات التي إتخذتها السلطة ضد العلماء و المظاهر التي طبعت فترة التوتر والقطيعة بين الطرفين،عمد الحكام إلى نزع إمتيازات العلماء خاصة الطرق الصوفية والمرابطين حيث أن بعض الحكام من مد يده على الأراضي أو المناطق التي كانت تابعة للإقطاع الديني المحلي،وهذا كان سببا في تراجع التحالف بينهما[1]، الذي كان مقيدا بالنفوذ والتأثير و القوة المادية لهذا الأخير،ومن بين المرابطين الذين أسقط عنهم حق الإعفاء من الضرائب مرابط بميلة يدعى"الزبوشي"*الذي كان على اتصال بإبن الأحرش، الذي إنتزع منه الباي عصمان حق الإعفاء من الضرائب و إمتيازات أخرى يتساوى فيها مع غيره من المرابطين، معتقدا أن العقوبة تمنعه من تحريض الأهالي، فقد قصده "الزبوشي"إلى قسنطينة وطالبه بإعادة ما سماه حقه الشرعي، لكنه فشل في مسعاه فارتحل إلى الجبال وإنضم إلى إبن الأحرش[2]، و يعد صالح باي أكثر الحكام من إعتمد هذا الإجراء حيث طالب الزوايا بالتنازل عن جزء من إمتيازاتها، لكنها رفضت وهو الأمر الذي جعله يلجأ إلى شن حملات ضدها[3].

<u>الفصل العاشر</u>: نتائـــج و انعكاسات القطيعـــة علماء/سلطة:

1- <u>الثـــورات</u>:

لقد كان بإمكان الحكام العثمانيين التعاون مع السكان و إشراكهم في تسيير شؤون بلادهم، لكنهم إنعزلوا عن القاعدة الشعبية و إستغنوا عن مساعدتها حفاظا على إمتيازاتهم،[4] فعملوا على وضع وسطاء بينهم و بين الرعية متمثلين في العلماء خاصة منهم شيوخ الزوايا الذين كانوا في بداية الأمر وراء تعبئة الناس للجهاد ضد الخطر المسيحي الذي كان أكبر عامل وطد علاقة العثمانيين بالعلماء، لكن بزوال هذا الخطر ومع تدهور الظروف الإقتصادية للجزائر تغيرت سياسة الحكام التي وجهت إهتماماتها للمناطق الداخلية من أجل إيجاد مصادر دخل بديلة عن مغانم الجهاد البحري[5].

لهذا إتسمت سياستهم بالتعسف وإرهاق كاهل الناس بالضرائب الأمرالذي أدى إلى ظهورحركات تمرد تزعمها شيوخ الطرق الصوفية التي ازداد نفوذها وخطورتها خاصة

(1) -MERAD Boudia, Op.cit, p342
(2)- FERAUD, Histoire des villes …Gigilli, pp193, 194.
FERAUD, Zebouchi et Osman bey …, pp120, 121.
(3) - KADDACHE, Op.Cit, p164.
(4) -الجيلالي،المرجع السابق،ص475-476.
(5) -الغالي، الحياة السياسية...،ص165.

بعدما لم يجد النظام بدا من نقض عهدهم معهم بسبب الأوضاع الإقتصادية الصعبة، فهمشوهم وحاولوا إستغلالهم مثل بقية الرعية،لكنهم تمردوا وحرضوا الأهالي ضدهم[1]،لهذا كان وراء كل داعية للجهاد طريقة وقد إستمرهذا حتى التواجد الفرنسي.[2]

كما وأن الحركات التمردية التي ظهرت قامت بدوافع دينيةّ، الأمر الذي ساعدها على تجنيد الأهالي ضد السلطة العثمانية، لأنها كانت ترى أن المبادئ الدينية تقتضي تطبيق المساواة لا التمييز الذي فرضه العثمانيون خاصة بعد تواطئهم مع التجار الأوربيين و اليهود، لهذا رؤوا أن الثورة ضد العثمانيين شرعية وجب القيام بها[3]، ومن أهم الثورات التي قامت ضد العثمانيين: الثورة الدرقاوية و التيجانية.

I- ثورة الطريقة الدرقاوية:

1- الدرقاوية من الناحية المذهبية:

يعود تأسيس الطريقة الدرقاوية إلى الشيخ محمد العربي الدرقاوي المولود في مراكش عام 1145هـ/1733م، وكان ينتمي إلى قبيلة بني زروال شمال مدينة فاس، تعلم التصوف على يد الشيخ على بن عبد الرحمان الجمال الإدريسي الفاسي شيخ الطريقة الشاذلية[4]، وقد أسس الشيخ محمد العربي زاويته في "بوبريج" بفاس، ثم إنتشرت في شمال المغرب الأقصى و غرب الجزائر[5].

وتعد الدرقاوية من أشهر الطرق التي أشهرت العداء ضد العثمانيين أواخر عهدهم بالجزائر، حيث إرتكزت تعاليمها على القوة و الإبتعاد عن السلطة[6]، التي كانت معادية لها، فهم يمقتون كل واحد يمارس سلطة سياسيةعلى غيره، لهذا كانوا مجانبين للسلطة، ويتميز أتباعها باللحية الطويلة و لبس الخرقة و العقد وحمل العصا و يلقب كل واحد من أتباعها"ببودربالة"*.[7]

بلغ عدد أتباعها عام 1796م في الجزائر حوالي 9567 منخرط موزعين على 10 زوايا و من أشهر الطرق المنحدرة منها، نذكر الطريقة العلوية للشيخ أحمد بن مصطفى

([1]) -هلال، المرجع السابق، ص25

([2]) -سعد الله ،الحركة الوطنية، ص382.

([3])- شريط عبد الله ، الميلي محمد المبارك ، مختصر تاريخ الجزائر السياسي و الثقافي و الاجتماعي ، م.و.ك، الجزائر 1985 ، ص163.

([4]) - G.ANDRE, Op.cit, p246.

([5]) -RINN, Marabouts et khouans, pp75, 76.

([6]) -DE NEVEU, Op.cit, p123et128.

*نسبة إلى اللباس الرث.

([7])-الشناوي أحمد وآخرون : دائرة المعارف ،ج9، ص199،200.

المتوفي بمستغانم عام 1934م و الطريقة الهبرية للشيخ محمد الهبري المتوفي بمغنية أوائل القرن 20م إلى جانب طرق فرعية أخرى كالكتانية بالمغرب الأقصى[1].

وتعد الثورة الدرقاوية من أكبر وأخطر الثورات التي شهدها العثمانيون منذ بداية تواجدهم بالجزائر، حيث كانت هذه الطريقة تتلقى الدعم من المغرب الذي لعب دورا أثناء ثورتها التي تزعمها الشيخ محمد بن علي الإدريسي مرابط (عين الحوت) بتلمسان سنة 1736م التي إستمرت إلى غاية عام 1759م، حتى أصبحت تلمسان شبه مستقلة عن السلطة البايلك وقد إنتهج ضدها الباي محمد الكبير سياسة تعسفية، حيث دخل بجيشه التراب المغربي كتهديد للمغاربة، لكن عقد السلم بينه و بين مولاي يزيد عام 1789م[2]،

إلا أن أخطر وأقوى ثورات الطريقة الدرقاوية التي هددت السلطة العثمانية، تلك الثورة التي إندلعت بالشرق واالغرب الجزائري.

2- ثورة الطريقة الدرقاوية بالشرق الجزائري:

أ- شخصية إبن الأحرش و حياته:

إن الثورة التي قامت بالشرق الجزائري هي ثورة "إبن الأحرش" بقسنطينة، هذا الأخير لا تذكر عنه المصادر سوى القليل عن تاريخه، وقد إشتهر بالبودالي أو بالشريف المغربي ،وقال عنه "المزاري"و"الزياني" بأنه "فتى مغربي مالكي المذهب درقاوي الطريقة درعي النسب"[3]، أما "العطار" فقال عنه أنه "رجل مغربي يزعم أنه من شرفاء فاس"[4]، وحسب الأستاذ سعيدوني فإن إنتسابه إلى المغرب لا يعني أنه فعلا من المغرب، بل جرت العادة في هذه الفترة أن كل غريب يدعي النسب و يدعو إلى الطريقة أو حركة ثورية، غالبا ما ينسب نفسه إلى الساقية الحمراء أو منطقة سوس، وهذا حتى يكسب هيبة ومكانة لدى العامة[5].

ب- الظروف المساعدة على الثورة:

إشتهر أمر إبن الأحرش بعد رجوعه بقافلة الحج التي قادها من المغرب عام 1804م[6]، وقد صادف عند مروره بمصر الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون، حيث إنظم مع جماعة من المغاربة إلى الجنود المصريين، وقد أكسبته مشاركته ضد الفرنسيين

---

(1) - DEPONT /COPPOLAN, Op.cit, p213.

(2) - BOYER, Contribution…, p35.

(3) - المزاري ، المصدر السابق ،ص299 - الزياني ، المصدر السابق ،ص27.

(4) - العطار، المصدر السابق، 46.

(5) - سعيدوني ،"ثورة إبن الأحرش بين التمرد المحلي و الإنتفضة الشعبية" .**الثقافة** عدد 78، 1983 ،ص201.

(6) -GARROT, Op.cit, p621.

شهرة لما أبداه من شجاعة[1]، وهنا تشير الروايات الفرنسية إلى بداية الإتصال بين إبن الأحرش و الإنجليز الذين قدموا له عدد من السفن لنقل الحجاج المغاربة إلى بلادهم ،كما أغروه بالهدايا و الأسلحة للثورة ضد العثمانيين و هذا من أجل القضاء على المصالح الفرنسية بالجزائر[2]، و من جملة ما قدم له بندقية ذات ثلاث طلقات[3].

وهي من المخترعات الحديثة آنذاك، وحسب الأستاذ "الزبيري" فإنه لا نستبعد دور بريطانيا في تشجيع إبن الأحرش لأنها كانت تحسد فرنسا على الإمتيازات التي حظيت بها في الشرق الجزائري[4]، لأن التنافس كان شديدا بينهما بهدف إكتساب مناطق نفوذ وإمتيازات في الجزائر[5].

كما أن إبن الأحرش كان يردد دوما أن الإنجليز أصدقاؤه وهم من حرر أرض مصر من الفرنسيين وأن الله "أمرني أن أعاملهم بالحسنى وأن أتبع خطواتهم ..." [6]، وهذا ما طبقه فيما بعد حيث أمر أتباعه بإحترام سفن الإنجليز الذين إستطاعوا إقناعه بتواطئ الداي مع فرنسا لذا عليه القيام بالحرب ضده لأنها واجب ديني وجهاد مقدس[7].

وما يظهر لنا الدور الأجنبي و علاقته بثورات القرن 18م ما تبرزه إحدى الوثائق الإسبانية :"إن حماس العرب للإستقلال هو نفسه في كل جهة، و لايرغبون في غير ذلك معتمدين على مساعدتنا و مساعدة إنجلترا حسب الرسائل التي نتسلمها منهم، وهم يعرضون علينا مقابل هذه المساعدة تسويق جميع منتوجات هذا البلد.." [8].

وحتى فرنسا التي كانت تحظى بإمتيازات بالجزائر فإن قنصليتها قامت بعمليات تجارية كإستراد الأسلحة و بيعها للقبائل القاطنة بالشرق الجزائري تشجيعا لها على التمرد و الثورة[9].

إضافة إلى الدورالذي لعبته فرنسا وإنجلترا فلا يمكن أن ننكر و نتجاهل كذلك الدور الذي لعبته تونس و المغرب في الثورات التي قامت ضد العثمانيين بالجزائر، رغم محاولات الدولة العثمانية التوسط لفض النزاع بين الجزائر و تونس، مذكرة إياها بضرورة الإتحاد

---

(1) –الزهار، المصدر السابق ،ص85- الجزائري محمد عبد القادر ، المصدر السابق ،ص117.
(2) –MERCIER, Histoire d'Afrique …, p457.
(3) –MERCIER, Histoire de Constantine, p309.
(4) -الزبيري ، التجارة الخارجية ...،ص29.
(5) - سعيدوني :ثورة إبن الأحرش ...،ص215 -الغالي ، الثورات الشعبية ، ص160.
(6) - FERAUD, Histoire des villes…Gigilli, p19
-FERAUD, "Histoire de DJEDJEL" **in R.N.S.A.C,** 1870, p189.
(7) - الميلي ،المرجع السابق،ص253.
(8) -بلحميسي،"الثورة على الأتراك في الجزائر"–شواهد مشتقات من رسائل إسبانية منشورة، **الثقافة** عدد 48 ،1978 ،ص47.
(9) - الزبيري، " مقاومة الجزائر للتكل الأوربي قبل لإحتلال" ،**الأصالة** عدد12 1983،ص14.

لمواجهة الأخطار الخارجية[1] و في هذا الشأن يذهب صاحب تحفة الزائر إلى القول بأن: "إبن الأحرش "عندما كان راجعا من مصر لقيه صاحبها "حمودة باشا" الذي أكرم منزلته وفاوضه في القيام على حكومة الجزائر ووعده بالمظاهرة بالمال فا ستكان له إبن الأحرش[2]،أما الزهار فيذكر أن باي تونس حمودة باشا إستقبل الأحرش و أكرمه، وأوعز له بإمكانية القيام على حكومة العثمانيين ووعده بالمساعدة، وقد أورد ذلك بقوله :"و بلغ خبره الأمير تونس يومئذ حمودة باشا، فبعث له و إستقدمه، فلما قدم عليه لقيه بالبشر،وعظمه...وأحسن إليه لكي يؤنسه،... وكانت عند حمودة باشا دسيسة في خاطره على ملوك الجزائر ...و وسوس له قائلا: أن رجلا مثلك شجاعا أو كلام بهذا المعنى يجب أن يذهب إلى ملك الترك (بالجزائر)، و ينزعه من أيديهم، ونحن نمدك بما يخصك، و العرب يتبعونك لكثرة ما ظلمهم الأتراك، وكان مقصد حمودة باشا أن يشغلهم عنه لا غير. [3] فمن خلال رواية الزهار نلاحظ أنه يفسر لنا الأسباب التي دفعت حمودة باشا إلى تحريض إبن الأحرش ضد العثمانيين حتى يصرف نظرهم عنه، و كما أننا لا نستبعد هنا أن يكون إبن الأحرش قد اطلع وتأثر بمناشير الوهابية المناهضة للعثمانيين.

3- __الاستعداد للثورة__:

بعد هذا بدأت مرحلة أخرى من حياة إبن الأحرش استهلها بالتعرف على مدينة عنابة التي نزل بها، ثم رحل إلى مدينة قسنطينة و بعدما أطلع على أحوالها توجه نحو جيجل حيث بدأ يخطط لثورته و يتصل بالقبائل القاطنة بين جيجل و القل وميلة، ولم يلبث أن إكتسب الأنصار وكان من بين مناصريه قبائل عيدون وبني مسلم و بني خطاب. [4]

ومما ساعده على كسب تأييد هذه القبائل لدعوته إستقراره بزاوية "سيدي الزيتون" ناحية جيجل التي كان يقدم فيها دروسا لتفقيه الناس ثم تأسيسه لمعهد "بني فرقان" نواحي جيجل لتلقين العلوم الدينية، وفي هذا المعهد كشف عن مشروعه الرامي إلى الثورة ضد العثمانيين حتى يخلصهم من ظلمهم ،وكان هذا بعدما لمس المآزرة القوية من طرف هذه القبائل. [5]

([1]) -العقاد صلاح المغرب العربي، ص56.

([2]) الجزائري محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص117.

([3]) - الزهار، المصدر السابق ،ص85.

([4]) -العنتري محمد الصالح ، مجاعات قسنطينة ،تحقيق و تقديم رابح بونار ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974، ص29.

-DE GRAMMOND, Op.cit, p36. FERAUD," L´ Oued –Elkebir, et collo" in **RA** n°03 1858/59, p202.

([5]) FERAUD ," Les cherifs kabyles de 1804 -1809 dans la province de Constantine" in **RA** .n°13 1869, p217.

ومما زاد من شعبيته لجوؤه إلى إقناع الناس بصحة وشرعية دعوته بإعتماده لمختلف الوسائل حيث ادعى أنه المهدي المنتظر[1]، وصاحب الوقت (ولي) وهو المنقذ لهم، وبواسطته سيمكنهم الله من العثمانيين، حيث أنه وأثناء إحتفال ديني أين تجمع فيه عدد كبير من القبائل "بواد الزهور" أوعز إلى أحد أتباعه بأن يدخل في قبر أعد خصيصا لذلك و يخاطب الناس منه لإتباع أوامره، وقد إنبعث هذا الصوت من تحت الأرض قائلا:" الوقت قد حان الله سيبعد عنكم الطغاة، محمد بن الأحرش سيكون محرركم، معلم الوقت، إنهضوا جميعكم سيعيد لكم بونة قسنطينة و حتى الجزائر" وحسب "بربر وجر" (Berbrugger) و نتيجة لهذا سقط الجميع راكعين على الأرض[2]، كما أوهم الناس أن البارود لا يصيب أتباعه بل يصير ماء في بنادقهم وأن دعواته مستجابة و النصر يتبعه حيثما ذهب[3]، وهذا ما دفع ببعض الكتاب إلى القول أنه كان صاحب شعوذة وحيل رأت منه الناس العجائب، فأعطوه البيعة وإمتثلوا لأوامره.[4]

و زيادة على هذا فإن المصادر تشير إلى أنه كان يتصف بالحيلة والطموح ويشتهر ببلاغة أسلوب و فصاحة لسانه في مخاطبته الناس و قدرته على الإقناع. [5]

كل هذه العوامل كانت وراء تقدير الناس له و إلتفافهم حوله، خاصة بعدما أعلن الجهاد ضد النصارى ،حيث كان يمارس القرصنة بجيجل حسب ما ذكره فايسات[6].

ولهذا الغرض سلح عدة سفن بميناء جيجل لمراقبة السفن الفرنسية المترددة على سواحل القل، وجيجل لصيد المرجان و التجارة وقد تمكنت إحدى سفنه في شهر جوان عام 1803م من الإستيلاء على إحدى السفن الفرنسية و قتلوا بعض بحارتها و أسروا منهم (34) بحارا[7] و قد حاولت حكومة الداي إسترجاع الأسرى، لكنها فشلت وعاد بحارتها إلى مدينة الجزائر[8]، فبعث له الباي صندوقين مملوءين بالهدايا مع شخص يدعى "الحسن بن تليلان" الذي أعماه الطمع وأراد فتح أحد الصناديق الذي إنفجر بين يديه[9]، ولما سمع إبن الأحرش بما جرى إعتبرها خديعة وأعدم عددا من الأسرى[10].

([1]) - المزاري ، المصدر السابق ص299.

([2]) - BERBRUGGER ," Un cherif kabyle" in **RA** N°3, 1858 ,p210.

([3]) - العنتري ،مجاعات قسنطينة ،ص29.

([4]) - المزاري ، المصدر السابق ,ص 300- الزياني : المصدر السابق ,ص208.

([5]) - سعيدوني ،ثورة إبن الأحرش،ص 202- الغالي ،الثورات الشعبية ،ص162.

([6]) - VAYSSETTE, Histoire des derniers beys, p259

([7]) - BERBRUGGER, Op.cit, p211.

([8]) - الغالي، الثورات الشعبية، ص163.

([9]) -FERAUD, Zebouchi et Osman …, p126.

([10]) - الغالي، الثورات الشعبية، ص163.

و الواقع أن إبن الأحرش إستطاع الوصول إلى هدفه بإستعمال أساليب بسيطة تتوافق وعقلية سكان الريف، فإستطاع توجيهها لخدمة حركته و إكتسب بذلك أتباعا مخلصين له، مؤمنين بقدراته(1)، حتى ذهب البعض منهم إلى القول بأنه بإمكانه تحويل التراب إلى ذهب. (2)

د- <u>الهجوم على قسنطينة عام 1803م</u>.

لما أحس إبن الأحرش أن الظروف كانت مواتية لإعلان الثورة خاصة بعد إنسحاب الحامية العسكرية من مدينة جيجل من دون أن تبدي أي مقاومة(3)إضافة إلى كثرة عدد أنصاره وحسب " العطار" قدر عددهم بمائة ألف رجل قادر على حمل السلاح.(4)

و أول ما قام به إبن الأحرش هو إخضاع مدينة القل، ثم مدينة عنابة التي إنسحبت منها الحامية العسكرية نحو قسنطينة بعدما علمت بعزمه على مهاجمتها(5).

بعدها إتجه إبن الأحرش نحو مدينة قسنطينة مستغلا غياب الباي عصمان في إحدى حملاته لجباية الضرائب بناحية سطيف، وقد حاصر المدينة بقوة تبلغ العشرة آلاف محارب(6) في حين قدرها "دونوفو" (De Neveu) بعدد يتراوح ما بين عشرة آلاف والإثنى عشر ألف محارب(7)، في حين قدرها البعض بستين ألف رجل (8).

ولما وصل إبن الحرش إلى مشارف المدينةأرسل إلى أهلها يطلب منهم تسليمها لكنهم رفضوا طلبه وقالوا له:" لا نسلم مدينتنا و سنقتلكم عن آخركم أو نموت عن آخرنا"(9)، وقد خرج للتصدي له قائد الدار "الحاج أحمد بن الأبيض" الذي تراجع ومن معه عندما إزداد ضغط أنصار إبن الأحرش و تحصنوا داخل المدينة للدفاع عنها(10)، وكاد إبن الأحرش أن يستولي على المدينة لولا الفوضى التي حدثت بين أنصاره الذين إنشغلوا بنهب كل ما وجدوه متجاهلين نصيحة إبن الأحرش بتجنب النهب و الفوضى والإكتفاء بفتح المدينة فقط(11).

---

(1) -سعيدوني ، ثورة إبن الأحرش ،ص213.

(2) - FERAUD,L´ Oued .El kebir …, p202.

(3)- الغالي، الثورات الشعبية، ص163.

(4)- العطار، المصدر السابق، ص46.

(5) -BERBRUGGER, Op.cit, p21.

(6) –العنتري، مجاعات قسنطينة ،ص30- MERCIER, Histoire de Constantine ,p485.

(7) –DE NEVEU, Op.cit, p126

(8) –VAYSSETTE, Histoire des derniers beys, p263- DE GRAMMONT, Op.cit, p363 – MERCIER, Histoire de Constantine, p314- LIOREL, Op.cit, p139.

(9) - BERBRUGGER, Op.cit, p212.

(10) - العنتري ، "مجاعات قسنطينة "، ص30

(11) - DE GRAMMONT, Op.Cit ,p363 –DE NEVEU ,Op.Cit ,p126

سعيدوني ،" ثورة إبن الأحرش" ،ص205.

وفي هذه الظروف شرع قائد الدار و الشيخ سيدي محمد الفكون بإطلاق المدافع التي شتت صفوف الثائرين وقدرت خسائر إبن الأحرش بحوالي مائتي رجل لهذا أمرأنصاره بإعادة الهجوم ليلا لكنه أصيب بجرح خطير مما إظطره إلى الإنسحاب إلى وادي الزهور. (1)

هـ - معركة واد الزهور:

لما وصل خبرالهجوم على قسنطينة إلى الباي الذي كان يجوب البلاد في المحلة الفصلية(2)، عاد إلى المدينة باشر بتنظيم قواته لملاحقة إبن الأحرش خاصة بعدما وصله خطاب الداي الذي كان مهددا له، حيث يأمره فيه بالقضاء على إبن الأحرش ويشير"فايسات" (Vayssette) لما جاء في رسالة الداي للباي من خلال قوله:"لقد عيّناك بايا على المنطقة وعليها ظهر الثائرو عليك السير إليه بنفسك و الإنتقام منه،...و لا تتركه حتى تأتيني برأسه أو لن تبقى في إقليمك"(3) في حين "إسترهازي" (Esterhazey) يقول أن ما جاء في الخطاب و بصريح العبارة "رأسك أو رأس إبن الأحرش"(4)، فغادر الباي في شهر أوت عام 1804م المنطقة متجها نحو وادي الزهور على رأس قوة تقدر ب4000 جندي و 3500 مقاتل من القبائل المخزنية و 4 مدافع(5).

أما إبن الأحرش فقد إنظم إليه مرابط يدعى الزبوشي*، وهذا بعدما نزع منه الإمتياز الذي منحه إياه بايات قسنطينة، وقد أقسم هذا المرابط على أنه عند القبض على عصمان باي سيضع رجله على "عينه العوراء" و قد وفى بوعده حسب "فيرو" (Feraud) عندما وقع الباي بالمستنقع(6).

وبتحالف الزبوشي مع إبن الأحرش إلتفت القبائل أكثر حول هذا الأخير و ربما يعود هذا إلى كون الزبوشي إبن المنطقة وإبن الأحرش غريب عنها(7)، ثم أن الباي عصمان إغترى بكلام المرابط بن بعريش من بني صبيح وهو صديق للزبوشي، بإرشاده إلى مكان إبن الحرش وقد هون عليه أمر القضاء عليه، وأكدله نفور القبائل منه، وقد إنطلت الحيلة

---

(1)- العنتري ، مجاعات قسنطينة ،ص14- شعيب ، المرجع السابق،ص391- DE NEVEU ,:Op.cit ,pp127-128

(2)- العطار، لمصدر السابق ،ص13 . - DENEVEU, Op.cit, p129.

(3) –VAYSSETTE, Histoire des derniers Beys, p262.

(4) –ESTERHAZY, Op.cit, p201.

(5) –DENEVEU, Op.cit, p130 - FERAUD, L'Oued - El kebir, p203.

*مرابط رحماني الطريقة مشهورة "برجاس" ناحية ميلة ، كان ناقما على العثمانيين خاصة بعدما إنتزعوا إمتيازاته –توفي سنة 1810م.

(6) -FERAUD, Zebouchi et Osman bey, p126. - FERAUD, Histoire des villes… Gigilli, P213.

(7) - FERAUD, Zebouchi et Osman, p126-MERCIER, Histoire de Constantine, p317.

على الباي بعدما قدم له بعض أفراد تلك القبائل الذين أظهروا له الطاعة، وطلبوا منه الإمداد وقالوا" إبعث معنا الخيل، نمسكو الشريف، و نأتوك به، و ذلك مكروخديعة ..." [1]

فأرسل الباي فرقة عسكرية قدرت ب200 فارس يقودها آغا المحلة إلى ناحية واد الزهور،لكن هذه الحامية وجدت نفسها محاصرة من طرف القبائل و مات العديد منها بسبب الكمين الذي خططه لها" إبن بعريش "الذي قتله الباي عقابا على خيانته. [2]

ولما وصل خبر محاصرة الفرقة إلى الباي سار لنجدتها، وقد ساعدته على فك الحصار عنها المدافع، رغم تعرضه لمناوشات القبائل كبني عيدون و بني مسلم ...ولما أراد التراجع لم يستطيع لأن الطريق كان قد سد بالأخشاب و الحواجز، مما إظطره على أن يمر بسهل واد الزهور، وهنا قام إبن الأحرش بتحويل مجرى الواد نحو معسكر الباي الذي تحول إلى مستنقع و يصف لنا صاحب تحفة الزائر هذا بقوله:"فأمر إبن الأحرش بالنهر فسد ثم أطلق على المعسكر أول الليل فلما طلع الفجر إلا و الماء قد عم السهل كله[3].أما العنتري فيقول:"أنهم حولوا من ميل الواد المذكور عن مجراها ...إلى المرجة التي بها المحلة وأهلها لم يشعروا بتلك المكيدة حتى أدركهم الغرق[4]، وقد حاول الباي فك الحصار المضروب عليه، فلم يجد مسلكا إلا طريق ضيق وصعب يعرف بممر "بوغدر" حيث سقط، وهناك إغتنم الفرصة الزبوشي الحاقد عليه، وطعنه بسيفه، وداس على عينيه كما وعد لحرمانه من إمتيازاته، و بقيت جثته خمسة أيام في المستنقع ثم، اخرجها أولاد عواظ من عشيرة العرابة ودفنوه، وأقاموا على ضريحه قبة صغيرة[5]، إعتقادا في صلاحه بعدما رأى بعض الناس ضياءا في المكان الذي قتل فيه[6]، وقد قتل معه 500جندي وثلاثة من نوابه دون إحصاء فرسان قبائل المخزن[7]، إضافة إلى سلب الأموال التي أخذها معه[8].

ولما وصلت أخبار مقتل الباي و تشتت قواته إلى دار السلطان، عزم الداي مصطفى باشا الذهاب بنفسه للقضاء على إبن الأحرش، لكن غير رأيه بعدما أقنعه رجال ديوانه بعدم المخاطرة ،فأرسل الحاج علي آغا على رأس جيش برفقة الباي الجديد عبد الله بن إسماعيل

([1]) -العطار، المصدر السابق، ص47.

([2]) -FERAUD, L'Oued -Elkebir, p203.

([3])- العنتري، نفسه، ص33

([4]) – الجزائري محمد عبد القادر، المصدر السابق ،ص117.

([5]) - العنتري ،مجاعات قسنطينة، ص32.

([6]) -FERAUD, Zebouchi et Osman Bey, p124.

([7]) - الجزائري محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص118- BERBRUGGER, Op.cit, p213.

([8]) - العنتري ، مجاعات قسنطينة ،ص33.

و كلفه بملاحقة إبن الأحرش[1]، و قد تمكن هذا الباي من إلحاق الهزيمة بإبن الأحرش نواحي ميلة، لكنه ظهر فجأة ببجاية على رأس جيش هام مؤلف من ألفين أوثلاثة ألاف رجل من القبائل القاطن ما بين جيجل و بجاية،محاولا الإستيلاء على بجاية عام 1806م، لكنه هزم ثانية أمام العثمانيين بمساعدة آل المقراني المتحالفين معهم. [2]

وبعد هذه الهزيمة تضاربت الأخبار حول تاريخ ومكان وفاة إبن الأحرش فهناك من يذكر أنه قتل بمكان يسمى "الربطة" قرب سطيف على يد فرق الحامية العثمانية والقبائل المتحالفة معها تحت زعامة آل المقراني[3]، كما يشير "دي غرامو" (De Grammont) أنه في هذه الأثناء ظهر شخص آخر يحمل نفس الإسم إدعى أنه قريب إبن الأحرش، دعى الناس للجهاد، وقد إستمرت حركته مدة أربع سنوات، لتتمكن بعدها القوة العثمانية من القضاء عليه[4]، إلا أن هذا الثائر ظهر من جديد يقاتل في صفوف الثائر الدرقاوي بالغرب الجزائري، حيث شارك مع زميله المدعو الشريف في معركة "عين السدرة" بغريس قرب مدينة معسكر ..وقد أورد هذا الخبر مسلم بن عبد القادر بقوله"درقاوة إجتمعت في معركة يوم السدرة بإغريس ...كان قدوم إبن الأحرش على درقاوة من الشرق، فإزدادوا بقدومه فرحا وسرورا"، وقد شارك إبن الأحرش مع زميله في معركة أخرى عرفت بيوم "إبن الأحرش" والذي قتل فيه جماعة من الطلبة الذين كانوا مع إبن الأحرش[5].

أما عن موته فيذكر صاحب"التحفة "أنه قتل على يد إبن الشريف وقد ذكر هذا بقوله"أن إبن الأحرش بعد قراره ..و إلتحاقه بإبن الشريف في الجهة الغربية، بقي في معيته إلى أن دس له من قتله من أصحابه ونحن وإن كنا نؤكد هذا الخبر إلا أننا لا نستبعده[6]، لأنه كان منافسا خطيرا له، خاصة وأنه أظهر إستقلاله عن شيخ الطريقة الدرقاوية، مولاي العربي، ونقلت جثته إلى مدينة فاس بطلب من السلطان المغربي.[7]

و بالتالي وبالرغم من الصدى الذي لقيته ثورة إبن الأحرش،والتفاف القبائل حوله إلا أنه فشل في مسعاه الرامي إلى الحد من تعسف وظلم العثمانيين، رغم الأساليب التي إعتمدها لكسب القبائل بالشرق الجزائري إلاأن تبنيه للطريقة الدرقاوية لم يمكنه من إيجاد أنصار أكثر

([1]) -BERBURGGER, Op.cit, p213.

([2]) -ابن سحنون ، المصدر السابق ،ص 43 - VAYSSETTE , Histoire de Constantine, p 480. –.
VAYSSETTE ,Histoire des derniers beys p 265 . FERAUD ,Histoire des villes … Bougie p 215.

([3]) - VAYSSETTE ,Histoire de Constantine ,pp479,480.
FERAUD,Histoire des villes …Gigilli,p210 FERAUD ,Les cherifs Kabyles …,p222.

([4])-DE GRAMMOND, Op.cit, p 364.

([5]) - مسلم عبد القادر، المصدر السابق ،ص95.

([6]) – الجزائري محمد بن عبد القادر ، المصدر السابق،ص118.

([7]) - إبن سحنون ،المصدر السابق ،ص43.

ولاء له، خاصة وأن الشرق الجزائري كان أغلب سكانه ينتمون إلى الطريقة الرحمانية المهادنة للحكام العثمانيين[1] فلم ينضم إليه من شيوخ الزوايا والمرابطين إلا من كان معاديا للسلطة وناقماعليها مثل المرابط الزبوشي، و المرابط بن بعريش و المرابط بن بركات الذي جند القبائل المجاورة لبجاية.[2]

كما وأن عدم إغتنام بن الأحرش فرصة مقتل الباي، وتشتت قواته بواد الزهور "للقضاء على سلطة البايلك سمح لحكومة الدايات بإعادة تنظيم نفسها وإرسال الإمدادات إلى قسنطينة ثم عزل إبن الأحرش عن أغلب القبائل التي ساندته أول الأمر بتقديم المكافآت و الهدايا لأعيان المدن و شيوخ القبائل و الزوايا[3]، إضافة الى نفور سكان المدن من إبن الأحرش، إذ كانوا منغلقين على أنفسهم مترفعين عن أهالي الريف، الذين كانوا يرون في سكان المدن، أعوانا للبايلك[4]، ولنا في الحوار الذي دار بين أنصار إبن الأحرش و سكان مدينة قسنطينة بعدما حاصرها وطلب منهم تسليمها وبعد رفضهم نجد هم يتبادلون الشتائم حيث أورد"العنتري" على لسان أنصار إبن الأحرش قولهم لسكان المدن " أه يالبلدية سترون ما نصنع بكم حيث عصيتم سيدي عبد الله."[5]

و بالرغم من القضاء على هذه الثورة إلا أنها خلفت آثار سلبية على أوضاع البلاد لما حل بها من محن، وهو ما يؤكده العنتري بقوله "فحصلت للناس شدة ومجاعة، قد أشرف فيها الضعفاء على الهلاك ..و تفرقوا بسبب الهول الواقع"[6]، و لا يختلف عنه الزياني و مسلم بن عبد القادر أو الزهار الذي يصفها "بنار الفتنة"[7].

3- الثورة الدرقاوية بالغرب الجزائري:

أ- إبن الشريف و إستعداده للثورة:

ينسب المؤرخون الثورة الدرقاوية بالغرب الجزائري إلى "محمد بن عبد القادر بن الشريف الفليتي" الذي يعود أصله إلى قبيلة "كسانة" القاطنة بوادي العبد جنوب سهل غريس[8] وقد درس مبادئ اللغة العربية في مسقط رأسه في قرية "أولاد بليل" ثم إلتحق

---

(1) -سعيدوني ، ثورة إبن الحرش ،ص216.

(2) – DE GRAMMONT, Op.cit ,p364 التر‌عزيز سامح ،المرجع السابق ،ص587_

(3) - سعيدوني ،ثورة إبن الأحرش ،ص218.

(4) - نفسه ،ص219.

(5) -العنتري ، مجاعات قسنطينة ،ص41.

(6) -نفسه ،ص33.

(7) - الزهار، المصدر السابق ،ص87.

(8) -المزاري ، المصدر السابق ،ص301 . - مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص49.

بمعهد القيطنة التابع للطريقة القادرية، الذي كان يرأسه الشيخ محي الدين والد الأمير عبد القادر(1)، بعدما رحل إلى المغرب حيث درس بزاوية الشيخ محمد العربي ببني زروال، الذي لقنه مبادئ الطريقة الدرقاوية،وبعدما أجازه عاد إلى مسقط رأسه لتلقين مبادئ الطريقة، بعدما عينه شيخه مقدما لها. (2)

كان عبد القادر بن الشريف يجول البلاد باثا تعاليمه التي وجدت صدى كبيرا في أوساط السكان، وخاصة سكان الصحراء الذين كانوا يقدمون له الهدايا(3)، و في هذا الشأن يقول الزياني:"...كلها شعيته تهدى إليه الهدايا وتعطي العطايا ... (4)، التي كانت تشكو له الظلم الذي أصابها من جراء الضرائب، و المغارم المفروضة عليها، وكان هو بدوره ينقل إلى شيخه ما كان يلقاه أتباعه من إهانة وجور العثمانيين وقد نقل لنا الزياني هذا بقوله "ياسيدي إن بوطننا قوما يقال لهم الترك...يظلمون الناس، ولا يعبئون بالعلماء و الأولياء، نسأل منكم أن يكون هلاكهم على يدك ليستريح منهم العباد وتطهر منهم البلاد فقال له شيخه:"عليك بجهادهم و قتالهم و إن الله ينصرك عليهم..."(5) و في رواية أخرى للمزاري ومسلم بن عبد القادر كان يقول له شيخه:"أنصرهم و الله ينصرك عليهم"(6) وكان ذلك عهد الباي مصطفى الذي تميز بنهب أموال الناس، و كرهه لمشاييخ الطرق(7)، و هو الذي قال فيه أحد الأولياء "سيأتي الحاج مصطفى العصي هو فوق الكرسي و الناس تعصي". (8)

و قد إستغرقت مرحلة الإعداد للثورة ،وجمع أكبر عدد من الأنصار مدة خمس سنوات (1800-1805م)، ولما أتم إستعداده صادف هذا إنهزام إحدى المحلات العثمانية أمام قبائل الأنجاد المتمردة ضدهم، وقد إستغل إبن الشريف هذا الوضع ليعلن الثورة فتوجه

- ابن سحنون، المصدر السابق، ص39.

(1) - الجزائري محمد بن عبد القادر ، المصدر السابق ،ص 115.

(2) - الناصري أبو العباس السلاوي، الإستقصا في أخبار المغرب الأقصى .تحقيق و تعليق و لدي المؤلف جعفر الناصري –محمد الناصري ،دار الكتاب، الدار البيضاء ، 1956،ص109.

(3) - الزياني،المصدر السابق ،ص208-المزاري ،المصدر السابق ص 302

-مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق ،ص72.

(4) - الزياني ، المصدر السابق ،ص208.

(5) - نفسه ،ص208.

(6)- المزاري ، المصدر السابق ن303 -مسلم بن عبد القادر :المصدر السابق ،ص72.

-DELPECHE (A.)," Le soulevement Derkaoua de la province d'Oran de 1800-1813" in **RA** N°18,1874, p41.

(7) حمدان خوجة، المصدر السابق ،ص168.-

(8) - الزياني، المصدر السابق ،ص208.

*هو واد يمر عبر مدينة غليزان و يصب في نهر الشلف.

برجاله نحو البطحـاء قـرب واد مينا* حيث كان معسكره، وهنا وقعت إصطدامات بينه وبين رجال الباي مصطفى العجمي وسميت هذه الواقعة"بواقعة فرطاسة"[1].*

ب- __معركة فرطاسة:__

كانت هذه الواقعة بداية للثورة الدرقاوية بالغرب الجزائري بحيث لما وصل إبن الشريف إلى واد مينا أذن لأتباعه نهب أموال وممتلكات محلة الباي، والقبائل المؤيدة لها و لما بلغ الخبر الباي، جمع عسكره وعاد طالبا إياه فإلتقيا "بفرطاسة" عام 1805م، حيث إشتد القتال بينهما وهزم الداي وفرق جيشه الذي طارده الدرقاوي حتى أسوار معسكر[2]، و قد جسد لنا الشعر الشعبي هذه الواقعة بالأبيات التالية:

فرطاسة يومها ترى الجنود بـه	ما بين قتلى و أسـرى غير ناجينا
فالباي جاء بجيش لانفاذ لـ ـ ـه	به يريد لقـ ـاء العدو غير باغينا
فلم يحقق له مسعى ولا أمـ ـل	بل باء ضـده صفر الكف باكينا.
فاليوم إبن الشريف عـ ـز فيـه	على باي لأعاجم لولا الدين لادينا[3]

كما سجل هذه الواقعة الشاعر الشعبي بوعلام الطيب السحراوي "بقوله:

كي قصة الجواد مع الأتراك لنوبة	يوم أن فزعهم إبن الشريف أوجاوا
ذوك أتراك الكرسي دهرفاتوا رهبة	قالوا الأجواد على حرمانا نزكاوا
إنهزموا الأتراك أوسلموا في الضربة	أهل العدة البيضا كمل اتعروا
و الخيل تصادي هذا يرد لذاك	نحو الجزائر رسلوا برية مطبوعة
خط الخوجة خط حديث كان أوصار	الباشا مبهوت صادفته خلعة[4].

كما نجد أحدهم يقول:

فيوم فرطاسة يـ ـ ـوم كبير	ذلّ فيه العزيز و عز الحقير
لقد هيا مصطفى جيشا كبيرا	تركا ومخزنا الملاك الجديد
فلم تك ساعة إلا و إنهزموا	من جيش قليل هيأه الفقير[5].

([1]) - DELPECHE, Le soulèvement, pp42, 43 - BOYER, Conribution …p 42.

* هو مكان بين واد مينة و واد العبد جنوب مدينة غليزان .

([2]) - مسلم بن عبد القادر،المصدر السابق، ص73 –الزياني، المصدر السابق ،ص210

-إبن سحنون ،المصدر السابق ،ص40 . DELPECHE, Le soulévement …, p43 .

([3]) -المزاري، المصدر السابق ،ص304 - الزياني ،المصدر السابق ،ص211.

([4]) - الزياني، نفسه، ص 211 -المزاري،المصدر السابق ،ص304.

([5]) -المزاري، نفسه، ص305.

أما مسلم بن عبد القادر فقد وصف هذه المعركة و مانتج عنها بقوله : "فأمسى الباي ومخزنه في نكد و أصبح الدرقاوي و أتباعه في رغد ..." [1].

كما لخص لنا الشاعر الشيخ بوعلام بن الطيب السحراوي الخسائر البشرية التي خلفتها المعركة في صفوف العثمانيين.

دار الذيب العولة من لحم الأتراك   لمعسكر روحْ ذاك الشريف الحسني[2]،

وعلى إثر هذه الهزيمة فر الباي مصطفى إلى معسكر ثم إلى وهران وأمر بغلق أبواب المدينة خلفه[3]، وقد ترتب عن هذا الإنتصار إنضمام القبائل المترددة، كما تمكن إبن الشريف من الدخول إلى معسكر دون أية مقاومة[4]، حيث جعل منها مقرا له ولعائلته ،بعدها كاتب القبائل لتعلن الجهاد ضد العثمانيين و المواليين لهم، وطلب منهم مبايعته.

وقد جاء في "دليل الجيران ..." ما نصه "قد نزعنا عنكم ظلم الترك و الذل....و المغارم و المكوس فالواجب عليكم مبايعتنا فوافقه جم غفير، وخلق كثير". [5] وقد كان لهذا النداء صدى كبير لدى القبائل حيث إنضمت إليه قبائل المخزن نفسها مثل قبيلة الحشم، الزمالة، الغرابة الدواير. [6]

وقد إمتد لهيب هذه الثورة من مليانة إلى غاية تلمسان، وهنا بدأت الحاميات العثمانية في الإنسحاب نحو المناطق الساحلية حيث إنقطعت كل الطرق ماعدا الطريق البحري الذي كان المنفذ الوحيد لوصول الإمدادت إلى وهران[7] التي حاصرها إبن الشريف[8].

وكادت هذه الثورة في مرحلتها الأولى أن تقضي على الوجود العثماني بالمنطقة لو لا تدخل الداي الذي بعث جيشا بقيادة مستشاره "علي آغا" من أجل فك الحصار على وهران،لكن إعترضت طريقه قبائل نواحي وادي الشلف، ولم تتركه إلا بعد ما دفع لها المال، بعد تدخل أحد مرابطي منطقة العطاف، ليعود الجيش إلى مدينة الجزائر[9] دون أن يتمم مهمته.

([1]) مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص73.

([2]) -إبن سحنون ،المصدر السابق ،ص41.

([3]) - مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص 73   ESTERHAZY , Op.cit ,p202.

DELPECHE, Les soulévement …, p43

([4]) - ESTERHAZY, Op.cit, p202s

([5]) -الزياني، المصدر السابق ،ص 209. - مسلم بن عبد القادر،لمصدر السابق ،ص73.

([6]) - DELPECHE, Le soulévement …,p44. -CAPORAL(X.) , Oran capitale du Beylik de l’ouest 1792 -1831, pp50, 51.

([7]) الجزائري محمد بن عبد القادر ،المصدر السابق ،ص 15 .   BOYER, Contribution ,p43

([8]) -مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق ،ص74.   - السلاوي ، المصدر السابق ،ص109.

([9]) - الجزائري محمد بن عبد القادر ، المصدر السابق،ص115.

جـ - دور المغـــرب:

بعد عجز العثمانيين عن القضاء على الثورة راسلوا السلطان المغربي مولاي سليمان للتدخل وإرسال الشيخ مولاي محمد العربي الدرقاوي لتهدئة الأوضاع[1]، وإعتمادا على الرسائل التي دارت بين السلطان المغربي وشيخ الطريقة الدرقاوية، فالسلطان كان على إستعداد للتدخل عسكريا في الجهة الغربية للجزائر، سعيا منه لتحقيق أغراضه التقليدية الرافضة للسيادة العثمانية،منهاالرسالة التي بعثها السلطان مولاي سليمان إلى الشيخ الدرقاوي و التي جاء فيها :"...وقررت إرجاء المسألة التي تعرفها وقررت أن لا أباشر فيها إلا بعد فصل الشتاء لأن الطرق...صعبة و الأودية مرتفعة المستوى...وفي الربيع القادم سوف آتي أنا بنفسي مرفقا بعساكري الظافرة لمتابعة مشاريعي ...وعليك بإخبار سيدي عبد القادر ...بالإلتحاق بي حينما يسمع بوصولي إلى مدينة وجدة "[2].

كما أنه كان راضيا لمبايعة سكان تلمسان له بإتفاق مع إبن الشريف بعد خلع الطاعة من سلطة البايلك،و مبايعة السلطان المولى سليمان ،لهذا فتح سكان تلمسان باب المدينة إلى إبن الشريف و طائفته وأخذ البيعة بها للسلطان وخطب له على منابرها، ووجه وفدا وهدية إلى السلطان مع شيخه أبي عبد الله"[3].

وقد رد عليه السلطان المغربي برسالة جاء فيها:"...وصلتني رسالتك واسأل الله أن يجازيك على أفعالك الحسنة اتجاه المسلمين الذين لا نرجوا لهم إلا السلام والطمأنينة ...وعندما تأتي لزيارتي سأطلب رأيك فيما يجب إتخاذه و عمله في البلاد التي أنت فيها"[4].

و بالرغم من أن مولاي سليمان كان متورطا في هذه الثورة إلا أن المغاربة ينفون هذا، ويرون أن السلطان لما قدم إليه الوفد الذي يحمل بيعة سكان تلمسان كل ما قام به هو المصالحة بينهم و بين السلطة العثمانية و بعمله هذا يكون قد سلك في حق الأهالي و في حق السلطة مسلكا هو أرفق بالجميع" على حد تعبير صاحب الإستقصا"[5]، بالرغم مما أورد ه هذا المؤرخ المغربي إلا أننا نلاحظ رفض المغاربة للعثمانيين منذ بداية تواجدهم على شمال الإفريقي، ورفضوا سيادتهم للعالم الإسلامي عامة، و حاولوا ضم الجزائر وتونس تحت رايتهم و هذا ما أشار إليه التمغروطي بقوله:"و العثمانيون إنما حملوا الإمارة و قادوا الأمر

---

(1) - الجيلالي،المرجع السابق ،ص 290. - DELPECHE ,Le soulévement ..,p45.

(2) - الغالي، الثورات الشعبية، ص176. ،نقلا عن :

DRAGUE (G.), Esquisse d'Histoire religieuse du Maroc, p235.

(3) - السلاوي، المصدر السابق ،ص110.

(4) - الغالي ، الثورات الشعبية ...،ص177.

(5) -السلاوي، المصدر السابق، ص110.

في الحقيقة نيابة وأمانة يؤدونها إلى من هو أحق بها وأهلها وهم موالين و سادتنا الشرفاء ملوك بلاد المغرب"[1].

فقناعة المغاربة بشرعيتهم في الحكم في منطقة المغرب بدلا عن العثمانيين نظرا لنسبهم الشريف، جعلهم يستغلون المساندة الشعبية لهم بالجزائر، لذا إعتمدوا على الطرق الصوفية التي كانت تنشط بالجزائر والتي كانت على إتصال بالطرق الأم بالمغرب التي كانت تنشر سياسة سلاطين المغرب الرامية إلى إستمالة العائلات الكبرى بالجزائر حيث تمنحهم شهادات الحصانة كضمان لهم عندما يصبحوا حكاما للجزائر[2]وربما يكون هذا ردا على محاولة العثمانيين بسط نفوذهم على المغرب و مدهم يد المساعدة للثائرين على حكامه[3]، وحسب صاحب "الإستقصا" فإن السلطان المغربي وحتى يبدد شكوك حكام الجزائر بتعامله مع إبن الشريف بعث قائده "أبي السرور عياد"إلى تلمسان لتهدئة الأوضاع كما رد الوفد الذي قدم مع شيخ الطريقة أبا عبد الله.[4]

لكن غيره يجمعون على أن السلطان المغربي لما أحس بتحول ميزان القوى لصالح العثمانيين أنكر مبعوثه الذي بعثه إلى الثوار وسارع إلىإرسال رسول آخر إلى تلمسان لإعادة الأوضاع، إلى سابق عهدها كما شجب تصرفات شيخه و مقدمه إبن الشريف[5].

ويرجع هذا التحول لصالح العثمانيين بعد تعيين الباي محمد المقلش سنة 1805م الذي وجد مدينة وهران تحت الحصار الذي فرضه عليها إبن الشريف وإزدياد شدة الثورة بعد زيارة شيخ الدرقاوية لإبن الشريف و بعدما إطلع على ماحل بأتباعه شجعهم على مقاتلة العثمانيين[6].

وبعد هذه الزيارة وحسب ما أورده صاحب الإستقصا..." "...إزدادت العرب بذاك تظاهرا على الترك و تكالبا ..." [7].

لكن الباي محمد المقلش إستطاع قلب الموازين لصالحه، وكان أول عمل قام به هو رفع الحصارعلى مدينة وهران، وإعادة الحياة لها بعدما عاش سكانها أوضاع صعبة، بعدها شرع في إخضاع البايلك و مطاردة الدرقاويين[8]، و قد عمد في سياسته للقضاء على إبن

([1]) - التمغروطي، المصدر السابق، ص47.

([2]) - Cour (A.), L'Etablissement des Dynasties …, p248.

([3]) - IBID, p244

([4]) -السلاوي، المصدر السابق، ص111.

([5]) - الغالي، الثورات الشعبية، ص77. -نقلا عن DRAGUE,Op.Cit, p254

([6]) - المزاري ، المصدر السابق ،ص308-309.

([7]) - السلاوي، المصدر السابق ،ص110.

([8]) – DE GRAMMONT, Op.cit, p365

الشريف إلى الدهاء السياسي وإستعمال كل الوسائل القمعية ضد الدرقاويين، ومصاهرة القبائل الأكثرإتصالا بهذه الثورة"[1]، كقبيلة الحشم الموالية للطريقة القادرية التي كانت ترفض كل منافسة لها من الطرق الأخرى[2]، و المعروف عنها أنها كانت موالية للعثمانيين.

ونتيجة للسياسة التي انتهجها الباي ألحق الهزائم بالدرقاوين منها الهزيمة التي منى بها الدرقاوي الذي فر من وهران نحو معسكرالتي منعه أهلها من الدخول إليها فالتجأ إلى قبائل بني عامر و مجاهر و تحالف معها.و إصطدم مع جيش الباي عند قرية "سيدي بن عودة" في معركة "أولاد زائر" التي راح ضحيتها عدد كبير ..." فكان الجندي يأتي بثلاثة رووس أو أربعة و يضعها بين يدي الباي ..." [3]، وقد وصل عدد الرؤوس حسب المصادر المحلية "ستمائة رأس"بعثها الباي إلى الداي.[4]

وأما معركة "عين السدرة" باغريس وهي التي شاركه فيها"إبن الأحرش حيث هزم فيها الدرقاويون بعد الإمدادات التي وصلت للجيش العثماني[5]، كما هزموا هزيمة كبرى في معركة تافنة المعروفة "بيوم بن الأحرش "و التي ذهب ضحيتها العديد من الطلبة.[6]

و بالرغم من الضعف الذي أصبحت تتميز به هذه الثورة منذ وصول الباي المقاش للحكم إلا أنها إستمرت إلى عهد الباي "علي قارة بغلي" حيث حاول الدرقاوي مع قبيلة الأحرار في الجنوب الوهراني إثارتها ضد السلطة، بعدها رحل إلى "فقيق" بالصحراء، حيث رفضت التجانية إستقباله لأسباب مجهولة[7]، وفي عهد الباي "بوكابوس" وبعد عدة محاولات فاشلة إنسحب الدرقاوي إلى "بني سناسن" حيث أين إلتحق بصهره "أبو ترفاس" و هناك مات بالوباء سنة 1809م[8]، أما أهله فقد إستجاروا بجد الأمير، فعفى عنهم الباي[9].

ويبقى تحديد تاريخ ومكان وفاة إبن الشريف محل خلاف بين المصادر سواء المحلية أو الأجنبية ،فالزياني و مسلم بن عبد القادر يتفقان مع ما ذهب إليه "إسترهازي" (Esterhazy) و"دونوفو" (De Neveu) أن نهايته كانت ببني سنانس جراء الوباء[10]،

---

(1) - الجيلالي، المرجع السابق،ص291.

(2) - الغالي ، الثورات الشعبية ،ص179.

(3) - مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق ،ص85.

(4) -المزاري ، المصدر السابق ،ص 315.-مسلم بن غبد القادر،المصدر السابق ،ص91.

(5) -مسلم بن عبد القادر ،نفسه ،ص95.

(6) - نفسه ،ص96 . BOYER, Contribution …, p43 .

(7) - Ibid, p44.

(8) - ESTERHAZY, Op.cit, p208. –DE NEVEU, Op.cit, p119.

(9) - الجزائري محمد عبد القادر، المصدر السابق، ص115.

(10) - الزياني، المصدر السابق ،ص 227. - مسلم بن عبد القادر ،المصدر السابق،ص96.

أما"دي غرامو" (De Grammont) فيرى أن نهايته كانت عند محاولته إستعادة معسكر عهد الباي المقلش مع عدد كبير من أتباعه(1).

إلا أن هناك بعض المصادر التي تذكر أن الدرقاوي ظهر سنة 1816م وأثار القبائل الصحراوية كقبائل الأحرار لكنه إنهزم و إنسحب نهائيا إلى فقيق(2).

إن هذه الثورة و على الرغم من أنها لم تحقق هي الأخرى هدفها الرئيسي الرامي إلى الإطاحة بالنظام العثماني بالجزائر إلا أنها ساهمت في إضعافه، حيث مهدت الطريق لسقوط الجزائر في يد الفرنسيين بعد سنوات قليلة.

كما أنها إستطاعت التأثير حتى على الحكام أنفسهم مثل الباي "بوكابوس" *الذي تولى الحكم بعد الباي المقلش الذي إنتمى إليها و تحالف مع سلطان المغرب مولاي سليمان الذي ألبه ضد السلطة المركزية(3)، لكنه هو الآخر فشل في ثورته و إنتقم منه الحكام أبشع الإنتقام حيث أمر الباي الجديد بسلخ رأسه حيا وحشوه بالقطن وإرساله إلى مدينة الجزائر(4).

ومن نتائج هذه الثورة كذلك أن ذهب ضحيتها العديد من رجال الدين سواء الذين إستشهدوا في المعارك كالكاتب أحمد إبن هطال التلمساني والعلامة الأديب ابوعبد الله السيد محمد الغزلاوي (5).

ومنهم من لقي حتفه نتيجة الإجراءات القمعية التي إتخذتها السلطة ضد أتباع الدرقاوي كما رأينا سابقا، هذا دون ان ننسى الخسائر الإقتصادية الأخرى التي حدثت جراء النهب و السلب الذي سلكه سواء أتباع الدرقاوي أو رجال المحلة.

وفي الأخير و بالرغم من أن هذه الثورة سواء بالشرق او الغرب و رغم أنها رفعت شعار ات دينية إلا أنها كانت منفذا للرعية للتعبير عن سخطها على الأوضاع الإقتصادية التي تعيشها جراء المغارم و الضرائب.

كما أنه و بالرغم من أن قوى خارجية لعبت دورا كبيرا فيها إلا أن هذا لا يمنع من وجود إستعداد لدى الرعية للثورة ضد السلطة وهذا ما يفسر الإنتشار الواسع لهذه الثورة و إلتفاف الناس حولها بسرعة.

---

(1) -DE GRAMMONT, Op.cit, p365.

(2) - BOYER, Contribution, p43.

*محمد بن عثمان الملقب ببوكابوس أو" الرقيق" تولى الحكم 1808-1813م.

(3) BOYER, Op.cit,p43 .

(4) - المسلم بن عبد القادر ، المصدر السابق ،ص150

(5) - المزاري ، المصدر السابق ،ص304.

II- الثورة التجانية بالجنوب الصحراوي:

أ- بوادر ظهور التجانية :

تنسب الطريقة التيجانية إلى مؤسسها الشيخ أبو العباس أحمد مختار بن مسلم التيجاني المولود بعين ماضي سنة 1150هـ/ 1737م(1).

بدأ دراسته الأولى بمسقط رأسه على يد والده وسيدي محمد بن حموالتيجاني(2)، ولما توفي والده عام 1752م خلفه في منصب التدريس، وقد مال للتصوف وعمره عشرون عاما(3)، بعدها رحل إلى مدينة فاس عام 1758م، حيث إحتك بعلمائها و تعلم منهم الكثير(4)، ومن فاس عاد إلى الجزائرحيث قضى فترة متجولا في الصحراء وتلمسان ليرحل بعدها لتأدية فريضة الحج، وقد مكث بالمشرق سنتين، ليعود ثانية إلى تلمسان التي لم يتمكن من الإستقرار بها لمضايقة باي وهران له(5)، وخلال تجواله هذا تلقى تعاليم الطريقة الخلوتية على مؤسس الطريقة الرحمانية أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان الزواوي الأزهري(6)، كما يذكر "ريني" (Rinn) أنه في طريق عودته من الحج إتصل ثانية بالشيخ الكردي الذي عينه مقدما للطريقة الخلوتية(7).

بعدها عاد إلى الجزائر وإتجه نحو تلمسان ثم إلى الصحراء ومنها إلى قرية سيدي أبي سمغون عام 1782م إذ إجتمع حوله الناس و بقي فيها إلى غاية عام 1786م ليرحل إلى فاس مجددا مع أبناءه ثم يبدأ بنشر طريقته(8).

لقد غلب على التجانيين الكبرياء، حيث كانوا يعتبرون أنفسهم أحسن الخلق وتشترط على من ينظم إليها أن لايكون منخرطا في طريقة أخرى من سابقا، وإذا إنخرط فيها لا يسمح له بالخروج منها وإلا يعتبر مرتدا(9)، كما أنها لم تكن واسعة الإنتشار كالرحمانية مثلا، ومما يدل على عدم إنتشارها قلة زواياها ومريديها، فحسب الإحصاء الذي أورده "ريني " (Rinn) سنة 1882م بلغ عدد زواياها 17 زاوية و 100 مقدم و11082 مريدا(10)،

---

(1) - SIMAN, Op.cit, p69-RINN, Marabouts et Khouans, pp421, 422.
-ARNAUD (L.),"Histoire de l'ouali sidi Ahmed El-Tedjani, extrait du Kounache", in **R.A,** N°5, 1851, p468.
-LIMAM (H.M.),"Tidjniya, Sanusiya and Mahdiya as studied in english Works" in **R.H.M**, N°4, 1975, p163.
(2) ARNAUD, Ibid, p 468.
(3) - RINN, Marabouts et Khouans, p424.
(4) -ARNAUD, Op.Cit, p469.
(5) - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص518.
(6) -الفيلالي، المرجع السابق،ص46.
(7) -RINN, Marabouts et Khouans, p451.
(8) -ARNAUD, Op.cit, p470
(9) - RINN, Marabouts et Khouans, p419. -الفيلالي، المرجع السابق ،ص51.
(10) - RINN, Marabouts et Khouans, p451.

لكن "سميان" (Simian) يذكر أنه كان لها 2500 مريدا فقط[1]، ورغم قلة أتباعها إلا أن بعض السلاطين كمولاي سليمان و باي تونس، ورؤساء إمارات صحراوية ،إفريقية كانوا من أنصارها. [2]

ومن أشهر زواياها جنوب الصحراء قمار، تماسين، قورارة بتوات، وقد إمتدت زواياها حتى وسط القارة الإفريقية وبلاد السودان[3]

ب- <u>علاقة التيجانية بالسلطة</u> :

و نتيجة للمكانة الواسعة التي كان يتمتع بها أحمد التيجاني وسط الصحراء، تخوف منه الحكام، لذا إتسمت العلاقة بينه و بينهم منذ البداية بالنفور و العداء، هذا بالإضافة إلى كون عين ماضي بعيدة عن أعين السلطة المركزية وهوما سمح لسكانها الإحساس بنوع من الإستقلالية، ولما حاولت السلطة إخضاعها و النيل من خيرات الطريقة تولد لديها عداء ضد النظام العثماني. [4]

و قد كانت الحملة التي قادها الباي محمد الكبير سنة 1782م نحو الجنوب الصحراوي[5]، بداية لهذا النفور، كما عاد إلى عين ماضي في حملة ثانية سنة 1784[6]، حيث لما دخلها قدم له سكانها الولاء و الطاعة، و دفعوا له الخيل و الخدم و المال، وأكملوا له ما تبقى من اللازمة[7]، كما فرض عليهم ضريبة سنوية تقدر ب188 ريال، وقد وصف "إبن هطال" نزول الباي عند عين ماضي قائلا:"فلما رأوا أهلها خيله قد طلعت وجنوده قد أقبلت فزعت قلوبهم وطاشت عقولهم أغلقوا الديار...وإذا بهم خرجوا بنسائهم و علمائهم، مقدمون النساء أمامهم و تلك كانت عادتهم فلما دخل المحلة أذن السلطان (الباي) للعلماء في التقدم فتقدموا...وسألوه أن يرفق و يشفق من حالهم وأن يعفيهم من القطيعة الأولى (الضريبة)...فإنهم لاطاق لهم بدفعها فلما سمع كلامهم إستقصى خبرهم أدركته الحنانة و الشفقة عليهم و جعل لهم لزمة أقل من الأولى ...و بالغد أصبح أهل عين ماضي يدفعون قطيعتهم من الخيل و الخدام و الدراهم"[8] وبعد سنة فقط أي عام 1785م غزاها صالح

([1]) - SIMIAN, Op.cit, p69.
([2]) - MERAD BOUDIA, Op.cit, p370.
([3]) - RINN, Marabouts et Khouans, p425 -د.التليلي، المرجع السابق ،ص 147-
([4]) - DE NEVEU, Op.cit, p 120 -ESTERHAZY, Op.cit, p198.
([5]) -G.ANDRE, Op.cit, p292.
([6]) - إبن هطال ، المصدر السابق ،ص38.
([7]) –RINN, Marabouts et Khouans, pp 420,421.
([8]) - إبن هطال ،المصدرالسابق،ص 73،74.

باي[1]، ونفس الشيئ قام به عثمان بن محمد باي بعد سنتين ليأخذ الضريبة عنوة من أهلها[2].

ونتيجة للضغوط التي تعرض لها الشيخ إرتحل إلى فاس[3]، برفقة تلاميذه وأولاده، و لما وصل مدينة فاس إستأذن السلطان مولاي سليمان بالإقامة فيها، و أعلمه أن سبب رحيله هو "جور الترك و ظلمهم " فاستقبله السلطان ومنحه دار من دوره كان ينفق في عمارتها نحو عشرين ألف مثقال و رتب له ما يكفيه.[4]

ورغم هجرة الشيخ إلى فاس و إمتناعه عن مواجهة السلطة التي أعدّت جيشا بقيادة الباي عثمان سنة 1787م، الذي فرض عليها ضريبة سنوية قدرها 18 ألف ريال*[5] فإن شيخهم طلب منهم الخضوع للسلطة و دفع ما تستحقه و لم يطلب من أتباعه الثورة ضدها بقوله لهم " إياكم أن تخالفوه أو تقاتلوه (الباي) فقد حدث الأمر من عند الله بما قلته ودليل ذلك أن الأمر (المعاصي) قد عم ببلاد الصحراء "[6]

بعد هذا إتسمت العلاقات بين السلطة و سكان عين ماضي بالهدوء إلى غاية عودة أبناء التيجاني إليها بعد وفاة أبيهم عام1815م[7]،فعملا على نشرتعاليم الطريقة مماجعلها تكسب نفوذ كبيرفي أوساط السكان و هو ما أثار مخاوف الحكام الذين كانوا يترقبون أية حركة دينية خاصة و أن التيجانية ظهرت في وقت إشتد فيه الضغط على النشاط الديني، لهذا قرر الباي حسن القضاء عليها قبل أن يستفحل أمرها فجهز جيشا سنة 1820م وتوجه به نحوعين ماضي، التي دخلها بعد حصار دام أربعة عشرة ساعة[8]، إلا أن سكانها لم يأخذوا بنصيحة شيخهم بعدم مقاتلة الباي لأنه يعلم أنهم غير قادرين على مواجهته، وأمام هذا الوضع عرض سكانها على الباي مبلغا قدره 100.000 بوجو مقابل رفع الحصار و تأمين أرواحهم.[9]

---

(1)- المدني، محمد عثمان باشا ،ص153.

(2) - RINN, Marbouts et Khouans, p420.

(3) -RINN, Ibid, p421. – LIMAM, Op.cit, p166.

(4) - COUR, L'Etablissement des dynasties, p234. -حركات المغرب عبر التاريخ ،ص55.

*ما يعادل 150 الف فرنك فرنسي

(5) - RINN , Marabouts et Khouans ,p422. -ESTERHAZY , Op.cit ,p199.

- الجيلالي، المرجع السابق، ص 288. المدني ، محمد بن عثمان باشا ،ص55.

(6) - الجيلالي ، المرجع السابق ، ص288 . نقلاعن سكيرج، كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التيجاني من الأحباب، ص404.

(7) - SIMIAN, Op.cit, p77.

(8) - Ibid, pp77, 78.

(9) - RINN, Marabouts et Khouans, p423.

و في سنة 1822م هاجمها باي التيطري الذي منعه سكانها من الدخول(1)، هذا الأمر دفع بسلطات البايلك إلى تجهيز حملة أخرى بقيادة الباي حسن سنة 1825م، حيث حاصرت قواته المدينة مدة شهر كامل إنتهى بعقد الصلح بين الطرفين مقابل دفع غرامة تقدر ب200 ريال كانت تدفع عينا و500 ريال كغرامة سنوية(2)، ولم يكتف العثمانيون بهذا بل عملوا على مراقبة "محمد الكبير" فلما كان عائدا من الحج امر الداي "حسين باشا" من باي قسنطينة ان يعترض طريقة و يلقي القبض عليه لكنهم فشلوا في ذلك(3).

ج- مرحلة التصادم و المواجهة:

أمام الضغوطات التي تعرض لها التيجاني لم ير سبيلا إلا إعلان الثورة على العثمانيين حتى يثأر لما حل بنفسه و بأهلها من قبل الباي حسن لهذا يقول الزياني:" أن التيجاني لما رأى ما حل به بغير موجب حق ظهر له مقاتله التراك و الغزو على الباي حسن فإتصل بسكان غريس الذين بايعوه و إتفقوا معه على محاربة الباي حسن"(4).

و لتحقيق خطته، كاتب الشيخ التيجاني القبائل الرافضة للسلطة العثمانية مثل بني عامر، البرجية، الزمالة، و الدوار لكنها رفضت الدخول معه خوفا من الهزيمة لعدم تأكدها من قوة التيجاني(5)، بعدها إتصل بقبيلة الحشم التي إنضمت إليه، فقام الباي حسن بقتل إحدى عشر شيخا من الحشم(6)، بعدها زحف التيجاني بجيش قدر بـ 600 رجل نحو معسكر لكنه لم يتمكن من الإستيلاء عليها نظرا للمقاومة العنيفة التي لقيها من طرف سكانها و تمكن الباي حسن من هزيمة التيجاني بعد إنسحاب قبيلة الحشم، وهذا وحسب ما ذكره الزياني بعدما إشترى أعيان القبيلة و كافة العرب بالمال و يقال أن الباي أعطى الأعيان الحشم و كافة العرب أموالا كثيرة فأوقعوا به الهزيمة و فروا منه"(7).

ورغم الخديعة إلا أن التيجاني صمد و لم ينسحب حتى قتل هو رفقة ثلاثمائة رجل(8)، ويصف لنا "الزهار" ما حل بهم بقوله "فقطعوا رؤسهم و فرقوها على المدن لكي يعتبر الناس و بعثوا برأس الحاج محمد ...ومعه بعض الرؤوس الأخرى للجزائر و اتوا بسيفه و بعض

---

(1) - BOYER, Contribution, p45. -ARNAUD, Op.cit, p356

(2) - الزياني، المصدر السابق ،ص242.

(3) - الزهار، المصدر السابق ،ص159.

(4) - الزياني، المصدر السابق، ص242 243-الزهار ، المصدر السابق،ص159.

(5) - الغالي، الثورات الشعبية، ص192.

(6) - BOYER, Contribution, p71.

(7) - الزياني، المصدر السابق 247-الزهار ك المصدر السابق ،ص195 . -المزاري ، المصدر السابق ،ص47.

(8) - الجزائري محمد بن عبد القدر، المصدر السابق، ص 135. - الزهار، المصدر السابق ،ص159.

الحجابات (التمائم) التي كانت عليه ...و جعلوا راس ولد التيجاني في عمود وصلبوه ...و علقوا الرؤوس الأخرى حوله ،ولكثرة ما كان الأتراك يخافونه بعثوا للسلطان محمود الثاني يبشرونه بقتله، و بعثوا له بسيفه و الحجب التي كانت معه وإحتوى الباي على أثقال التيجاني وأمواله ورجع إلىوهران ..." [1].

ومن هنا فهذه الثورة هي الأخرى لم تحقق اهدافها حيث إستطاع الباي القضاء عليها بسهولة و بكل عنف،و ربما يرجع فشلها إلى كونها جاءت عفوية و لم تتسم بالتنظيم الذي شهدته الثورة الدرقاوية بالشرق و الغرب الجزائري.

و بالإضافة إلى هذه الثورات كانت الهجرة إحدى نتائج التوتر و القطعية بين العثمانيين و العلماء، كما أنه و نتيجة لتمادي الحكام في ظلمهم و فسادهم فإن بعض العلماء عمل على التشهير بهم، خاصة الغير مرغوب فيهم من طرف السلطة التي تفننت في تعذيبهم[2]، فمنهم من هاجر هجرة طويلة هروبا من الأوضاع التي كان يعيشها خاصة بتلمسان التي هاجر العديد من علمائها[3]، خاصة بعد الثورة الدرقاوية، وأشهر العلماء المهاجرين سعيد المنداسي الذي هاجر إلى المغرب لأسباب سياسية و قد هجا الحكام العثمانيين هجاء لاذعا[4].

هذا و يشير الدكتور سعد الله إلى بعض من هاجر كالعلامة عبد القادر المشرفي، المنور التلمساني وابن للو التلمساني الذي هاجر من تلمسان بسبب معاملة حاكم تلمسان التعسفية له و قد أقسم أن يسكن بلاد النصارى، رغم محاولة حاكم تلمسان بعد ذلك استرضاءه بالدقيق و السمن لكنه رفض و غادر معسكر[5].

- و في الأخير ما يمكن أن نستخلصه هو أن:

1- الجهاد ضد التواجد الإسباني على السواحل خاصة بوهران كان يمثل الورقة التي دعمت التحالف بين العثمانين و العلماء رغم السياسة الضريبية الثقلية المفروضة على الأهالي، و سياسة الحكام و علاقتهم السطحية بالرعية المبنية على إبعادهم وتهميشهم من المناصب الهامة و العليا في الحكم، إلا أن الجزائريين تحملوا هذا العبء لبقاء وهران في يد

([1]) -الزهار،المصدر السابق ،ص 160.

([2]) – الزياني ، المصدر السابق ص 253.

([3]) – سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 423.

([4]) - السلاوي ، المصدر السابق، ج7 ،ص 51.

([5])- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 421، نقلا عن أبو حامد المشرفي ذخيرة ه الأوائل و الأواخر لعدم توفر المصدر.

الإسبان لكن بمجرد إسترجاعها لم يجد العلماء داع لهذا التحالف مع العثمانيين المستغلين للأهالي، لذا و بعد إنتهاء الجهاد ضد الإسبان استعدوا للجهاد ضد السلطة الظالمة.

2- إن العثمانيين فشلوا في وضع سياسة تمكنهم من الصمود أمام التحولات الإجتماعية المحتملة، لهذا فافتقارهم لهذه السياسة قلب عليهم الموازين بصورة فجائية تحول معها موقف العلماء من موقف المؤيدين لهم للمحرضين ضدهم، خاصة بعد الحملات الجبائية التي أثقلت كاهل الرعية و مست شتى المتعاملينمع السلطة كالمرابطين و الطرق الصوفية الذين لم يستطعوا تجاهل شكاوي الأهالي ،ضد تعسف الحكام ،خاصة و أنهم هم الممثلين للأهالي، و هو ما أدى إلى إعلانهم الثورة ضد السلطة، وبهذا فسياستهم الضريبية كانت سببا في تحول العلماء إلى صف المناهضين لهم.

3- حملت هذه الثورات شعارات دينية وقد جاءت كرد فعل على إخلال العثمانيين بالمبادئ الدينية التي تقتضي المساواة، لا التمييز الذي فرضه العثمانيون، فهذه الثروات كانت بمثابة ردود أفعال لتصرفات السلطة الجائرة التي أثقلت كاهل السكان بالضرائب وبالتالي كانت تعبيرا لغضب الرعية عن الظروف الإجتماعية التي كانت تعاني منها لا ضد السلطة بحد ذاتها.

4- لقد اتسمت هذه الثورات بنوع من التنظيم و الإنتشار الواسع و هذا راجع الى كون زعمائها كان لهم النفوذ الروحي و المادي في أوساط الرعية، و هوما أدى إلى سرعة إنتشارها في الأوساط الشعبية.

5- كانت هذه الثورات مدعمة من طرف قوى خارجية، ذات المصالح بالجزائر، فتونس، أراد حاكمها إبعاد أنظار العثمانيين، وعدم تدخلهم في شؤونها الخاصة، أما المغاربة و بحكم نسبهم الشريف كانوا يعتقدون أنهم أولى بالحكم من العثمانيين لهذا اتخذوا الطرق الدينية كمنفذ لكسر الأطماع التوسعية للأتراك في المغرب و محاولة فرض حكمهم على الجزائر.

أما الدول الأوروبية فقد كانت لها أغراض سياسية لذا فبإثارتها الفتن كان بإمكانها الوصول إلى مساعيها.

6- ساهمت هذه الثورات في إحداث القطعية النهائية بين السلطة و العلماء، فسقطت معها مكانة العثمانيين في نظر العامة باعتبار القائمين عليها هم ممثليهم من فقهاء شيوخ طرق مرابطين، و هو ما أضعف نفوذهم خاصة بالأرياف فأدى إلى ظهور حركات تمرد

واسعة بين القبائل برفضها دفع الضرائب[1]، مما اضطر السلطة إلى اتخاذ إجراءات تعسفية حتى ضد الموالين لها كالقادرية.

7- خلفت هذه الثورات أضرارا إقتصادية كبيرة كما أشارت إلى ذلك المصادر، وقد صادف هذا الواقع حدوث كوارث طبيعية زادت من سوء الأوضاع المعيشية للسكان، كحدوث الجفاف بالشرق الجزائري الذي أدى إلى ارتفاع الأسعار و غلاء المعيشة حتى وصل سعر القمح إلى عشرة ريالا للصاع و الشعير بثمانية ريالات للصاع، و قد عبرت الأشعار الشعبية عن هذه الحالة المتردية التي أعقبت ثورة ابن الأحرش.

تحزمت رجالي للفتن   التل تخلى و تزول منه الذخائر.

و تصير النخلة برخلة   و لاشك تخلى الجزائر[2]

8- كما و أن هذه الثورات و رغم انتشارها الواسع إلا انها فشلت لعدم وجود تناسق و وحدة بينها، فاختلافاتها المذهبية باعدت بينها، ففشلت في تحقيق أهدافها ولهذا فإن ابن الأحرش لم يلق الدعم الكاف ،لأن الشرق الجزائري كان خاضعا للطريقة الرحمانية، وعلى غرار إبن الأحرش فالتيجاني لم يجد الدعم هو الآخر من طرف القادرية بالجنوب، فهذا التنافر بينهما سمح للدايات بانتهاج سياسة التفرقة بينهما سواء بالمال أو بالمداهنة أو المصاهرة،حيث بقيت الشاذلية محصورة بالشرق و الجنوب الشرقي للبلاد وعلى اتصال ببايات تونس، أما التيجانية فعزلت في الجنوب الصحراوي بينما اتخذت الرحمانية موقف حياديا في الوسط و الشرق. [3]

9- كانت هذه الثورات تهدف إلى وضع حد لاستنزاف خيرات الأهالي خاصة بالريف من طرف السلطة و تصدير منتوجات الريف بأسعار زهيدة لصالح الإمتيازات الأجنبية و الإحتكارات اليهودية خاصة في عهد الداي مصطفى باشا الذي سمح لليهود باحتكار تجارة الحبوب بالجزائر.

---

(1) سعيدوني، ثورة ابن الأحرش ،ص 217.

(2) FERAUD , Zebouchi et Osman bey ,p 125.

(3) سعيدوني / البوعبدلي ، ص 39.

الـخاتمـــة

الـخاتـمة

أما ما توصلنا إليه من استنتاجات من خلال هذا البحث المتواضع يمكن تلخيصه فيما يلي:

- أنه و بالرغم ما قيل عن ركود و خمود الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، وإهمال الحكام للأمور الثقافية إلا أن الجزائر و بشهادة بعض الأجانب كانت خلال هذه الفترة لا تعرف الأمية.
- إن معارف الجزائر خلال هذه الفترة غلب عليها طابع العلوم الدينية، و أن علمائها احتلوا مكانة مميزة في المجتمع رغم أنهم لم يشكلوا فيما بينهم فئة اجتماعية متلاحمة، كما أن ظروفهم الإجتماعية لم تكن مستقرة لعدم ثبات أجورهم التي كانوا يتلقونها من الأوقاف.
- إن الحياة الثقافية كان يغلب عليها طابع التصوف الذي نشرته بعض الطرق التي فرضت نفسها على الساحة خاصة منذ القرن 18 و 19م بشكل مكثف، و يعود هذا إلى الجمود الفكري و الفراغ الثقافي السائد من جهة و غياب الحوار و الإحتكاك بين الطبقة الحاكمة والمحكومة من جهة أخرى، بحيث لم يجمع بينهما سوى استخلاص الضرائب مما أدى إلى تعميق الهوى بينهما سيما في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني.
- و بالرغم من أن الطرق الصوفية ساهمت في الركود الفكري بسبب الثقة العمياء التي كان يضعها المريد في شيخه إلى درجة أنه أصبح بإمكان شيخ الزاوية توجيه المحكومين نحو المسعى الذي يهدفه، إلا أنه لا يمكن إغفال دورها في نشر الدين و الحفاظ على مقومات شخصية المجتمع الجزائري، إضافة إلى كونها كانت مخازن للكتب والمخطوطات بفضل اهتمام بالعلوم الدينية.
- ساهمت هذه الطرق في الدفاع عن البلاد أثناء التواجد الإسباني و تعبئة الناس للجهاد إضافة إلى دورها الروحي و التعليمي الذي جعل من علمائها و شيوخها رؤساء روحيين للسكان الذين كانوا يسيرون وفق أوامرهم.
- كانت هذه الطرق الصوفية إحدى دعائم الحكم العثماني بالجزائر الذي لم يمتد على كامل مناطق الإيالة، بل اعتمد حكمه عن طريق وسائط أو قوى محلية، كقبائل المخزن التي تعد بمثابة جيش احتياطي أو شرطة مدعمة للجيش العثماني، و نفوذ العلماء خاصة المرابطين وشيوخ الزوايا الذين كان نفوذهم الروحي جليا على الأوساط الشعبية.

و ما الثورات التي قامت بزعامتهم و التفاف الناس حولها إلا دليلا على صلتها القوية بالسكان.

- و نظرا لهذه المكانة تقرب منهم الحكام و جعلوا منهم وسائط بينهم و بين الهالي، و هو ما سمح لنا بالقول أن علاقة الحكام بالسكان كانت تقوم أساسا على فئة معينة من المجتمع تمثلت في رؤساء قبائل المخزن و العائلات الإقطاعية و المرابطة و شيوخ الزوايا، هذه الوسائط كانت تقوم بجمع الضرائب و إحتلال الأمن مقابل إعفاءات و إمتيازات.

- إن التحالف الذي جمع بين الطرفين سمح بإخماد العديد من الثورات و الحركات المعادية للسلطة، و مد نفوذ البايلك على أقسام شاسعة و نائية من البلاد، كما أن هذا التقارب و إن كان مبنيا على تبادل المصالح عمل على ربط الأرياف و المناطق الغير الخاضعة للسلطة المركزية.

- إن هذا التحالف الذي كان أساسه تبادل المصالح و الوساطة و إحلال الأمن مقابل امتيازات جعل من فئة "العلماء" خاصة المرابطين المتعاملين مع السلطة شريحة ذات طابع إقطاعي على حساب الفئات الإجتماعية الأخرى التي أبعدت و حرمت من حقوق كثيرة.

- إن إستغلال العثمانيين لهذه القوى الروحية لبسط سلطتهم على الأهالي كان عائقا حال دون قيام وحدة وطنية و هو الأمر الذي حرص العثمانيون على عدم تحقيقه طول مدة تواجدهم بالجزائر منتهجين في هذا سياسة التفرقة و تقسيم السكان إلى قبائل مخزن و رعية محكومة و عديمة الحقوق.

- لم يستمر هذا التحالف إلى نهاية العهد العثماني بالجزائر بل إنه زال بزوال دوافعه خاصة بعد زوال عامل الجهاد، هذا التواجد الإسباني الذي انتهى باسترجاع مدينة وهران و التفاف الحكام إلى ترسيخ وجودهم نحو الداخل خاصة بعد تقهقر موارد البحرية التي دفعت بهم إلى فرض الضرائب الجائرة و هو الأمر الذي أدى إلى ظهور ثورات و حركات تمرد كانت تعبيرا لرفض السياسة الجبائية المفروضة على أبسط و أفقر التشكيلات الإجتماعية الجزائرية.

- كانت هذه الثورات عبارة عن رد فعل عنيف من طرف الرعية تحت زعامة العلماء (الطرق الصوفية) ضد الإجراءات الضريبية التعسفية التي انتهجها الدايات و البايات ضد

السكان و هذه الإجراءات كانت نتيجة للتغيير المفاجئ الذي طرأ على الإيالة بعد نقص مواردها البحرية.

- برهنت هذه الثورات على صلة الأهالي بالعلماء أكثر من صلتهم بالسلطة لذلك اتسمت بالشمولية و التنظيم و الشعبية و هو ما أكسبها سرعة الإنتشار، و رغم أنها كانت مدعمة من قوى خارجية كتونس و المغرب و بريطانيا إلا أن هذا لا يستبعد أن يكون سكان الجزائر على استعداد للثورة ليس ضد العثمانيين بل ضد السياسة التي انتهجها هؤلاء الحكام الذين تقهقرت مكانتهم لدى الجزائريين، و تضاءلت مصداقيتهم أمام الفئات الشعبية المحرومة.

- إن الظروف الداخلية للجزائر كانت في صالح العثمانيين لتشكيل حكومة ذات صبغة وطنية بإمكانها الصمود أمام الأخطار الخارجية فلم يستغلوا الوضع لصالحهم، بل عملوا على تعيين وسائط زادت من التباعد بينهم و بين السكان، كما أن فكرة التضامن الإسلامي التي اعتمدوها و تقربوا بها من العلماء، خاصة المرابطين الذين سرعان ما شكلوا أرستقراطية، احتكرت لنفسها عدة مناصب، شكلت فيما بعد قوة مالية و فكرية و عسكرية هددت استقرار الحكام العثمانيين.

- إن سياسة التقارب بين الحكام و رجال الدين لم تكن بدافع ديني بل بدافع سياسي مصلحي و هو بسط نفوذهم و سيطرتهم على البلاد و جباية الضرائب، و لم يعطوا أهمية لنشر الثقافة و تطوير العقيدة بين الناس، اللهم إذا استثنينا بعض الحكام الذين سبق ذكرهم و الدور الذي لعبوه في تشجيع الحركة الثقافية بدوافع حضارية دون دوافع سياسية.

- إن التحالف الذي جمع بين الطرفين مثله إجتماع المصالح المشتركة التي شكلت ائتلاف تركي- مرابطي فعلي لكن هذا الإئتلاف لم يدم، بل زال بزوال أسبابه لتنتهي فئة العلماء (شيوخ زوايا- و طرق صوفية) في النهاية إلى تشكيل قوة فعلية مضادة للسلطة بعدما كانت متعاونة معها و حليفتها على حساب المحكومين المغلوبين عن أمرهم.

هذه بعض الإستنتاجات التي توصلت إليها و هي لا تعتبر أحكاما مطلقة و نهائية بل هي قابلة للمناقشة و الإثراء.

البيبليوغـرافـيـــــا

- **الوثائق الأرشيفية**

- **سجلات البايلك** (الأرشيف الوطني الجزائري بئر خادم)
- علبة 12 سجل 68. (1680-1707م) سجل يتضمن رواتب بعض الموظفين لدى الدولة.
- علبة 29 سجل 231 (1729-1730م) و (1742-1743م) سجل يتضمن حسابات تتعلق بأوقاف جامع عبدي باشا.
- علبة 30 سجل 248 (1744 - 1745م) سجل يتضمن رواتب الأئمة، الخطباء، المدرسين مكرر علبة 29- سجل 264-245.
- علبة 36 سجل 332 (1811-1813م) سجل يتضمن رواتب رجال الدين و القضاة.
- علبة 36 سجل 334 (1811-1813م) سجل يتضمن رواتب رجال الدين الرسميين مالكيين وحنفيين.
- علبة 36 سجل 331 (1814-1815م) و (1819-1820م) سجل يتضمن رواتب رجال الدين والقضاة.
- علبة 33 سجل 328 (1828-1831م) سجل يتضمن مصاريف رجال الدين بالمساجد (خاصة جامع كتشاوة).

المحاكم الشرعية: **(الأرشيف الوطني الجزائري بئر خادم)**

- علبة 4 وثيقة 17.

المكتبة الوطنية: (الحامة)

المجموعة 3206. الملف الثاني، وثيقة 52-إعفاء بعض العلماء من المطالب المخزنية.

المخطوطات (المكتبة الوطنية):

- الصباغ محمد بن علي القلعي، بستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار و معدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب و الدار، مخطوط رقم 1707.
- مجهول، الغزوات، مخطوط رقم 1622.
- الناصري أبوراس، عجائب الأسفار و لطائف الأخبار مخطوط رقم 1632.

II- المصادر المطبوعة:

- ابن حمادوش عبد الرزاق، لسان المقال في التنبأ عن النسب و الحسب و الحال تقديم و تحقيق وتعليق د. سعد الله أبو القاسم، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983.
- ابن خوجة محمد، صفحات في تاريخ تونس، تقديم و تحقيق حمادي الساحلي، الجيلالي بن يحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.
- ابن زرقة المصطفى، الرحلة القمرية في السيرة المحمدية، تحقيق د.حساني مختار، مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، بوزريعة 2000.
- ابن سحنون أحمد علي الراشدي، الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني تحقيق و تقديم المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة 1979.
- ابن الفكون عبد الكريم، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم و الولاية، تقديم و تحقيق وتعليق د. أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1987.
- ابن مريم محمد بن أحمد، البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان مراجعة محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر 1908.
- ابن ميمون محمد، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق و تقديم محمد بن عبد الكريم، ش.و.ن.ت، الجزائر 1972.
- ابن هطال أحمد التلمساني، رحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي، تحقيق محمد بن عبد الكريم، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1969.
- التلمساني محمد بن عبد الرحمن، الزهرة النيرة بما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جند الكفرة، مجلة **تاريخ و حضارة المغرب**، العدد 3، 1967.
- التمغروطي أبو الحسن علي، النفحة المسكية في السفارة التركية بدون دار النشر و سنة الطبع.
- الجامعي عبد الحمن، فتح مدينة وهران، تحقيق. د. حساني مختار تحت عنوان "تاريخ تحرير مدينة وهران من الإحتلال الإسباني خلال القرن الثامن عشر الميلادي مخبر المخطوطات جامعة الجزائر، بوزريعة 2000.
- الجبرتي عبد الرحمن، عجائب الآثار في التراجم و الأخبار، ضبطه و صححه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج3، 1997.
- الجزائري محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر، شرح وتعليق، ممدوح حقي ط2، دار اليقظة العربية، بيروت، ج1، 1964.
- حمدان بن عثمان خوجة "المرآة"، لمحة تاريخية و إحصائية لإيالة الجزائر، تحقيق و تعريب العربي الزبيري، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1975.

- الزهار الحاج أحمد الشريف، "مذكرات"، تحقيق أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت.الجزائر، 1972.
- الزياني محمد بن يوسف، دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران تحقيق و تقديم المهدي البوعبدلي، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1979.
- السلاوي أبو العباس، الإستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق و تعليق ولدي المؤلف جعفر الناصري- محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956.
- شالر وليام، مذكرات قنصل أمريكا 1816-1824، ترجمة و تعليق إسماعيل العربي، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982.
- العطار أحمد المبارك، تاريخ حاضرة قسنطينة، تحقيق و تعليق رابح بونار، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982.
- العنتري محمد صالح، سنين القحط و المصبغة- مجاعات قسنطينة، تحقيق و تقديم رابح بونار، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974.
- العنتري، فريدة مؤنسة في حال دخول الأتراك بلد قسنطينة مراجعة و تقديم و تعليق د. يحي بوعزيز، د.م.جن الجزائر، 1991.
- كاتكارت، "مذكرات أسير الداي"، قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة إسماعيل العربي، د.م.ج، الجزائر، 1982.
- مجهول، تاريخ بايات قسنطينة، تحقيق، د.حساني مختار، منشورات دحلب، الجزائر، 1999.
- المزاري بن عودة، طلوع سعد السعودي في أخبار مدينة وهران، و الجزائر و إسبانيا، و فرنسا أواخر القرن 19م، تحقيق يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج2، 1990.
- مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب و المسافر، تحقيق رابح بونار، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974.
- المشرفي عبد القادر، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبان من الأعراب كبني عامر، تحقيق و تقديم محمد بن عبد الكريم، مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ النشر.
- الناصري أبوراس، فتح الإله و منته في التحدث بفضل ربي ونعمته تحقيق محمد بن عبد الكريم، م.و.ك، الجزائر، 1990.
- هانيريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا ترجمة أبو العيد دودو، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1973.
- الورتلاني الحسن، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار تحقيق، محمد بن أبي شنب، فونتانا، الجزائر، 1907.
- .....، أشعار جزائرية، تقديم و تحقيق، أبو القاسم سعد الله، م.و.ك، الجزائر، 1988.
-

المراجع باللغة العربية:

- ألتر، عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989.

- بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيلة أمين فارس منير البعلبكي، ط1، دار الملايين، بيروت، 1948.

- بل، ألفرد، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن البدوي،ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.

- بلحميسي، مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1979.

- بن أشنهو، عبد الحميد، دخول الأتراك العثمانيون إلى الجزائر، المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر، 1972.

- بن حموش، مصطفى أحمد، المدينة و السلطة في الإسلام، نموذج الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار البشائر، دمشق، 1999.

- ترمنجهام، سبنسر، الطرق الصوفية في الإسلام، ترجمة عبد القادر البحراوي، ط1، دار النهضة، بيروت، 1997.

- جيب، هاملتون- بوون، هارولد، المجتمع الإسلامي و الغرب، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، مراجعة أحمد عزت عبد الكريم، دار المعارف، القاهرة، 1971.

- الجيلالي، عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ط6، دار الثقافة، بيروت، ج3، 1983.

- جوليان، شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب مزالي محمد بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1978.

- حقي، عدنان، الصوفية و التصوف، ط2، دمشق، 1992.

- حليمي، عبد القادر، مدينة الجزائر نشأتها و تطورها قبل عام 1830، مطبعة البعث العربية، الجزائر، 1972.

- خنوف، علي، السلطة في الأرياف الشمالية لبايلك الشرق الجزائري نهاية العهد العثماني و بداية العهد الفرنسي، مطبعة العناصر، الجزائر، 1999.

- خير، محمد فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي، ط1، دار العصر الحديث للنشر، بيروت، 1992.

- الزبيري، محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري قبل الإحتلال 1972-1830، ط2، م.و.ك، الجزائر، 1984.

- الزبيري، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، ط2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1985.
- سبنسر، وليام، الجزائر عهد رياس البحر، تعريب و تعليق عبد القادر زبادية، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1980.
- سعدالله، أبو القاسم، محمد الشاذلي القسنطيني (1807-1877)، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974.
- سعدالله، المفتي الجزائري ابن العنابي، رائد التجديد الإسلامي (1775-1850)، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1976.
- سعدالله، تجارب في الأدب و الرحلة، م.و.ك، الجزائر، 1983.
- سعدالله، الحركة الوطنية 1930، 1945، ط3.م.و.ك، الجزائر، ج1، 1986.
- سعدالله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية الساطة –دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.
- سعدالله، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج-1-2-3، 1990.
- سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1-2، 1998.
- سعيدوني، نصر الدين، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800-1830، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1979.
- سعيدوني، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر- العهد العثماني- م.و.ك، الجزائر، 1985.
- سعيدوني، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر، الفترة الحديثة و المعاصرة، م.و.ك، الجزائر، 1988.
- سعيدوني، ورقات جزائرية، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999.
- سعيدوني، الجزائر منطلقات و آفاق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.
- سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف و الجباية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001.
- سعيدوني، نصر الدين/ البوعبدلي المهدي، الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، م.و.ك، الجزائر، 1984.
- سليماني، أحمد، تاريخ مدينة الجزائر، د.م.و.ج، الجزائر، 1989.
- شريط، عبد الله، الميلي، محمد المبارك، مختصر تاريخ الجزائر السياسي، الثقافي، الإجتماعي، م.و.ك الجزائر، 1985.
- شعيب، محمد المهدي، أم الحواضر في الماضي و الحاضر، مطبعة البعث قسنطينة، 1980.
- شوفالييه، كورين، الثلاثون سنة الأولى لقيام مدينة الجزائر (1510-1541)، ترجمة جمال حمادنة، د.م.ج، الجزائر 1991.
- صادوق، محمد الحاج، مليانة و وليها سيدي أحمد بن يوسف، د.م.ج، الجزائر، 1964.

- عبد القادر، نور الدين، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى إنتهاء العهد التركي، مطبعة البعث ، قسنطينة، 1965.
- العسلي، بسام، الجزائر و الحملات الصليبية (1547-1791)، ط2، دار النفائس، بيروت.
- العسلي، الأمير عبد القادر الجزائري (1807-1883)، ط.، دار النفائس، بيروت، 1986.
- العقاد، صالح، المغرب العربي في التاريخ الحديث و المعاصر، ط6، منشأة المعارف، مصر، 1962.
- الغنيمي، عبد الفتاح محمد، موسوعة تاريخ المغرب، دراسة في التاريخ الإسلامي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ج6.
- فالونسي، لوست، المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر، ترجمة إلياس مرقص، ط6، دار الحقيقة، بيروت، 1980.
- فرج، محمد الصغير، تاريخ تيزي وزو منذ نشأتها حتى سنة 1954، ترجمة موسى زمولي، تالة للنشر، الجزائر، 2002.
- فركوس، صالح، الحاج أحمد باي قسنطينة، 1826-1850، د.م.ج، قنتيس، 1993.
- الفيلالي، محمد الطاهر، نشأة المرابطين و الطرق الصوفية، و أثرها في الجزائر خلال العهد العثماني، ط1، دار الفن القرافيكي، الجزائر، 1976.
- قنان، جمال، نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830- م.و. للطباعة، الجزائر، 1987.
- كوثراني، وجيه، السلطة و المجتمع و العمل السياسي في تاريخ الولايات العثمانية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1988.
- كوران، أرجمند، السياسة العثمانية اتجاه الإحتلال الفرنسي للجزائر، ترجمة عبد الجليل التميمي، ط2- تونس، 1974.
- لوثروب ستيوارت، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويهض، تعليق شكيب أرسلان، ط2، دار الفكر، بيروت، ج2، 1971.
- مؤنس، حسين، تاريخ المغرب و حضارته من قبيل الفتح إلى الغزو الفرنسي، ط1، دار العصر الحديث للنشر، بيروت، ج، 2-3، 1992.
- المحافظة، علي، الإتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798-1914، الإتجاهات الدينية و السياسية و الإجتماعية و العلمية، الأهلية للنشر و التوزيع، بيروت، 1978.
- المدني، أحمد توفيق، كتاب الجزائر، م.و.ك، الجزائر، 1984.
- المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا (1492-1792)، ط3، م.و.ك، الجزائر، 1984.
- المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766-1791)، م.و.ك، الجزائر، 1986.

- الميلي، محمد المبارك، تاريخ الجزائر القديم و الحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964.
- هلال، عمار، أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1862)، د.م.ج، الجزائر، 1995.
- هويدي، يحي، تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، مكتبة النهضة، القاهرة، ج1، 1965.
- وشن مزيان، مجانة عاصمة إمارة المقرانيين- ثلاثة قرون من النضال السياسي و الجهاد العسكري القرن (16-19م)- دار الكتاب العربي، الجزائر، 2005.

<u>كـتب الـتراجم:</u>

- أبو عمران و آخرون، معجم مشاهير المغاربة، منشورات دحلب، الجزائر، 1995.
- بوعزيز، يحي، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، 1995.
- الحفناوي، أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، ط2، مؤسسة الرسالة، تونس، ج1-2، 1982.
- سعيدوني، نصر الدين، من التراث التاريخي و الجغرافي للغرب الإسلامي تراجم مؤرخين و رحالة جغرافيين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999.
- الشناوي، أحمد و آخرون، دائرة المعارف الإسلامية، مجلد -9-10.
- الصديق محمد الصالح، أعلام من المغرب، موفم للنشر و التوزيع، الجزائر، 2000.
- المراكشي بن عباس إبراهيم،الأعلام بمن حل بمراكش من الأعلام،الرباط،1983،ج6.
- نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر، المكتب التجاري للطباعة و النشر، بيروت، 1971.

<u>الـمقالات باللـغة الـعربية:</u>

- أبو عمران، الشيخ، "الشيخ أبو راس الناصري و رحلته الثقافية 1150-1128هـ/1737-1823م- محاضرات الموسم الثقافي- منشورات المجلس الإسلامي، 2000/99.
- بلحميسي، مولاي، "إرشاد الحيران في أمر الداي شعبان" **الدراسات التاريخية،** العدد 2، 1986.
- بلحميسي، "تحرير مدينة وهران 1708" **مجلة تاريخ و حضارة المغرب،** العدد 9-1970.
- بلحميسي، "الثورة على الأتراك في الجزائر" شواهد مستقاه من وثائق إسبانية غير منشورة، **الثقافة،** العدد 48، 1978.
- بوعزيز، يحي، "أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19-20م" **الثقافة،** العدد 63، 1981.
- بونار، رابح، "الذكرى الألفية لتأسيس مدينة الجزائر" **الأصالة،** العدد 8، 1972.

- التميمي، عبد الجليل، "من أجل كتابة تاريخ الجامع الأعظم بمدينة الجزائر" **المجلة التاريخية المغربية**، العدد 19، 20، 1980.

- التميمي، "العرب و الترك في إطار الدولة العثمانية" **المجلة التاريخية المغربية**، العدد 17، 18، 1980.

- التميمي، "وثائق تركية غير منشورة لضرب مدينة الجزائر 1816م"، **R.O.M.M,** N°5, 1986.

- الزبيري، محمد العربي، "مقاومة الجزائر للتكتل الأوربي قبل الاحتلال" **الأصالة**، العدد 12، 1983.

- زيادة، خالد، "السلطة المدنية من خلال وثائق المحاكم الشرعية **المجلة التاريخية المغربية**، العدد 39، 40، 1985.

- سعد الله، أبو القاسم، "قصيدة خطية لابن ميمون" **الثقافة**، العدد 15، 1973.

- سعد الله، "عبد الرزاق الجزائري و رحلته لسان المقال" **الأصالة**، العدد 38، 1976.

- سعد الله، "أشعار و مقامات ابن حمادوش الجزائري" **الثقافة**، العدد 49، 1979.

- سعد الله، "أربع رسائل بين باشورات الجزائر و علماء عنابة" **الثقافة**، العدد 51، 1979.

- سعد الله، "من أخبار الداي شعبان" **التاريخ**، العدد 8، 1980.

- سعيدوني، نصر الدين، "تدعيم الحكم التركي بالجزائر" **الأصالة**، العدد 32، 1976.

- سعيدوني، "وضعية القبائل المخزنية و الآثار المترتبة عليها" **المجلة التاريخية** المغربية، العدد 7، 8، 1977.

- سعيدوني، "مذكرة حول إقليم قسنطينة" **الأصالة**، العدد 83، 84، 1980.

- سعيدوني، "ثورة ابن الأحرش بين التمرد الأهلي و الانتفاضة الشعبية" **الثقافة**، العدد 78، 1983.

- سعيدوني، "موظفو الإيالة الجزائرية أوائل القرن 19م و صلاحيتهم الإدارية و مهامهم الاقتصادية و الاجتماعية"، **المؤرخ العربي**، العدد 31، 1987.

- سعيدوني، الوقف و مكانته في الحياة الاقتصادية، الاجتماعية و الثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني و بداية الإحتلال الفرنسي" **الأصالة**، العدد 89، 90، 1981.

- سعيدوني، "مؤسسة الزوايا في الجزائر العثمانية لنموذج بلاد القبائل" عمل نشر في International congression learning education in the **ottomane world**, Istamboul, Avril 1999.

- سعيدوني، "معجم تاريخي للأماكن و البلدان الجزائرية" **بحوث**، العدد 3، 1995.

- سعيدوني، "الأوقاف بفحص مدينة الجزائر" **دراسات إنسانية**، عدد خاص بالوقف، 2001-2002.

- البوعبدلي، المهدي، "الرباط و الفداء في وهران و القبائل" **الأصالة**، العدد 13، 1973.

- البوعبدلي، "عبد الكريم الفكون القسنطيني (988-1073) و التعريف بكتابة منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم و الولاية"، **الأصالة**، العدد 51، 1977.

- سي يوسف،محمد، "نظام التعليم في بلاد الزواوة بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني" **الحياة الفكرية في الولايات العربية**، ج1، 1990.

- ضيف الله، عقيلة، "نظام القانوني و نظم تطبيق الشريعة في العهد العثماني" **بحوث**، العدد 4، 1997.

- عبد الرحيم عبد الرحمن، "دور المغاربة في تاريخ مصر في العصر الحديث" **المجلة التاريخية المغربية**، العدد 10، 11، 1978.

- العجيلي، التليلي، "دور بعض مشايخ الطرق الصوفية في مساعدة الفرنسيين على استكشاف الصحراء الإفريقية" **المجلة التاريخية المغربية**، العدد 53، 54، 1989.

- عزباوي، عبد الله، الروابط الثقافية بين مصر و بلاد المغرب القرن 18م **المجلة التاريخية المغربية**، العدد 19، 20، 1980.

- العيد، مسعود، "حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني" **سرتا** العدد 3، ماي 1980.

- الغالي، الغربي،"الحياة السياسية في نيابة الجزائر إبان عصر الدايات ثورة ابن الشريف الدرقاوي ضد الأتراك، **دراسات تاريخية**، العدد 23، 26، 1986.

- غطاس، عائشة،"القضاة الأحناف بمدينة الجزائر" **المجلة العربية للدراسات العثمانية**، عدد 17، 18، 1998.

- فركوس، صالح، "الباي محمد الكبير و دوره في بعث الحركة الثقافية ببايلك الغرب" **الثقافة**، العدد 71، 1982.

- قداش، محفوظ، "الجزائر في العهد التركي" **الأصالة**، العدد 52، 1977.

- القشاعي موساوي فلة،"أوقاف أهل الأندلس بمدينة الجزائر أثناء العهد العثماني" **دراسات إنسانية**، عدد خاص بالوقف ماي 2001.

- مزيان، عبد الحميد، "المؤسسات الثقافية في الجزائر قبل الإستعمار" **الثقافة**، العدد 51، 1986.

- مزيان، "طريق الذهب و طريق الثقافة" **الأصالة**، العدد 3، 1971.

- نورس، علاء موسى، كاظم، "مدى مسؤولية الإنكشارية في تدهور الدولة العثمانية" **المجلة التاريخية المغربية**، العدد 25، 26، 1982.

الـجرائـد:

....."حدوث مدرسة الكتاني" **جريدة المبشر**، ميكروفيلم، رقم م.ر 20، ج، 1961، ص 6.

الرسائل الجامعية:

- الغالي، العربي، الثورات الشعبية أثناء العهد التركي، رسالة ماجستير (غير منشورة) قسم التاريخ كلية الآداب، جامعة دمشق، 1988.

- قشي، فاطمة الزهراء، قسنطينة المدينة و المجتمع، دكتوراه دولة (غير منشورة) كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية –جامعة تونس الأولى، ج1-2، 1998.

- موساوي القشاعي فلة، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني (1771-1837)، أطروحة ماجستير في التاريخ الحديث (غير منشورة)، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1989.

المصادر و المراجع باللغة الأجنبية:

I- المصادر:

- AHMED, BEY, "Les mémoires d'Ahmed Bey, dernier bey de Constantine" édite et commenté par. Emerit.M, in **R.A**, N° 93 ? 1949.
- BERQUE, JACQUE, l'intérieur du Maghreb du 16éme-19éme siècle, Gallimard, Paris, 1978.
- DE NEVEU, Les khouans ordre religieux chez les musulmans de l'Algérie, 2éme Ed, Imp. de A.Guiyot, Paris, 1846.
- LAUGIER, DE TASSY, Histoire d'Alger et le bombardement de cette ville en 1816, S.M.E, Amsterdam, 1725.
- MORGAN, JEAN, Histoire des états Berbaresques, Trad. De L'Anglais par. M.Boyer. S.M.E. Paris, 1757.
- PRIMAUDAIE, Elie de la, "Documents inédits sur l'histoire de l'occupation Espagnole en Afrique" in **R.A**. N°20, 1876.
- RINN, LOUIS, Marabouts et Khouans étude sur l'Islam en Algérie, A.Jourdan, Alger, 1884.
- Dr. SHAW, Voyage dans la régence d'Alger, trad de l'Anglais par J.Mac. carthy, 2éme Ed, Bouslama, Tunis, 1980.
- TACHRIFFAT, Recueil de notice historique sur l'administration de l'ancien régence d'Alger, pub, par Devoulx, Imp. de gouvernement, Alger, 1852.
- VENTURE, DE PARADIS, Alger au 18éme siècle, Fagnan, Alger, 1898.

المراجع باللغة الأجنبية:

- ANDRE, (P.J), Contribution à des confréries religieuses musulmanes, maison de livres, 1956.
- BABES, LEILA, Saints tribus, et pouvoir politique dans le constantinois sous la domination Turque, histoire sociale de l'Algérie, études, sources et documents, Université d'Oran, S.D.

- BEL, ALFRED, Histoire et historiens de l'Algérie, Alan, Paris, 1931.
- BEL, ALFRED, La religion musulmane en barbarie du XII^{eme} au XX^{eme} siècle, Gauthner, Paris, 1938.
- BELHAMISSI, MOULAY, Histoire de Mazouna de ses origines à nos jours, Imp. Ahmed. Zabana, Alger, 1982.
- BENACHENHOU- ABD-EL- HAMID, Connaissance du Maghreb , Ed. Populaire de l'année, 1971.
- BEN MENSOUR, ABD-EL-HADI, Alger au XVI^{eme}- XVII^{eme} siècle, Bastide, 1998.
- BOUABBA, YAMILE, les Turcs au Maghreb central du 16^{éme} au 19^{éme} siècle, S.N.E.D, Alger, 1972.
- BOULIFA, SAAD- EDDINE,Le Djurdjura à travers l'histoire depuis l'antiquité jusqu'a 1830, Bringou, Alger, 1923.
- BOYER, PIERRE, La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention française. Imp. Nationale, Monaco, 1964.
- BROSSELARD, Charles, Les Khouans, La constitution des ordres religieux musulmans en Algérie, H.Bourget, Alger, 1859.
- CAPORAL (X), Oran capitale du Beylik de l'ouest 1792 a 1831, Mémoire, S.D.
- CHAILLON, LUCIEN, l'Algérie en 1781, mémoire du consul César Philippe Valliere. Imp. Nouvelle. Toulon, 1974.
- CHARLES, RICHARD, Etude de l'insurrection du Dahra 1845-1864. S.M.E, Alger, 1846.
- COUR, AUGUSTE, Etablissement des dynasties des chèrifs du Maroc et leur rivalité avec les Turcs de la régence d'Alger (1509-1830). Leroux, Paris, 1904.
- DAUMAS, EUGENE, Mœurs et Coutumes de l'Algérie, Sindbad, Paris, 1988.
- De GRAMMONT HENRI, histoire d'Algérie sous la domination Turque (1515-1830), E. Leroux, Paris, 1887.
- DEPONT OCTAVE, COPPOLANI XAVIER, Les confréries religieuses musulmanes, A.Jourdan, Alger, 1897.
- DERMENGHEM, EMILE, Le culte des saints dans l'Islam Maghrebin, Gallimard, Paris, 1951.
- DEVOULX, ALBERT, Les édifices religieux de l'ancien Alger Bastide, Alger, 1870.
- EMERIT, MARCEL, l'Algérie a l'époque d'AbdElkader, la rose, Paris, 1951.
- ESTERHAZV, WILSON, de la domination Turque dans la régence d'Alger, Gosselin. Paris, 1840.
- FERAUD, CHARLES, Histoire des villes de la province de Constantine, Bougie, L.Arnault.
- FERAUD, Histoire des villes de la province de Constantine, Gigilli, L. Arnault, 1870.
- FERAUD, Le Sahara de Constantine. A.Jourdan, Alger, 1887.

- FEY, HENRI-LEON, Histoire d'Oran avant, pendant et après la domination Espagnole, Adolphe perrière, Oran, 1858.
- GAFFAREL, PAUL, L'Algérie. Histoire. Conquête et colonisation. Imp. de l'institut, Paris, 1883.
- GAID, MOULOUD, Chronique des beys de Constantine, o.p.u, Alger, S.D.
- GAID, Les berbères dans l'histoire, les marabitines d'hier et les marabouts d'aujourd'hui. Imp. Marouche, Alger. S.D.
- GALIBERT, LEON, L'Algérie ancienne et moderne Gallimard, Paris, 1844.
- GARROT, HENRI, Histoire général de l'Algérie, Imp. cresienzo. 1970.
- GSELL STEVENE, Histoire d'Algérie, Boivin, Paris, 1927.
- KADDACHE, MAHFOUD, L'Algérie durant la période ottomane, o.p.u. Alger, 1991.
- KEHL, CAMILLE, Oran et l'Oranie avant l'occupation française, L-Fouque. Oran, 1942.
- KLEIN, HENRI, Feuillets d'Eldjezair, Fountana, Alger, 1937.
- LAROUI, ABD-ELLAH, histoire du Maghreb, Maspero, Paris, 2 vols, 1976.
- LAYER, ERNEST, Confréries religieuses musulmanes et marabouts, leur état et leur influence en Algérie, Imp. Gagniard, Lyon, 1916.
- LEPENE, Aperçu ,Historique, statistique et topographique sur l'état d'Algérie, 2éme ed. CH.piquet, Paris, 1830.
- LESPES, RENE, Oran, étude géographie et d'histoire urbaine, Felix. Alcan, Paris, S.D.
- LETERNEAU, ROGER, Les villes musulmanes de l'Algérie du Nord. Maison des livres, Alger, 1957.
- LIOREL, JULES, Kabylie du Jurjura. E. Leroux. Paris, 1892.
- MAHE, ALAIN, Histoire de la grande Kabylie XIXéme- XXéme siècle, anthropologie, historique du lien social dans les communautés villagoises, Ed. Bouchene, Alger, 2001.
- MARÇAIS, GEORGES, L'Architecture musulmane d'occident, Picard, Paris, 2 Vols, 1926/27.
- MERAD-BOUDIA, ABD-EL-HAMID, La formation sociale Algérienne précoloniale. Essai d'analyse théorique, o.p.u. Alger, 1980
- MERCIER, ERNEST, Etude sur la confrérie des Khouans de sidi Abd-El-Kader El-Djellani, a propos de la dite secte. L.Arnolet, Constantine, 1869.
- MERCIER, L'Afrique septentrional berberie depuis les temps les plus recules jusqu'à la conquête française, E.Leroux. Paris, T3, 1891.
- MERCIER, Histoire de Constantine, S.N.E.D, Alger, 1903.
- RAYMOND, ANDRE, Grande villes arabes à l'époque ottomane Sindibd, Paris, 1985.
- ROBIN, NIL.JOSEPH, la grande Kabylie sous le régime Turc, Ed. Bouchene. Alger, 1998.

- SAIDOUNI. NACER-EDDINE,L'Algérois rural à la fin de l'époque ottomane (1791-1830), Der-El-Gherb-El-Islami, Beyrouth, 2001.
- SIMIAN, MARCEL, Les confréries islamiques en Algérie (RAHMANYA-TIJANYA)- A.Jourdan, Alger, 1910.
- SHUVAL TALL, , La ville d'Alger vers la fin du 18émésiècle, C.N.R.S, Paris, 1988.
- TOUATI, HOUARI, Entre Dieu et les hommes (lettres saints et sorciers) au Maghreb 17émé siècle, Ed. De l'école des hauts études en sciences sociales, paris, 1994.
- TRUMELET, EMILE, Les saints de l'islam, légende et croyances Algérienne, les saints du tell, Dedier, 1881.
- TRUMELET, l'Algérie légendaire, A.Jourdan. Alger. 1982.
- Turin, Yvonne, Affrontements culturelles dans l'Algérie coloniale (1830-1880), maspero. Paris, 1971.
- VATIN, JEAN-CLAUDE, A'Algérie politique, histoire et société, Arnaultn paris, 1974.
- RINN, LOUIS, Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie, A.Jourdan, Alger, 1891.

الموسوعات:

- Encyclopédie de l'Islam N°09 – 10.

المقالات باللغة الأجنبية:

- ARNAUD, LOUIS, "Histoire de l'ouali sidi Ahmed El-Tedjani", extrait de Kouche in **R.A** N°5, 1861.
- AUMERAT, (F), "La propriéte urbaine à Alger" in **R.A**, N°41, 1897.
- BENCHOUAIB, ABOUABDESSELEM, "Les marabouts guérisseurs" in **R.A**. N° 51, 1907.
- BERBRUGGER, LOUIS, "Un cherif kabyle en 1804" in **R.**A, N°3, 1858.
- BIGUET-FRAURE, "Notice sur le cheik Abou Ras-En-Nassiri" in **J.A**, 9éme série 1899.
- BODIN, MACEL, "Notes et question sur Sidi Ahmed Ben Youcef " in **R.A,** N°66, 1925.
- BODIN, "Tradition indigène sur Mostaghanem et Tadjedit" in **B.S.G.A.O**, 1925.
- BODIN, "Note sur Sidi Ahmed Ben Châa des Beni Zeroual" in **B.S.G.A.O**, 1930.
- BOYER, PIERRE, "Contribution à l'étude de la politique religieuse des Turcs dans la régence d'Alger 16éme-19éme siècle" in **R.O.M.M**, N°1, 1966.
- CONAL, JOSEPH, "Monographie de l'arrondissement du Tlemcen" in **B.S.G.A.O**, 1887.
- COUR, AUGUSTE,"Constantine en 1802 d'après une chanson populaire du cheik Belkacem El-Rahmouni" in **R.A**, N°59, 1919.
- DELPECHE, ADRIEN, "Le soulèvement de Derkaoua de la province d'Oran de 1800-1813" in **R.A**, N°18, 1874.

- DELPECHE, "La Zaouia de sidi Ali Ben Moussa ou Ali N'Founas" in **R.A**, N°18, 1874.
- DELPECHE, "Un diplôme de Mokadem de la confrérie religieuse RAHMANIYA" in **R.A**, N°18, 1874.
- DELPHIN, (G), "Histoire des pachas d'Alger de 1515-1749" in **J.A**, Avril. Juin, 1922.
- DERMENGHEM, EMILLE, "l'Algérie religieuse" in **Initiation à Algérie**, 1957.
- DEVOULX, ALBERT, "Notes historiques sur les mosquées et autres édifices religieux d'Alger" in **R.A**, N°4, 1859/60.
- EMERIT, MARCEL, "Les aventures de Thedenat" in **R.A**, N°92, 1948.
- EMERIT, "Le voyage de la condaminé à Alger en 1731" in **R.A**, N°98, 1954.
- EMERIT, "L'état intellectuel et moral de l'Algérie en 1830" in **R.T.A.S.M.P**, 2^{éme} semestre, 1954.
- EMERIT, "l'Algérie Turque" in **Initiation à l'Algérie**, 1957.
- FEDERMAN, HENRI/AUCAPITAINE, Henri, "Notice sur l'histoire et L´ administration du beylik de Tetteri" in **R.A**, N°12, 1867.
- FERAUD, CHARLES, "L'oued El.Kebir et Collo", in **R.A**, N°3, 1858/59.
- FERAUD, "Zebouchi et Osman bey" in **R.A**, N°6, 1862.
- FERAUD, "Un voeu d'Hossein bey in **R.A**, N°7, 1863.
- FERAUD, "Les anciens établissements religieux musulmans de Constantine" in **R.A**, N°10, 1866.
- FERAUD, "L'exploitation des forêts ou la Karasta, dans la kabyle orientale sous la domination Turque" in **R.A**, N°12, 1868.
- FERAUD, "Les cherifs kabyles de 1804-1809 dans la province de Constantine" in **R.A**, N°13, 1869
- FERAUD, "Histoire de Djidjel" in **R.N.M.S.A**, 1870.
- FILALI, KAMEL, "Sainteté maraboutique et mysticisme, contribution à l'étude du mouvement maraboutique en Algérie sous la domination ottomane" in **Insanyyat** N°3, 1997.
- GEORGUOS, AUGUSTE, "Notice sur le bey d'Oran Mohamed El-Kebir" in **R.A**, N°1, 1856/ N°2, 1857.
- GEORGUOS, "Expedition de Mohamed El-Kebir" in **R.A**, N°3, 1858.
- GHALEM, MOHAMED, "L'histoire de l'Algérie des origines à 1830" in **Algérie**, 2000.
- GUIN, LOUIS, "Note sur la famille des R'obrini" in **R.A**, N°18, 1874.
- LALOE (F.), "A propos des manuscrits arabes de Constantine" in **R.A**, N°66, 1925.
- LIMAM, HAIFA MALOUF, "Tiddjaniya, Sonusiya and Mahdiya" in **R.H.M**, N°4, 1975.
- MOUSSAOUI-ELKECHAI, FELLA, "Wakfs et Habous des Andalous à Alger durant la période ottomane rôle caritatif et humanitaire", communication présentée lors du colloque

international sur le rôle des fondations pieuses…aix en provence, M.M.S, C.N.R.S, 13-15 juin 2002.

- MOUSSAOUI-ELKECHAI,"Approche historique de la fiscalitè en Algérie "communication presèntèe lors du colloque international sur le developpement local ,Universitè de Tizi – Ouzou,Mai,1992.
- NACIB, YOUCEF, "Signalisation d'une bidagogie confrérique dans la poésie orale kabyle" in **Ana.Afrn**, n°33, 1994.
- RINN, LOUIS, "Le royaume d'Alger sous les derniers deys" in **R.A**, N°41, 1897.
- ROBIN, NIL-JOSEPH, "Le bey Mohamed Ben Ali Ed-debbah" in **R.A**, N°17, 1873.
- ROBIN, "Note sur l'organisation militaire et administrative dans la grande Kabylie" in **R.A**, N°17, 1873.
- SALHI, MOHAMED-BRAHIM, "Confrérie religieuse et champ religieux au grande Kabylie au milieu du XIX^{éme} siècle. La RAHMANIYYA" in **Ann.Afr.N**, N°33, 1994.
- STAMBOULI, (F.)/ Zghal (A.), "La vie urbaine dans le Maghreb précolonial" in **Ann.Afr**.N, N°11,1972.
- VAYSSETTE,"Histoire des dernier beys de Constantine depuis 1793 jusqu'au la chute d'Ahmed bey" in **R.A**, N°3, 1858- N°4, 1860.
- VAYSSETTE,"Histoire de Constantine sous la domination Turque" in **R.N.M.S.A.C**, 2^{éme} série, vol 2, 1862.

الملاحـــــق

1- فهرس الملاحق
2- الوثائـــــق
3- الخرائـــط
4- الجـــــداول

فهرس الملاحق:

الملحق رقم: 1

نموذج عن أجور العلماء : الأرشيف الوطني ، س.ب ، علبة 30 سجل 248

الملحق رقم: 2

المكتبة الوطنية، قسم المخطوطات، المجموعة 3206، ملف 2، وثيقة رقم 52

الحمد لله و صلي الله على سيدنا و مولانا محمد وصحبه و سلم تسليما.

ليعلم الواقف عليه على هذا الأمر الكريم و الخطاب الواضح الجسيم النافذ أمره العلي شأنه و قدره من القواد و العمال و الخاص و العام من ساير المصرفين في الأحوال ببلادنا الجزاير المحمية بالله تعلى من سود الدواير و ساير عمالاتها سدد الله الجميع و وفق الكل إلى صالح القول و حسن الصنيع أما بعد:

فقد اتفق امرنا لرشيد و عزمنا الصايب السديد على أننا قد انعمنا على السادات الأبرار والعلماء الأخيار الفقيه الأجل التقي الأفضل التالي كتاب الله عز وجل سيدي محمد بن زينب و سيدي العربي و سيدي الهواري و السيد عابد و كافة أولاد سيدي الحاج عبد الهادي إنعاما تاما شاملا عاما و حررناهم أي رفعنا عنهم أمر المطالب المخزنية قليلها وجليلها عليهم و على أعقالهم و أعقاب أعقابهم حتى يرث الله الأرض و من عليها و هو غير الوارثين لأنه ثبت لدينا أنهم شرفاء و واقفون موقف أبائهم الأكرمين مع التمسك بكتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم فقد رجعنا عنهم المطالب المخزنية قلت أو أجلت لأنهم لذلك أهل فهم أطيب أهل نسبة الله أصلا و فرعا و أحسنهم صنعا و أوفاهم عهدا وأصدقهم وعدا فلا يمسهم أحد بسوء قول و لا عمل و من تعرض لهم فقد حلت عليه عقوبتنا الشديدة و تجري عليه أحكامنا بحيث لا يمنعه منا مانع و لا يشفع له شافع و على هذا يكون أمر ولات الإسلام الفاصلين الخصام مرفاض و مقت و حكام فقد أوصينا و أكدنا لهم بالتعظيم و الإحترام و الميزة و الإكرام فقد انعمنا عليهم انعاما تاما شاملا عاما فحسب الواقف عليه العمل بما فيه و لا يخالفه أحد و لا يتعدى عليهم و الله الموفق للصواب و إليه المرجع و المثاب لا رب غيره و لا معبود سواه. و الأمر كله لله و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم و السلام التام في البدء و الختام و كتب عن إذن المعظم الأرفع الهمام الأنفع مولانا الدولاتى السيد حسن باشا أعطاه الله من الخيرات ما يشاء أمين أمين بتاريخ أواسط محرم الحرام الذي هو من عام 1235.

و نص الخاتم

المتوكل على الرحمن

عبده حسين بن حسن 1233

المكتبة الوطنية، قسم المخطوطات، المجموعة 3206، ملف 2، وثيقة رقم 52

<u>الملحق رقم</u> 3:

المحاكم الشرعية، العلبة 4، الوثيقة رقم 17 وثيقة، تحبيس، المصاهرة

الحمد لله بعد أن استقر للحرة الأصيلة الحسيبة الجليلة نفيسة بنت المرحوم المنغمس في رحمة الحي القيوم العالم العلامة النحرير الفهامة أبي عبد لله سيدي محمد بن عبد المؤمن برد الله ضريحه و أسكنه من أعنان فسيحه زوجا هي الآن للمعظم الوجيه المفخم الأحضر رضى الزكي المرتضي فخر الدولة و إنسان عينها مولاناالسيد الحاج شعبان داي الدولاتلي هو الآن بمحروسة الجزائر أبقى الله وجوده و رحم أباءه و جدوده المذكورة في الرسمين اللذين يلصق آخركاغدهما بأول كاغد هذا إنشاء الله تعالى تملك جميع الجنة المخلفة عن أبيها المذكورة الكاينة بفحص تاجرارت خارج باب عزون أحد أبواب البلد المذكورة المجاورة للجنة المعروفة برقية عكاز و هي الآن بيد السيد أحمد بلكباشي عرف بذلك عنه و لجنة علي خوجة المذكورة معها في الرسمين المشار إليهما بمضمن ما سطر حيث أوصى الخلوص التام و إرادة نفسه المذكورة أن تجعل الجنة المسطورة صدقة موقوفة لله عز وجل على أن تكون غلتها لها أبدا مدة حياتها ثم بعدها على ذريتها إن قدر الله تعالى بذلك و ذريتهم و ذرية ذريتهم و بعد إنقراضهم ترجع لفقراء الحرمين الشريفين حرمي مكة و المدينة زادهما الله شرفا و استفتت في ذلك علماء الوقت صانهم الله فأجيبت بسوغ ذلك على المذهب الحنفي حسبما بين و فسر أعلاه فبعد أن كان ذلك كذلك أشهدت الآن الحرة نفيسة المذكورة شهيدي هذا على نفسها أنها جعلت جميع الجنة المذكورة صدقة موقوفة لله تعالى على أن تكون غلتها لها أبدا ما عاشت ثم بعد وفاتها ترجع الغلة المذكورة لذريتها إن خلفت ذرية ثم لذريتهم أيضا و ذرية ذريتهم ما تناسلوا و امتدت فروعهم في الإسلام الذكر و الأنثى في ذلك على حد السواء و لا مدخل للطبقة السفلى و مع وجود العليا و من مات منهم عن ذرية رجع نصيبه من الغلة لذريته و من لم يخلف ذرية رجع نصيبه لمن عداه فمن هو في درجته فإن انقرضوا عن أخرهم و أتى التمام على جميعهم رفيعهم و وضيعهم جعلت غلة الجنة المذكورة لفقراء الحرمين الشريفين مكة و المدينة زادهما الله تشريفا و تكريما و مهابة و تعظيما تصرف في معالمهما بعد التبديه باصلاح ما يستدام به منفعتها بما للجنة المذكورة من الحدود و الحقوق و كافة المنافع و المرافق الداخلة فيها و الخارجة عنها و ما عد منها و عرف بها و نسب في القديم و الحديث إليها صدقة صحيحة شرعية لا تبدل عن حالهاو لا تغير عن منوالها إلى أن يرث الأرض و من عليها خير الوارثين فمن سعى في تبديلها أو تغييرها فالله حسيبه و متولي الإنتقام منه و سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون قصدت المتصدقة نفيسة المذكورة بما ذكر وجه الله العظيم و رجاه ثوابه الجسيم أن الله يجزي المتصرفين و لا يضيع أجر المحسنين و لا يخيب لديه أجر العاملين و رفعت المتصدقة نفيسة المذكورة عن الجنة المذكورة يد الملك و وضعت يد الحياز لها و لمن عداها و للمرجع المذكور كما يجب شرعا إشهادا صحيحا عرفت قدره و ألزمت نفسه حكمه و أمره و ذلك كله بمحضر بعل المتصرفة المذكورة و هو السيد الدولاتلي المذكور حفظه الله و نصره و موافقته على جميع ما ذكر فيه الموافقة التامة و شهد على المتصرفة المذكورة فيه بما فيه عنها و على بعلها السيد الحاج شعبان داي المذكور بالموافقة و هما بحال صحة و طوع و رضى و جواز أمر و عرفها المرأة بتعريف بعلها المذكور بتاريخ أواخر جمادى الأولى من عام إثنين و مائة بعد الألف عبد الله......الإمضاء الحنفي.

المحاكم الشرعية، العلبة 4، الوثيقة رقم 17 ..

الملحق رقم: 4

أوامر مخزنية .أوامر لجانب ولي صالح

ليعلم من يقف على هذا الأمر الكريم و الخطاب الواضح الجسيم أمره العلي قدره وشأنه من الآغاوات و الخلفوات و القواذ و العمال و جميع من له تصرف بجميع الأحوال سدد الله الجميع و وفق الكل إلى صالح القول و حسن الصنيع أما بعد:

فإننا أنعمنا على المكرمين الأجليين الزكيين الفضلاء السيد بدر الدين و أخيه السيد المسعود أولاد المرحوم بكرم الحي القيوم محي الدين أولاد الشيخ البركة المتبرك به سيدي الجودي. و حددنا لهما على مقتضى ما بأيديهما من أوامر إخواننا الباي لار السابقين قبلنا المتضمنة كرمهما و احترامهما و....؟ و إكرامهما بحيث لا تنتهك لهما حرمة و لا يهضم لهما جناب و يقاسون بما يقاسي به الغير. و لا يتعدى عليهما بسبب من الأسباب بحيث أنهما يقومون أين يشاءوا و يسافرون حيث يشاءوا، و بحيث لا يعارضهما أحد و لا يتعدي عليهما أحد لا قايد و لا تركي، و لا شيخ و لا متولي من عمال بلادنا كلهم كل ذلك منا لوجه الله العظيم، و رجاء ثوابه الجسيم و الله لا يضيع أجر المحسنين و من خاف الحد استوجب الحد فيحسب الواقعة عليه أن يعمل به و لا يخالف ما فيه و السلام.

و كتب عن إذن المعظم الأرفع الهمام الأنفع الصدر الوجيه الأمنع السيد صالح باي. الولاية الشرقية و محروسة قسنطينة. وفقه الله و نفع به و كرمه آمين و ذلك أواسط شهر رجب الفرد الأحب سنة 1188هـ.

نقلا عن قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة "المدينة و المجتمع"، دكتوراه دولة، الأرشيف الوطني الفرنسي، وثيقة رقم Série Z boite 21. N°1 liasse 6, 53 du relevé N°2.

سلسلة Z 21 علبة 01 بها وثائق تهم العائلات القسنطينية و يعود تاريخها إلى 166 هـ قضايا الحبس (967 هـ) و البيع الوصية المغارسة – التركة.

الملحق رقم: 5

الحمد لله وحده.

ليعلم من يقف على هذا الأمر الكريم و الخطاب الواضح الجسيم العلي شأنه و قدره من باي لار الناحية الشرقية و كافة القواد و العمال و الخاص و العام و جميع المتصرفين في الأحوال ببلادنا الجزائر المحمية بالله تعالى و بلاد بجاية سدد الله الجميع و وفق الكل إلى صالح القول و حسن الصنيع أما بعد:

فإننا حامله المكرم الوجيه البركة السيد محمد الشريف ابن المرحوم بكرم الحي القيوم المقدس المنغمس الشيخ سيدي عبد القادر بن سيدي محمد أمقران أنعمنا عليه و قد مناه على كافة زواياه و أقمناه في مقام والده المذكور و أنزلناه بمنزلته ينظر في أمور الزوايا المذكورين، و يكونوا كلهم عند نظره و سمعه و طاعته و أطلقنا يده فيهن بحيث ينتفع بخراجهم جديا في ذلك على سبيل عادته المعلومة و عادة السادات المرابطين أسلافه المتقدمين قبله السابقة المفهومة، كما أنعمنا عليه بزاوية بني بومسعود حبسناها عليه و على عاقبة و عاقب أعقابه ذلك صدقا منا عليه لوجه الله العظيم و رجاء ثواب الجسيم و لإطعامه الفقراء و المساكين و على كافة أهل الزاوية المذكورين خصوصا زاوية بني بومسعود أن يكون كلهم عند نظره و سمعه و طاعته كما أننا أقمناه في مقام والده المذكور على شغل البايلك الكاين بالبلاد المذكورة يجري عليه مثل الكراستة و غيرها من غير ممانع له في ذلك مع حرمه و احترامه و رعيه و حفظ جنابه بحيث لا تهتك له حرمه و لا من يتعدى عليه و لا على كافة زاوياه و لا يكلفهم أحد بشيء من التكاليف المخزنية.

عن إذن المعظم الأرفع الدولاتلي السيد مصطفي الداي أواخر حجة الحرام عام 1113هـ.

FERAUD (CH.), "L’exploitation des forêts…. ", in **R.A**, N°12, 1868.

الملحق رقم : 6

رسالة الباشا محمد بن محمود لإثبات حق عائلة أمقران

شهادة إعتراف (إثبات)

الوثائق بالردود الحاج محمد بن محمود (الختم)

الحمد لله وحده وصلي الله على سيدنا و مولانا محمد و على آله و صحبه و سلم

ليعلم من يقف على هذا الأمر الكريم و الخطاب الواضح الجسيم من الباي لار و كافة القواد و العمال و الخاص و العام و جميع النظر في الأحوال بالناحية الشرقية أسعد الله الجميع أما بعد:

فإن حامله المعظم الفقيه الأجل السيد المولى الأعلى البركة السيد عبد القادر ابن المرحوم الوالي الصالح القطب الناصح الشيخ البركة سيدي محمد أمقران نفعنا الله ببركاته و أفاض علينا، أنعمنا عليه بكافة عرش برباشة الذي هما على ثلاث فرقات.

فرقة يقال لها أولا عبد الله و الفرقة الثانية تسمى ببري و الفرقة الثالثة التي حبسا عليه و على أعقاب أعقابه ينتفع بمقرهم و زكاتهم و رفعنا عليهم يدي باي لار المحال هذا الناحية الشرقية و عما لهم عن إذن المعظم الأرفع مولانا الدولاتلي الحاج محمد باشا أيده الله بمنه آمين.

أواسط شهر جمادي الثانية 1093هـ - جوان 1682م.

- FERAUD (CH.), Histoire des villes de la province de Constantine Gigilli, Arnold, Paris 1870, p183.

الملحق رقم: 7

TEXTE.

الحمد لله ولما وقع التقصير من وكلاء مساجد قسنطينة ولم يكن
لهم اعتناء بشان الاوقاف وفرطوا في ذلك غاية التفريط وضاع
الكثير منها بغفلتهم عنها وعدم اعتنائهم بشانها ولم يبحثوا
على ذلك وتعطل البعض من المساجد بضياع اوقافها التي مبني
عمارة الوقف عليها وصار البعض منها بسبب ذلك مربطا
للدواب والبعض غُلقت عليه الابواب وال امره الى الخراب وبلغ
امر ذلك لحضرة المعظم الاسعد المنصور المويدي الاراء السديد
وحسن الراي سيدنا صالح باي ايده الله تعلى وابقى وجوده
وادام خيراته وجوده فالهمه الله الى احياء ما اندرس من المساجد
والاوقاف وترجم بكليته اعزه الله تعالى الى الكشف عن ذلك
واراد ان يثبت ذلك بثلاث ٢ سجلات متماثلة تحفظها (1) بل باربع ٢
ويومن بذلك من التبديل والتغيير عليها امر حينيذ قضاته
والمفتيين ان يبحثوا على اوقاف المساجد وعلى المساجد التي

124

دثرت ويثبتوا ذلك بثلاث سجلات ٢ متماثلة فامتثلوا ٢ بل باربع سجلات
امره وبلغوا جهدهم في البحث عن اوقاف المساجد وعن المساجد
التي دثرت واطلعوا على سجلات المساجد واثبتوا بعد الكشف
عن ذلك اوقاف مساجد بلد قسنطينة بهذا السجل وبسجلين ٢ ٢ بل ثلاثة
اخرين مماثلين له لفظا ومعنى احد السجلات عند صاحب
بيت المال والثاني عند شيخ البلد والثالث عند قاضي الحنفية
والرابع عند قاضي المالكية فمن علم ذلك وتحققه وعلم ان
الطابع المرتسم بطرته اعلاه هو طابع المعظم الارفع سيدنا صالح
باي ادام الله اوقاته وبارك فيه فيربه وبمضمنه شهادته هنا
وذلك اوسط شهر ربيع الاول المنور بمولده صلى الله عليه
وسلم عام تسعين ومائة والـــــــــــــــــــــف ١١٩٥

ومن تمامه ان سيدنا صالح باي ايده الله على ان المعاوضة
لا تقع في اوقاف المساجد اصلا لا بالقليل ولا بالكثير وان وكلاء
المساجد يحاسبون على اوقاف المساجد من الستة اشهر الى
الستة اشهر وان الفاضل من اوقاف المساجد اي من غلتها
يتفقده العلماء المنعقد بهم المجلس العلمي وصاحب بيت
المال في كل سنة ومن كثرت غلة اوقافه من المساجد يشترى له
بما فضل عن حاجة الاوقاف عقارا يصير من جملة الاوقاف
صح ذلك

Paraphes et signatures : محمد بن الموهوب
احمد بن جلول

En tête à gauche, sur le cachet du bey, est écrit : عبده صالح باي بن مصطفى ١١٨٥

Autre cachet : الواثق برب الناس عبده بالعباس ١١٨٨

Autre : سي شعبان ١١٧٩
بن جلول

FERAUD (CH.), "Les anciens établissements religieux musulmans de Constantine", in **R.A**, N°10 1868.

الملحق رقم: 8

خريطة ثورة إبن الأحرش ببايلك الشرق

مناطق إنتشار الثورة.

مواقع المعارك

خط سير الباي عصمان في تتبعه لإبن الأحرش.

الطريق السلطاني الرابط بين قسنطينة و الجزائر.

حاميات تركية إنسحبت إلى قسنطينة.

إعتمدنا في رسمها على:

- سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات و أبحاث تاريخ الجزائر، العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1999.
- الغالي الغربي، الثورات الشعبية أثناء العهد التركي، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة دمشق 1988.

<u>الملحق رقم</u> : 9

<u>خريطة ثورة إبن الشريف الدرقاوي ببايلك الغرب</u>

الطريق السلطاني الرابط بين وهران و الجزائر.

المدن التي تتركز فيها الحاميات التركية.

مواقع أهم المعارك التي خاضها إبن الشريف.

القبائل المتحالفة مع إبن الشريف.

مناطق إنتشار الثورة.

إعتمدنا في رسمها على:

- الغالي الغربي، الثورات الشعبية أثناء العهد التركي، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة دمشق 1988.

الملحق رقم: 10

نموذج لضريبة "الدنوش" و التي قدمها أحد بايات الشرق الجزائري إلى الداي

- 1500 بقرة
- 6000 خروف
- 17 فرس
- 100 بغل
- 70 برنس صناعة تونسية رفيعة
- 50 غطاء من نوع الحائك
- 40 دزينة من الطاقيات
- 32 دزينة من العنبر و المرجان
- 14 أوقية من عطر الورود
- 30 أوقية من عطر الياسمين
- 16 كيسا معدا لحفظ الساعات
- 30 قطعة من جلد النمور و الأسود
- (8-10) أسود أو نمور
- 700 قفة من التمور
- 150 سلة زيتون
- 20 حمولة من الزبدة
- 20 حمولة من الكسكس (المغربية)

- زيادة إلى هذا قدم الباي إلى الداي مبلغا من المال قدر حسب الوثيقة نفسها 340،000 ريال بوجو.

الغالي الغربي، الثورات الشعبية أثناء العهد التركي، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب جامعة دمشق، 1988، نقلا عن الأرشيف الوطني بفانسان، وزارة الحربية.

الملحق رقم : 11

مساجد الخطبة بمدينة الجزائر:

الاسم	تاريخ البناء	المذهب
المسجد الكبير	/	مالكي
مسجد سيدي رمضان	أول تأسيس 1551م	مالكي
مسجد صفر	1534م	حنفي
مسجد السيدة	أول تأسيس 1564م	حنفي
مسجد القشاش	1571م	مالكي
مسجد خيضر باشا	1597/96م	حنفي
مسجد كتشاوة	أول تأسيس 1612م	//
مسجد علي بتشين	1622م	//
المسجد الجديد	1664م	//
مسجد ميزمورطو	1685م	//
مسجد شعبان خوجة	1693م	//
مسجد عبدي باشا	1726م	//
مسجد علي باشا	1759/58م	//
مسجد القصبة	1818م	//

- SHUVAL (T.), La ville d’Alger vers la fin du 18éme siècle, C.N.R.S, 1988, p192.

الفهـــارس

1- فهرس الأعـــــــلام والعائلات

2- فهرس الأماكـــــــن

3- فهرس الأعـــراش و القبائـــــل والإمارات

1- فهرس الأعلام والعائلات

- الهبري محمد:179. - الهواري محمد(مرابط):13، 120. - هوقو دي مونكادا:15	

2- فهرس الأماكن

3- فهرس الأعراش –القبائل-الإمارات.

فهـــرس الموضوعــــات

الموضوع الصفحة

القسم الثالث: التوتر و القطيعة بين العلماء و الساطة